تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

إنجيل مُرقُس



إنجيل مُرقس

نقله إلى العربية

الدكتور القس فهيم عزيز



دار الثقافة

[طبعة ثانية]

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ — القاهرة

١٠/ ٢٢طم (١) (س٧٣ — ٨٦) / ٥ — ٧
رقم الايداع بدار الكتب ٦٨٠٧ لسنة ١٩٨٦ .
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

◇ يشترك عدد كبير من المترجمين فى إصدار هذه السلسلة .

◇ ويقوم بنشرها :

— دار الثقافة المسيحية .

— ودار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

— بالتعاون مع مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى .

محتويات الكتاب

مقدمة إنجيل مرقس

الأناجيل الثلاثة الأول :

تعتبر الأناجيل الثلاثة الأول ، متى ومرقس ولوقا ، وحدة واحدة ، وقد أطلق عليها العلماء الكلمة الإنجليزية Synoptics وهى كلمة مشتقة من فعل يونانى مركب يعنى « يمكن الإحاطة به » . ولقد سميت بهذا الإسم لما فيها من تشابه كبير يجعل من السهل دراستها معا . ومن هذه المجموعة يعتبر إنجيل مرقس أكثرها أهمية ، بل يذهب البعض إلى حد القول بأنه أهم كتاب فى العالم طراً ، إذ ، أنه - بشهادة الجميع - أول إنجيل كتب ، ولهذا فهو أول كتاب عن حياة يسوع وصل إلينا . قد لا يعنى هذا أن مرقس كان أول شخص يكتب عن حياة يسوع فلا بد أنه كانت هناك محاولات أولية سابقة ، ولكنه أصبح من المؤكد أن هذا الإنجيل هو أقدم إنجيل وصل إلينا .

أصل الأناجيل :

عندما نبحث عن أصل الأناجيل وكتابتها يجب أن نرجع قرونا طويلة إلى الوراء حيث لم تكن هناك مطابع ولا كتب مطبوعة.. حينما كانت كتابة الكتب عملية شاقة مكلفة ، إذ كانت تكتب بخط اليد ؛ فى ذلك العصر كتبت الأناجيل ، ولهذا فلم تكن هناك سوى نسخ محدودة مكتوبة بخط اليد . فكيف يمكن إذا أن نقول إن إنجيل مرقس كان أول ما كتب من هذه المجموعة المثلثة ؟

إن أول ما يقابل الدارس لهـذه الأناجيل الثلاثة هو المشابهات الواضحة بينهما ، فقد يقرأ الحادثة الواحدة فى الأناجيل الثلاثة بنفس الكلمات تقريباً ويجد تعاليم المسيح بنفس الصيغة ، فحادثة إشباع الخمسة آلاف مثلا جاءت فى صيغة واحدة فى كل من مرقس ٦ : ٣٠ - ٤٤ ؟ متى ١٤ : ١٢ - ٢١ ؟ لوقا ٩ : ١٠ - ١٧ ؛ ولعل خير مثل على هذا التشابه هو قصة شفاء المفلوج المذكورة مرقس ٢ : ١ - ١٢ ؟ متى ٩ : ١ - ٨ ؟ لوقا ٥ : ١٧ - ٢٦ . فقد جاءت متطابقة تقريبا فى مواضعها الثلاثة ، حتى إن الجملة الإخبارية « حينئذ قال للمفلوج » تأتى فى نفس الموضع فى القصص الثلاث . هذا التشابه الواضح يقودنا إلى أحد إفتراضين : إما أن ثلاثتهم استقوا معلوماتهم من مصدر واحد وإما أن اثنين منهم اتخذا الإنجيل الثالث مصدراً أساسياً لهما . فأيهما أصح[1] ؟ .

لدى التعمق فى الدراسة نجد أن انجيل مرقس ينقسم إلى ١٠٥ قسما منها ٨٣ قسما جاءت فى إنجيل متى و٨١ قسما جاءت فى إنجيل لوقا ولم تبق غير أربعة أقسام فقط موجودة فى انجيل مرقس وحده .

بل لعل الفكرة تتضح أكثر لو اتخذت الأعداد أساساً للمقارنة : فإنجيل مرقس يحتوى على ٦٦١ عددا وانجيل متى يحتوى على ١٠٦٨ عدداً بينما يتكون انجيل لوقا من ١١٤٩ عدداً . لكن عندما يكتب متى إنجيله يستعير بما لا يقل عن ٦٠٦ عدداً من إنجيل مرقس مستخدما ٥١ ٪ من نفس الفاظه ، أما لوقا فإنه يستعير حوالى ٣٢٠ عدداً مستخدماً كذلك ٥٣ ٪ من نفس الفاظ مرقس بل وأكثر من ذلك فالخمسة والخمسون عدداً الباقية من مرقس التى لا يستعيرها

---

(١) هذه المقارنة من الناحية العلمية فقط ولكن هذا لا يعنى إنكار الحقيقة الأساسية أن الوحى هو أساس وحدة الأفكار (الناشر)

متى نجد منها واحداً وثلاثين عـــدداً فى إنجيل لوقا . . ومن هذا يتضح أن أربعة وعشرين عدداً فقط هى التى نجدها فى مرقس لم يستعرها متى أو لوقا .

هذه الدراسة للقارنة جعلت الباحثين يتمسكون بالنظرية القائلة : إن متى ولوقا كانا يستخدمان إنجيل مرقس مصدراً أساسياً لهما عند كتابة إنجيليهما .

لـكن الذى يحول النظرية إلى حقيقة واقعة هو مقارنة ترتيب الحوادث . فإنجيل متى وإنجيل لوقا يتبعان فى غالبية الأحوال ترتيب مرقس للحوادث . نعم : قد يدخل أحدهما بعض التغيير ، ولـكن لم يحدث قط أن اتفقا على ترتيب خلافه ، ففى الأمكنة التى يغير متى فيها الترتيب المذكور نجد أن لوقا يخالفه ويتبع نفس ترتيب مرقس ، وبالعـكس .

من هذه الدراسة نستخلص أن متى ولوقا كان أمامهما إنجيل مرقس عند كتابة إنجيليهما ، ولقد زادا عليه كثيراً من المعلومات التى اختص بها كلاهما أو أحدهما ، لـكنهما ، فى هذه الزيادة ، لم يغيرا كثيراً من ألفاظ مرقس أو طريقة ترتيبه للحوادث بل وضعا المعلومات بين ثنايا الإنجيل .

أليس من المثير حقا أننا عندما نقرأ إنجيل مرقس نعرف أنه أول قصة وصلت إلينا عن حياة يسوع ؟ وأن كل ما كتب بعد ذلك كان مبنيا أساساً على هذه القصة ؟؟

مرقس كاتب الانجيل :

إذن من هو مرقس كاتب الإنجيل هذا ؟ إن العهد الجديد يعطينا معلومات كثيرة عنه . فهو إبن امرأة غنية من أورشليم اسمها مريم ، ويظهر أنها قبلت

المسيحية مبكراً وفتحت بيتها ليكون مقراً للكنيسة (أعمال ١٢ : ١٢) ، وساعد هذا مرقس على الاندماج مع التلاميذ فى سن مبكرة ، وعندما بدأ بولس رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا (خال مرقس) أخذاه معهما ليكون مرافقاً ومساعداً لهما (أعمال ١٢ : ٢٥) ، ولكن هذه الرحلة لم تشجع مرقس على إتمامها فرجع من منتصف الرحلة عندما وصلوا برجة بمفيلية ، ولكن سفر الأعمال لم يذكر السبب المباشر لرجوعه هذا : هل لأنه خاف السير فى طريق يعتبر من أصعب وأخطر طرق العالم ؟ أم لأنه شعر بأن زمام الرحلة بدأ يتحول إلى يدى بولس فيصبح الرجل الأول والقائد بينما أصبح خاله فى المرتبة الثانية ؟ أم لأنه لم يكن راضيا تماماً عن أعمال وتصرفات بولس الرسول ؟ أم لأنه — كما قال كريسستوم — لم يستطع فراق أمه ؟ ... ولقد تأثر بولس من رجوع مرقس حتى أنه رفض رفضاً باتا أن يصطحبه معه فى رحلته التبشيريه الثانية مع برنابا خاله ، ولكن برنابا لم يقبل من بولس هذا الإصرار فافترق عنه ولم يعد — على قدر ما نعلم — يرافقه مرة أخرى [أعمال ١٥:٣٧—٤٠] . وبعد هذا التاريخ ينزوى مرقس من على مسرح الحوادث لفترة طويلة ولايعرف أحد عن مصيره شيئاً ، وتقول بعض التقاليد إنه ذهب إلى مصر وأسس هناك كنيسة الأسكندرية . ولكن الأمر العجيب هو أن مرقس يعود إلى الظهور مرة أخرى وفى حالة تختلف كل الاختلاف عن ذى قبل ، فهو مع بولس فى سجنه فى روما كما يذكر الرسول نفسه ذلك فى رسالته لكولوسى [كولوسى ٤:١٠] . وفى رسالة فليمون يؤكد مرة أخرى حقيقة وجوده معه [فليمون ٢٤] ، وعندما كان يواجه خطر الموت يكتب لتلميذه تيموثاوس قائلا « خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة » (٢ تيموثاوس ٤ : ١١) . ما أبعد هذه النغمة عن تلك التى صدرت عنه يوم أن رفض قبوله معه فى رحلته التبشيرية

الثانية ، فما الذى حدث لمرقس ؟ وما الذى غيره حتى جعل بولس يطلبه وبالحاح ليكون معه ؟ إلا يجدر بنا أن نسميه « الرجل الذى فدى نفسه ؟ » .

المصادر التى استقى منها مرقس معلوماته :

لما كانت قيمة القصة تتوقف على قيمة المصادر التى استقيت منها كان لنا الحق فى التساؤل عن المصادر التى استقى منها مرقس معلوماته عن حياة يسوع وعمله .

مما لا شك فيه أن المصدر الأول له هو اختبارات أعضاء الكنيسة الأوائل الذين اتخذوا من بيت أمه كنسة لهم . ولكن هذا المصدر لا يمكن أن يكون كافيا ليفسر المعلومات التى نجدها فى هذا الإنجيل إذ تعتبر من أدق المعلومات وأكثرها صحة ، فلا بد من وجود مصدر آخر فى غاية الأهمية والثقة .. وهذا صحيح ففى كتابات بابياس Papias الذى كان يعيش فى نهاية القرن الثانى المسيحى (وكان يهودى جمع المعلومات الخاصة بالكنيسة الأولى) نجد مفتاح السر عندما يقول إن إنجيل مرقس ما هو الاخلاصة شهادة ومواعظ بطرس أعظم الرسل . فلقد كان مرقس قريباً من بطرس حتى أنه يصفه بأنه إبنه [١ بط ٥ : ١٣] .

وهذه هى شهادة بابياس نفسه :

« مرقس الذى كان شارحاً لآراء بطرس interpreter كتب » .

« بكل دقة — ولكن بغير ترتيب زمنى — كل ما سمعه منه عما »

« فعله يسوع وتكلم به . لأنه لم يكن تلميذا للرب ولم يستمع »

« إليه شخصيا ، ولكنه كان تلميذا لبطرس — كما قلت — فى »

« أواخر حياته ، ولقد حاول بطرس أن يذكر تعاليم يسوع »

« بحسب الحاجة الماسة فى حياة الناس اليومية دون أن يضعها فى ترتيب منطقى خاص » .

هذه هى شهادة بابياس التى تعلن بدون لبس أو إبهام أن إنجيل مرقس ما هو إلا ذكريات بطرس ومواعظه .

فلدينا إذن سببان رئيسيان يعطيان انجيل مرقس أهمية لاتفوقها أهمية :أولهما أنه أول كتاب كتب عن حياة يسوع إذ كتب بعد موت بطرس مباشرة حوالى ٦٥ م. وثانيهما هو أن هذا الإنجيل كان خلاصة تعاليم بطرس ومواعظه ، وبعبارة أخرى فانجيل مرقس هو أدق سجل تمتلكه المسيحية جاء من شاهد عيان عن حياة يسوع وقصته .

نهاية الانجيل المفقودة :

هناك حقيقة مثيرة فى إنجيل مرقس وهى أنه يتوقف فى نسخه الأصلية إلى حد ١٦ : ٨ ، أما الأعداد الباقية [١٦ : ٩ — ٢٠] فليست موجودة فى أقدم النسخ وأصحها ، كل ما هناك هو أنها وجدت مؤخراً فى نسخ أقل قيمة ومتأخرة فى ترتيبها الزمنى . كما أن أسلوبها اللغوى يختلف عن بقية الإنجيل حتى أنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل . ومن الناحية الأخرى نجد أنه من غير المعقول أن يتوقف مرقس عند ١٦ : ٨ فهى نهاية فجائية تعسفية . ولهذا فأمامنا أحد احتمالين الأول : إما أن يكون مرقس قد استشهد قبل أن يتم كتابة إنجيله وهذا بعيد الوقوع ، وإما ـ وهذا أقرب الاحتمالين ـ أن تكون النسخة الأصلية للانجيل قد بلى جزؤها الأخير ؛ فلقد جاء وقت فيه أهملت الكنيسة إنجيل مرقس وفضلت عليه إنجيلى متى ولوقا ، ومن الجائز جدا أن

تـكون جميع نسخ هذا الإنجيل قد ضاعت ولم تبق منها سوى نسخة واحـدة بلى جزؤها الأخير . فاذا كان الأمر كذلك فلقد كانت الـكنيسة إذن فى خطر فقد أهم انجيل كتب عن حياة ابن الله .

مميزات انجيل مرقس :

لندرس الآن الخصائص المميزة لهذا الانجيل لنتعرف عليها حين نقابلها .

١ — أنه يعتبر أدق محاولة لـكتابة كتاب عن حياة يسوع إذ أنه يعطى صورة حقيقية عنه قولا وفعلا . ولهذا يقول عنه وستـكوت Westecott « إنه مقتطفات من الحياة » ويصفه ا . ب . بروس A. B. Bruce « إنه مجموعة ذكريات كتبها شخص محب غيور » ولهذا فقد اتسم هــــذا الإنجيل بالواقعية وأصبح مرجعاً أساسياً لـكل من يحاول كتابة كتاب عن حياة يسوع. إن أهم صفة فيه هو أنه يقدم الحقائق فى أبسط الأساليب وأكثرها حيوية .

٢ — يؤكد مرقس توكيداً جازما لاهوت المسيح . فيبدأ إنجيله بقانون الإيمان « بدء أنجيل يسوع المسيح ابن الله » ، ثم يتطرق فى قصته عنه بحيث لا تغيب عن ناظريه هذه الحقيقة ، فهو يذكر أثر يسوع على عقول سامعيه وقلوبهم والرهبة والدهشة اللتين كثيرا ما عقدتا ألسنتهم فى حضرته . اسمعه يقول « فبهتوا من تعاليمه » ١ : ٢٢ ، « فتحيروا كلهم ... » ١ : ٢٧ . ولم يقتصر تأثيره على الجموع الغريبة فقط بل تعداهم إلى تلاميذه المقربين إليه ، وما أكثر العبارات التى يرددها مرقس فى ذلك مثل « فخافوا خوفاً عظيما وقالوا بعضهم لبعض من هو هذا ... ٤ : ٤١ » . . فبهتوا وتعجبوا فى أنفسهم جدا

إلى الغاية . . » ٦ : ٥١ ، « . . فتحير التلاميذ من كلامه . . فبهتوا إلى الغاية . » ١٠ : ٢٤ر ٢٦ . فالمسيح بالنسبة لمرقس لم يكن واحدا من الناس بل كان الله نفسه سار فى وسط الجموع بتأثيره البالغ على عقولهم وقلوبهم .

٣ — ولكن فى غمرة الدهشة لم ينس مرقس ناسوت المسيح ، بل لقد كان يؤكد الجانب البشرى من حياة يسوع حتى أن الكتّاب الذين تبعوه اضطروا إلى إدخال بعض التعديلات فى كثير من عباراته . فبينما يذكر هو أن يسوع كان نجارا ٦ : ٣ يتحرج متى فيذكر عنه أنه ابن النجار متى ١٣ : ٢٥ . وبينما لا يتردد فى قصة التجربة فى أن يقول أن الروح أخرج يسوع إلى البرية ١ : ١٢ يمتنع متى ولوقا عن استعمال هذا التعبير فيقولان إما أصعد متى ٤ : ١ أو يقتاد لوقا ٤ : ١ . وأكثر من ذلك فقد كان مرقس أكثر من أى إنجيل آخر يظهر بطريقة جريئة عواطف يسوع وإحساساته فيذكر أنه « أن » ٧ : ٣٤، ٨ : ١٢ ، وأنه « تحنن على الجموع » ٦ : ٢٤ ، وأنه « تعجب لعدم إيمانهم » ٦ : ٦ ، وأنه « غضب حزينا » ٣ : ٥ ، ٨ :٣٣ ، ١٠ : ١٤ . وأنه نظر إلى الشاب الغنى « وأحبه » ١٠ : ١٢ . وأوضح إلى جانب ذلك احتياجاته الجسدية : فقد كان يجوع ١١ : ١٢ . ويتعب فيحتاج إلى الراحة ٦ : ٣١ . فنى هذا الإنجيل نجد يسوع الذى يشاركنا عواطفنا وإحساساتنا ويظهر بصورة تجعله قريبا جدا منا .

٤ — ولعل من أبرز خصائصه أنه يضع هنا وهناك فى قلب القصة تعبيرات حية تشهد أن قائلها كان شاهد عيان لحوادثها . فمثلا : حين يذكر (مع متى) أن يسوع أخذ ولداً وأقامه فى الوسط ؛ يقول متى « فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه

فى وسطهم » (متى ١٨ : ٢) بينما يقول هو « فأخذ ولدا وأقامه فى وسطهم ثم احتضنه وقال لهم » (مر ٩ : ٣٦) هذه الكلمة احتضنه تعطى صورة حية متحركة للمشهد . وهكذا يفعل فى قصة مجىء الأطفال إليه وتوبيخه لتلاميذه على منعهم إياهم من الاقتراب منه ، إذ يقول« ... واحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم » (مر ١٠ : ١٣ـ ١٦) قابل متى ١٩ : ١٣ ـ ١٥ ، لوقا ١٨ : ١٥ ـ ١٧] وفى قصة إشباع الخمسة الآلاف يرسم صورة الحادثة فى قوله « .. واتكأوا صفوفا صفوفا مئة مئة وخمسين خمسين » (مر ٦ : ٤٠) . وما أقوى الصورة التى يرسمها لوحده يسوع حين سار إلى أورشليم فى قوله « وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع ... » (مرقس ١٠ : ٣٢ قابل متى ٢٠ : ١٧ ، لو ١٨ : ٣١) . بل هناك عبارة واحدة يضيفها مرقس فى قصة اسكات البحر فتجعلها حية شاهدة على أن قائلها كان شاهد عيان . . هذه العبارة هى « وكان هو ... على وسادة نائما » .

ألا تشهد هذه كلها على أن أحد شهود العيان هو الذى يذكر هذه التفاصيل ؟ أولا تثبت هذه الشهادة أن أصل هذه القصص من بطرس ؟

٥ — ويمتاز مرقس كذلك بواقعيته وبساطته . وتظهر هذه البساطة فى الأمور التالية :

(ا) لا يهتم كثيراً بالأساليب البليغة بل يذكر قصته فى بساطة الطفل وحماسته ، ولهذا فهو يرص عباراته الواحدة تلو الأخرى ولا يربط بينهما إلا بحرف العطف « و » كما يفعل فى الاصحاح الثالث إذ ذكر (٣٤) عبارة وجملة بعد فعل رئيسى واحد ولم يربطها إلا بحرف العطف « و » .

(ب) وهو مغرم كثيراً باستعمال الكلمتين « للوقت » « وفى الحال » فاستخدمها حوالى ٣٠ مرة فى إنجيله وهو يفعل ذلك فى حماس واندفاع فى سرد قصته وهو يستطيع بذلك أن يضع فى نفوس القراء نفس الأثر الذى يشعر به هو .

(حـ) وكثيراً ما يستخدم الفعل المضارع فى سرد حوادث قد مضت (٢: ١٧، ١١ : ١ر٢ ، ١٤ : ٤٣) هذا بالضبط ما يفعله الرجل البسيط فى سرد قصته حتى يجعل منها حركة مستمرة

(د) ومن امتيازاته أيضاً أيضاً أنه كثيراً ما يذكر نفس الكلمة الأرامية التى خرجت من فم يسوع فى بعض المواقف الخطيرة ، مثل : « طليثا قومى » ٥ : ٤١ ، إفثا (٧ : ٣٤) ، « قربان » (٧ : ١١) ، « أبا الآب » (١٤ :٣٦) « الوى الوى لما نفسه شبقتنى » (١٥ : ٣٤) . ويلوح لنا أن هذه الكلمات كانت ترن فى أذن بطرس حين كان يذكر قصة سيده ، فلم يكن يغالب نفسه فى ذكرها دون ترجمة لها .

الانجيل الجوهرى :

إننا لانجانب الصواب إذا ما وصفنا إنجيل مرقس بأنه الانجيل الجوهرى. وحسنا نفعل إذا درسنا هــذا الانجيل الأول فى ترتيبــه الزمنى فى حب إنه الانجيل الذى نسمع فى ثناياه صوت وإعزاز وتدقيق . . بطرس الرسول واعظا .

التفسير

بدء القصة

اَلأَصْحَاحُ اَلأَوَّلُ

بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ .

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ . هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ . صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً . كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا .

(مرقس ١ : ١ — ٤)

يبدأ مرقس قصته من أعماق القدم ، فقصة يسوع لم تبدأ حين ظهر يوحنا المعمدان فى البرية ، ولا حتى عندما ولد وجاء فى أرضنا ، إنها تبدأ فى أحلام الأنبياء الأقدمين ، بلا بل إنها بدأت فى علم الله وتدبيره قبل ذلك بكثير. فأعمال الله معروفة لديه . ولقد صدق مرقس أوريليوس الرواقى فى قوله « إن أعمال الله مملوءة حكمة ، إن كل الأشياء تنبع من السماء » .

ومن هذه الأعداد نتعلم بعض الأشياء :

١ — حسنا قيل عن تفكير الشباب إنه تفكير طويل ، وهكذا

تدبيرات الله . فهو عندما يجرى قصده يجريه فى تأن وإتقان ، والتاريخ لا يعتبر مجموعة من الحوادث المخلخلة لا رابط لها ، بل هو عمل متصل متواصل يوجهه الله - الذى يعرف النهاية وقت البداية - إلى هدف سام عظيم .

٢ — ولكن هذا التدبير الإلهى يضع علينا نحن مسئولية عظمى لأننا لسنا منعزلين عن دائرته بل إننا فى الحقيقه هدفه ، ولهذا فقد نساعد بمجهودنا على تحقيقه وقد نكون السبب فى تعطيله أو تأخيره ، وكم تصبح حياتنا غنية ممتلئة إذا عملنا بكل ما نستطيع من جهد أن نقرب ذلك اليوم الذى فيه يتحقق هدف الله السامى وتدبيره الأفضل . وحسنا قال الشاعر :

« فى شبابى حين كنت عاجزا عن الغناء
امتنعت حتى عن كتابة الأغنية
ولم أزرع شجرة صغيرة على جانب الطريق
لأننى عرفت أن نموها ستطول أيامه
ولكن السنون أعطتنى الحكمة والعلم
علمتنى أن البركة فى أن أزرع ، وشخص آخر يسقى
وإن أكتب أغنيتى . وشخص آخر يغنيها » .

فالهدف لن يتحقق ما لم يكن هناك من يعمل ويساعد على تحقيقه .

والنبوة التى يقتبسها مرقس مملوءة بالمعانى :

« ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء الطريق قدامك » .

وردت هذه النبوة فى سفر ملاخى ٣ :١ ولقد نطق بها النبى تهديداً للشعب

فى العهد القديم فكهنته لم يكونوا فوق مستوى الشبهات ، وذبائحه لم تكن سليمة لأنقة بمذبح الرب ، وعبادة الهيكل أصبحت ثقلا على الشعب والكهنة ، ولهذا هددهم الرب بارسال ملاكه حتى يطهر الهيكل من العبادة الفاسدة ويهيء الطريق قدام المسيح . فمجيء المسيح كان لهدف أسمى هو تطهير الحياة فى عالم كان فى مسيس الحاجة لهذا العمل الجبار . وما أشر العالم أيام مجيء المسيح : فروما سيدة العالم فى ذلك الوقت وصفها سينكا بأنها بؤرة فساد وقال عنها جوفينال « إنها بركة قذرة كانت أوحال الشرق والغرب تصب فيها » ولم يكن غير المسيحية العلاج الناجح لها . وليست هذه باسطورة خرافية بل هى حقيقة واقعية تشهد على صحتها أمجاد تأثير المسيحية فى عصرنا الحاضر . ومما يذكره بروس بارثون الصحفى المعروف أنه فى بدء حياته الصحفية طلب إليه أن يكتب سلسلة مقالات مندداً بعمل بلى صنداى المبشر الشهير . فاختار لذلك ثلاثة مدن عمل فيها هذا المبشر وبدأ يتحرى تأثيره فيها . ولما سأل جماعة من التجار عنه ذكروا له أن كثيرين منهم بعد أن تركوا الاجتماعات التى كان يعظ فيها صنداى ذهبوا توا ليدفعوا ما عليهم من ديون كانوا يماطلون فى دفعها . ثم سأل رئيس الغرفة التجارية فى المدينة الثانية فأجابه هذا بالحرف الواحد« أنا لست عضوا فى كنيسة ما ولم احضر اجتماعا دينيا فى حياتى ولكن دعنى أقول لك إنه لو أتى بلى صنداى إلى المدنية وعرفت أن نتيجة عمله ستكون مماثلة لما فعله فى مدينتنا من قبل لجمعت له كل تكاليف رحلته فى الحال . لقد كلف المدينة ١١ ألف دولار طيلة مدة خدمته هنا ولكنه ترك أثرا لن ننساه بينما يكلفنا سيرك يعمل هنا ثلاثة أضعاف هذا المبلغ فى اليوم الواحد ولكن لا نستفيد منه شيئاً» . وبهذه الكيفية أضحى التعريض الذى أراده هذا الصحفى بهذا المبشر العظيم

أكبر شاهد على قوة المسيحية المطهرة . وما لنا نذهب بعيداً ، فعندما وعظ بلى جراهام فى مدنية شريفيبورت بولاية لويزيانا انخفضت فيها تجارة الخمور بمعدل ٤٠٪ وارتفع توزيع الكتاب المقدس بمعدل ٣٠٠٪ ، وعندما خدم فى سيتل انخفضت نسبة الطلاق بشكل ملحوظ ، وفى مدينة جرينبور بولاية كارولينا الشمالية تأثر النظام الاجتماعى كله من تأثير خدمته .

بل لعل من أروع القصص عن عظمة تأثير المسيحية هو ما ذكر فى تاريخ ثورة سفينة بونتى : فعندما قامت الثورة بين بحارة السفينة تغلب القائد ثم ألقى بالثوار على شواطىء جزر بنكارين ، وكانوا جماعة مكونة من تسعة بحارة وتسعة رجال وعشر نساء من الوطنيين وفتاة فى الخامسة عشرة من عمرها . ولقد نجح واحد من هذه الجماعة فى استخلاص مادة مخدرة من الاعشاب فكان هذا العمل سبباً فى هلاكهم جميعاً ما عدا رجلا إسمه الكساندر سميث كان يمتلك كتاباً مقدساً يقرأه باستمرار . وقد فكر سميث هذا فى بناء مستعمرة مسيحية تبنى حياتها على تعاليم الكتاب المقدس ، وقد نجح فعلا . وبعد عشرين سنة من هذه الحوادث زارتهم أول سفينة أمريكية صغيرة فوجدت هناك العجب : إنها لم تجد سجنا واحدا لأنه لم تكن هناك جرائم ، لم تجد مستشفى لأنه لم يكن هناك مرض ، لم تجد مصحات عقلية لأن الجميع كانوا أصحاء نفسيا وعقليا ، لم يكن هناك أميون ، ولم تكن هناك سرقات بل كان المكان الوحيد على وجه الأرض الذى تبقى فيه الممتلكات فى أمان أينما وجدت . هذا كله من عمل المسيحية ، فأينما فتح الباب للمسيح طهر الإيمان المسيحى المجتمع من آفة الأخلاق الضائعة وتركه نظيفاً مقدساً .

يوحنا يكرز بمعمودية التوبة : (عدد ٤)

لقد كانت الحياة اليهودية حياة تطهير خارجي بواسطة غسلات طقسية مذ كورة فى لاويين ١١ - ١٥ . ويقول ترتليان عن اليهودى إنه كان يطهر نفسه يومياً لأنه كان يتنجس كل يوم . فالتطهير بالغسلات كان عنصراً أساسياً فى الديانة اليهودية ، ولهذا السبب اعتبروا الأمم جماعة نجسة لأنهم لا يؤمنون بالشريعة الموسوية ، وحتموا على كل دخيل أممى إلى اليهودية أن يقوم بثلاثة طقوس : الأول أن يختتن لكى يدخل فى جماعة العهد ، والثانى أن يقدم ذبيحة خطية لتغفر له خطاياه ، والثالث أن يتعمد لكى يتطهر من حياته السابقة النجسة. فالمعمودية فى نظرهم ليست رش الجسم بالماء بل غسله وتطهيره بالمياه المقدسة ، وبهذا العمل يصبح الأممى يهوديا .

ولكن الأمر الغريب فى كرازة يوحنا أنه كان يطلب من اليهود أنفسهم أن يتعمدوا لافرق بينهم وبين الأممى فى ذلك ، وبهذا العمل أعلن يوحنا المعمدان حقيقة رائعة - كان أول من اكتشفها - وهى أنه لكى يكون الفرد من شعب الله لايكفى أن يكون يهوديا لأن اليهودى والأممى سواء فى نظر الله جميعاً يحتاجون إلى غفران الخطايا فليست الحياة اليهودية هى التى يطلبها الله بل الحياة للطهرة .

ويصاحب هذه المعمودية الاعتراف ، وفى رجوعه إلى الله يجب أن يعترف الإنسان لثلاثة شخصيات مختلفة :

١ — يجب أن يعترف لنفسه : إن الإنسان - لطبيعته البشرية - يغمض عينيه عن كل شىء لايريد أن يراه ، فبالأولى جدا يغمضها عن خطيته هو

ويحاول أن ينساها . فالخطوة الأولى إذن هى أن يعترف لنفسه على نفسه، ويذكر أحدهم اختباره ويقول إنه خطا الخطوة الأولى فى طريق النعمة عندما نظر إلى نفسه فى المرآة ذات صباح فلم يرَ سوى مخلوقاً قذراً دنساً . كان هذا نفس إختبار الإبن الضال فقد كان يظن فى نفسه عندما ترك بيت أبيه أنه شاب مغامر جرىء ، ولكنه عندما بدأ يرجع إلى نفسه قال أقوم وأرجع إلى بيت أبى وأقول له إننى مخلوق دنس تعس . هذه هى الخطوة الأولى وهى أشق خطوة ، فمواجهة نفسك على حقيقتها البداية الحقيقية فى مواجهتك لله .

٢ — أن يعترف إلى كل من أساء إليهم ، فلن ينفع الإنسان شيئاً أن يذهب ليعترف لله إن لم يذهب أولا ويعترف لإخوته بإساءته لهم . فالحواجز التى تحجب الإنسان عن أخيه يجب أن تزال أولا ثم بعد ذلك الحواجز التى تحجب الإنسان عن الله . يقولون إن الطابع الأساسى للنهضة التى حدثت فى كنيسة أفريقيا الشرقية كان الاعتراف ، وحدث أن زوجين جاءا إلى الخادم الوطنى ليعترفا له إنهما تشاجرا فى المنزل فكان رد الخادم عليهما « كان يجب عليكما أن تتصالحا قبلا ثم تأتيا لتعترفا بذلك » ؛ نعم إن الاعتراف لله أسهل بكثير من الاعتراف للاخوة ، ولكن الغفران يتطلب التواضع .

٣ — أن يعترف الانسان لله . إن نهاية الكبرياء هى بداية الغفران ، وعندما يقرع الانسان على صدره قائلا « أخطأت » يجيبه الله « لقد غفرت » فالانسان الذى ينال المغفرة هو الشخص الذى يأتى إلى الله لا كند له بل فى توبة وخضوع وحزن قائلا « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » .

وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ . وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبْلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا . وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ . أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ .

(مرقس ١ : ٥ — ٨)

من الواضح أن إرسالية يوحنا كان لها التأثير الفذ على الجماهير فقد سعت إليه فى جماعات كبيرة لتسمع كلماته وتعتمد منه ، فما هو السر الذى جعل ليوحنا هذا التأثير الكبير ؟ هناك عدة أسباب :

١ — السبب الأول هو أن يوحنا لم يقتصر على الوعظ فقط بل كانت حياته رسالة حية حقيقية ، فإن كانت عظاته إحتجاجاً صارخاً ضد عصره فإن حياته أعلنت هذا الاحتجاج فى صورة حية متحركة . وظهر هذا الاحتجاج الحى فى صور ثلاث :

(ا) فى المكان الذى اختاره سكناً له : فقد سكن فى برية اليهودية التى تقع بين أورشليم مركز اليهودية والبحر الميت . وهى صحراء مروعة إذ تعتبر من أقسى صحارى العالم . فالأحجار الجيرية التى تتوهج فى حرارة الشمس فتؤذى

الأرجل والأعين تملؤها ، وسطحها الغير مستو الذى يرتفع فيصل إلى ارتفاع مرتفعات البحر الميت ثم ينخفض فجأة إلى مستوى البحر الميت الذى يعد من أكثر أمكنة العالم انخفاضاً ، يجعل منها مكاناً غير مريح بل يجعله من أقسى الأمكنة وأشدها شظفاً. ولهذا سمى فى العهد القديم « جشمون » أى الخراب والدمار . . فى هذا المكان الموحش سكن يوحنا المعمدان بعيداً عن قصور الملوك .. وفيه أيضاً كان يسمع صوت الله .

(ب) ثم فى الثياب التى كان يلبسها : فقد كان لباسه من وبر الجمل وكان يضع منطقة من الجلد على حقويه تماماً كما كان يفعل إيليا [٢ مل ١ : ٨] وبهذا أظهر للعالم إنه اختار طريق الأنبياء فى العهد القديم فى بساطتهم وخشونة عيشهم وتركهم لملذات عصرهم وبهرجته .

(حـ) وأخيراً فى طعامه : فقد كان جراداً وعسلا برياً . وتحمل هذه الكلمات معنيين : فالجراد إما أن يكون الحشرة المعروفة للجميع ولقد أباحت الشريعة أكلها [لاوين ١١ : ٢٢ و٢٣] وإما أن يكون نوعاً من البقول اسمه « كاروب » وكان طعام الفقراء المعدمين . وكذلك العسل البرى : فإما أن يكون شهد النحل وإما أن يكون عصارة الأشجار التى تتساقط من خدوش فى جذعها ؛ وسواء أكان هـــذا أم ذلك فإنما المهم هو أن طعام يوحنا كان فى غاية البساطة . .

لهذا الإنسان أصغى الناس لأنه كان إنساناً يعيش رسالته التى يقدمها للناس فى كرازته ، وكم من رسائل ضاعت لأن حامليها كانوا يحيون على خلاف ما يبشرون به . كان يبشر ساكن القصر بالتقشف وينادى صاحب الملايين بأن

يكنز الناس كنوزهم فى السماء . وحديثاً أراد كارليل أن يعلم الناس الصمت فكتب تعاليمه فى عشرين مجلداً ! !

٢ — وكانت رسالته مؤثرة لأنه عبر للناس عما يعتمل فى نفوسهم وكشف لهم عن رجائهم وانتظاراتهم وظهر ذلك فى ناحيتين :

(ا) قديماً قال علماء اليهود : « إنه لو حفظ كل اليهود كل الناموس حفظاً تاماً لمدة يوم واحد لظهر ملكوت الله فى الحال . ولطالما تمنى الناس إتمام هذا القول ، وعندما جاء يوحنا كان يكرز لهم بالتوبة وهى عين ما كان يتمنون عمله والقيام به ، ولهذا أصغوا إليه لأنه عبر عن أعماق أمنياتهم ، ولقد ذكر أفلاطون فى حديثه شيئاً مثل ذلك إذ قال : « إن التعليم الحقيقى ليس أن تعطى الناس شيئاً جديداً بل أن تبصرهم بما فى نفوسهم » . فلا توجد هناك رسالة أبلغ من الرسالة التى تخاطب الضمير إذا نادى بها الشخص الصحيح .

(ب) وكان اليهود فى عصر يوحنا متلهفين على سماع صوت الله من نبى كما سمع أجدادهم ، ولكن صوت النبوة كان قد انقطع لمدة ثلاثمائة عام وفجأة ظهر يوحنا وعرف فيه الشعب النبى الذى يحمل كلمة الله ، ولا غرابة فى ذلك فالعين لا تستطيع أن تخطىء الرجل الصحيح والأذن لابد وأن تعرف صوت النبى الحقيقى ، ولقد ذكر أحد عازفى الكمان المشهورين عن توسكانينى أنه حالما صعد على منصة القيادة عرف فيه كل أفراد الأوركسترا القائد الحقيقى ، وكان سلطانه عليهم كبيراً ، وما أسهل أن يعرف الطبيب الماهر والخطيب للفوه ، وبهذه الكيفية جاء يوحنا المعمدان ينادى بكلمة الله :

٣ — وكان تواضعه عاملا أصيلا فى صبغ رسالته بالقوة والتأثير . ألم يعتبر نفسه أقل من عبد ينحنى ليحل سيور حذاء سيده ؟ ويستطيع المرء أن يدرك عمق هذا القول عندما يعرف أن الحذاء فى ذلك العصر لم يكن سوى قطعة من الجلد تغطى باطن القدم تربطها بالقدم سيور جلدية ، ولهـــذا فقد كان يمتلىء بالتراب والوحل فى طرق فلسطين الخشنة . إن يوحنا ينسى نفسه ، إنه يعرف رسالته فقط . . إن المسيح فى عقيدته هو كل شىء أما هو . . فلا شىء . هذا التواضع كان من أكبر الدوافع للناس أن يسمعوه .

٤ — وبمعنى آخر كان يوحنا يشير إلى شخص وإلى شىء بعيدين عن نفسه . فمعموديته كانت معمودية المـاء التى لا تؤدى إلا إلى إزالة وسخ الجسد ، أما للمسيح الآتى فسيعمدهم بالروح القدس الذى يطهر قلوبهم . ولقد عبر ج ج جفرى عن هذا الموقف الجليل بتشبيه جميل إذ قال أنه عندما يطلب صديقاً ما بالتليفون قد يتأخر وصول الخط التليفونى إليه ، ويسمع صوت عامل التليفون يقول : « إننى أحاول أن أوصلك بالخط حالا » وحالمـا يتصل الخطان معاً ويسمع صوت صديقه يختفى عامل التليفون منكراً لذاته ولنفسه . هذا ما فعله يوحنا المعمدان إنه لم يحاول أن يكون مركز الاهتمام بل كان يعمل جاهداً أن يتوصل الناس بمن هو أعظم وأقوى منه ، ولقد سمع الناس له لأنه لم يشر إلى نفسه بل كان يشير إلى الشخص الذى يحتاج إليه الجميع .

اليوم الفاصل

وَفِى تِلْكَ الأَيَّامِ جاَءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِى الأُرْدُنِّ . وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صاَعِدٌ مِنَ الْماَءِ رَأَى السَّمٰوَاتِ

قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ . وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمٰوَاتِ . أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ .

(مرقس ١ : ٩ — ١١)

يقف المتأمل حائراً أمام مجيء يسوع للمعمودية على يدى يوحنا المعمدان ، فقد كان يوحنا يقصد بمعموديته أن تكون للتوبة والندم على الخطايا السالفة والعزم على تركها ، فما ليسوع وهذه المعمودية وهو المعصوم من الخطية ؟ ألا يعد هذا العمل بالنسبة له غير ضرورى بل غير لائق ؟ كلا ، لقد كانت المعمودية ليسوع تعنى أموراً أربعة :

١ — لقد كانت بالنسبة له اليوم الفاصل .. يوم التقرير الحاسم ، لقد مكث ثلاثين سنة فى الناصرة أميناً فى عمله اليومى وواجباته المنزلية ، ولكنه كان يترقب الساعة التى تأتيه فيها الدعوة للعمل ، كان ينتظر العلامة ولقد رآها فى ظهور يوحنا المعمدان ، فقد رأى فى ظهوره إشارة من السماء له لكى يبدأ عمله الإلهى . وهكذا فى حياة كل إنسان تأتى لحظات فاصلة يقف فيها الإنسان أمام تحد خطير : فإما أن يقبلها فينجح فى حياته وإما أن يرفضها أو يؤجل عملها فيكون مصيره الفشل المرير ، كما قال لويل :

« لكل أمة ولكل رجل لحظة فاصلة .

لكى يقف للشر أو للخير فى نضالها الأبدى

إنها قضية الله ، بل مسيحه الجديد الذى يهبنا الازدهار أو الجفاف .

وتذهب الفرصة إلى الأبد « وهو يمرج بين النور والظلام »

نعم فلكل إنسان تأتى لحظة العزم الذى كما يقول شكسبير :

في حياة الناس توجد حركة مد وجزر

فمن ينتهز فرصة المد فلسوف يحمله حيث الراحة والغنى

ولكن إذا رفضه فسوف تكون رحلة الحياة

متعذرة فى الوحل والتعاسة » .

فالحياة الضائعة . . الحياة المضطربة المشوشة . . الحياة القلقة الجائعة . . الحياة التى تنحدر إلى الهاوية هى الحياة التى لا عزيمة فيها كما يقول أوكسنهام :

« لكل إنسان يتفتح طريق وطرق .

والنفس ذات الهمة العالية تجرى فوق السكك الممتدة .

والنفس ذات الهمة القعيسة تتردى فى المنخفضات .

وبين الآثنين فى طريق الضباب .

يتعثر كثيرون بين هذا وذاك » .

فالحياة المنجرفة مع التيار لا يمكن أن تكون حياة سعيدة ، ولهذا فعندما رأى يسوع أن ظهور يوحنا هو إشارة السماء إليه للبدء خرج إلى العمل بكل همة ولم تجذبه الحياة الهادئة وسط أسرة كريمة فى قرية مسالمة ، لقد ترك الجميع ولبى نداء الآب .

٢ — لقد كانت فرصة لتحقيق ذاتيته :

لم يكن يسوع فى حاجة إلى التوبة لأنه كان بلا خطية ، ولكنه مع ذلك

شارك الناس فى هذه الحركة . . حركة الاتجاه إلى الله ، مثله فى ذلك مثل الثرى الذى لا حاجة له إلى مال أو رفاهية ولكنه يشارك فى حركة شعبية تقصد خلق مجتمع عظيم يجد فيه الفقراء المعوزون حاجاتهم الجسدية والنفسية . فتحقيق الذاتية لا يتأتى إلا إذا شارك المرء فى حركة لا لأجل منفعته الشخصية بل لأجل الآخرين . يقول يوحنا بنيان فى كتابه سياحة المسيحى أن المسيحى فى سيره مع المفسر جاء إلى قصر منيف يحيط به حراس أشداء يمنعون الناس من دخوله ، وكان على الباب رجل يمسك بقلمه ليكتب اسم أى رجل يريد أن يهجم ليدخل ، ولكن الناس كانوا متراجعين إلى الوراء من الخوف ، وعلى حين فجأة رأى المسيحى رجلا ضخما تقدم بكل شجاعة وقال « سيدى أكتب اسمى عندك » . هذا ما يجب أن يفعله المسيحى ، وهذا ما فعله يسوع عندما جاء ليعتمد من يوحنا .

٣ — لقد كانت فرصة موافقة الآب على عمله :

لا يستطيع أى إنسان أن يترك أهله وعشيرته إلى بلاد بعيدة إلا إذا تأكد أنه يسير فى الطريق الصحيح ، وهكذا فعل يسوع ، فقد عرف أنه يدعى للعمل فخرج وذهب لينال استحسان الآب وموافقته . كان اليهود فى ذلك الوقت يعتقدون بما يسمى « باث قول » أى « ابنة الصوت » ومعنى هـذا أن الله موجود فى السماء السابعة ساكن فى نور لا يدنى منه ولا يستطيع إنسان أن يسمع صوته ، أما مايسمعونه الآن فما هو إلا صدى بعيد منه ، لكن يسوع إختبر غير ذلك لقد جاءه الصوت مباشرة وكما يقول مرقس خاطبه الصوت الإلهى « أنت ابنى الحبيب » فكان الصوت له لا للجماهير كما يصرح بذلك متى عندما يعلن أن الصوت مال « هذا هو ابنى الحبيب » .

ففى المعمودية أعلن يسوع خطته للآب ونال استحسانه وموافقته .

٤ — فرصة الإعداد .

فى تلك الفرصة نزل الروح القدس على يسوع وكان فى هذا العمل رمزية واضحة ، فنزول الروح القدس عليه فى شكل حمامة كان يعبر عن مغزى رسالته وجوهرها . . إنها رسالة اللطف والمحبة ، فما أبعد الشقة بينها وبين رسالة يوحنا المعمدان التى كان شعارها فأسا موضوعا على أصل الشجرة (متى ٣ : ٧ — ١٠ ، لو ٣ : ٩) . لقد جاء يسوع معلنا قلب الحب والحنان . . جاء فاتحا ، ولكن سلاحه القوى المحبة .

وقت الاختبار

وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ . وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ . وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدُمُهُ .

(١ : ١٢ و ١٣)

حالما انتهت ساعة التمجيد عند المعمودية بدأت ساعة التجربة فى البرية . ولكن هناك أمر على جانب عظيم من الأهمية وهو أن الروح الذى نزل على يسوع وقت المعمودية للتمجيد كان هو بنفسه الذى حمله إلى البرية لمواجهة التجربة . هذا يعلن أن التجارب أمر ضرورى ولازم فى هـــذه الحياة ، وهى لاتقابلنا لكى نسقط ونفشل بل لكى تتثبت أقدامنا وتتجدد قوى عقولنا

ونفوسنا ، إنها ليست لضياعنا بل لخيرنا . . إنها لتخلق منا جنودا أقوياء أشداء لله . لنفرض أن مدربا رأى لاعبا صغيرا فى فريق الدرجة الثانية يلعب بمهارة وكفاءة فماذا يعمل له ؟ هل يرسله إلى فريق الدرجة الثالثة ، أم إلى فريق الدرجة الأولى ؟ بلا شك يرسله إلى الفريق الأكبر لأنه لو أرسله إلى الفريق الثالث لعوده الكسل والخمول ولكن فى فريق الدرجة الأولى يجد نفسه مضطراً إلى التمرين المتواصل وبذل الجهد العظيم حتى يساير هـــذا الفريق الكبير . هذا بالضبط هو الهدف الأول للتجربة ، إنها اختبار لإثبات رجولتنا ولتقوية عضلاتنا .

اربعين يوما : هو عدد رمزى يجب ألا يؤخذ حرفيا ، فهو رقم يهودى يعبر عن مدة معينة من الزمن ؛ فقد قيل عن موسى أنه بقى أربعين يوما فى الجبل مع الله (خروج ٢٤ : ١٨) وعن ايليا أنه سار أربعين يوما بقوة الأكلة التى أعطاها له الملاك (١ ملوك ١٩ : ٨) إنها عادة تشابه عادتنا عندما نقول عشرة أيام ونقصد بها مدة من الزمن ، فأربعين يوما ليست مدة حرفية ولكنها تعبر عن مدة طويلة نوعا ما .

الشيطان

لقد كان الشيطان هو الذى واجه يسوع فى البرية ، ويجدر بنا أن ندرس شيئاً عن تطور فكرة الشيطان . فالكلمة العبرية التى تترجم شيطان كانت تترجم « مقاوم » ولقد أطلقت هذه الكلمة على بعض الأفراد من المقاومين أو الأعداء فملاك الرب هو المقاوم الذى يقف ضد بليعام [عدد ٢٢ : ٢٢] والفلسطينيون يخافون لئلا ينقلب داود مقاوما لهم [١ صموئيل ٢٩ : ٤] وداود يعتبر أبيشاى

ابن صروية مقاوما له [٢ صموئيل ١٩ : ٢٢] ويفرح سليمان لأن الرب منحه السلام الكامل حتى أنه لم يجد مقاوما ضده [١ مل ٥ : ٤] . ولهذا بدأت الكلمة بمعنى المقاوم .

ولكن مع مرور الزمن يحدث تطور لهذه الكلمة فتستخدم بمعنى المشتكى وبهذا المعنى استخدمت فى الأصحاح الأول من سفر أيوب . حيث يظهر أن الشيطان يعتبر واحداً من أبناء الله (أيوب ١ : ٦) ولكنه اختار لنفسه عملا قاسياً وهو أن يفتش فى حياة الناس حتى يجد مايشتكى به ضدهم أمام الله (أيوب ٢ : ٢ وزكر ٣ : ٢) فعمله هنا هو أن يقول ما يمكن أن يقال ضد أى فرد . أما اللقب الثانى للشيطان فى تلك الفترة فهو الشرير وهى ترجمة للكلمة اليونانية « diabolos » ومعناها الحرفى : « المفترى » وهذا ما يبعد كثيرا عن المعنى السابق : أى أنه الشخص الذى يغتاب شخصا آخر مفتريا عليه فى محضر الرب . ومع ذلك ففى العهد القديم يستمر الشيطان رسولا للرب فالمعنى لم يكن قد تطور بعد حتى يظهره عدوا لله ، إنه العدو المقاوم للانسان .

ولكن معنى الكلمة لا يبقى كما هو بل يتطور . وقد ساعد على هـــذا التطور بقاء اليهود مدة طويلة فى بلاد فارس أثناء السبى ، فالفرس يعتقدون أن فى الكون قوتين تتطاحنان : قوة النور وتتمثل فى الإله أو رمود وقوة الظلام وتتمثل فى الإله أهريمان وعلى الإنسان أن يختار لنفسه أحد الطرفين . وهذا تفسير للحياة تؤيده وقائع الحياة نفسها . وأخذ اليهود هذه الفكرة وعرفوا أن المقاوم لا يقف ضد الإنسان فقط بل ضد الله أيضاً ، وهذا المقاوم هو الشيطان نفسه فلا يوجد إلا مقاوم واحد .

وعندما نأتى إلى العهد الجديد يتضح لنا أن الشيطان هو الذى يقف وراء أمراض وآلام البشر (لوقا ١٣ : ١٦) وهو الذى ملأ قلب يهوذا ليخون سيده (لو ٢٢ : ٣) وهو العدو الذى يجب أن نحاربه (١ بط ٥ : ٨ و ٩ ويعقوب ٤ : ٧) ولكنه مع ذلك انكسر أمام عمل المسيح (لوقا ١٠ : ١ - ١٩) وهو الآن محفوظ للهلاك الأبدى (مى ٢٥ : ٤١) . إنه القوة التى تقف ضد الله .

هنا فقط يتضح لنا المعنى العميق لتجربة المسيح فى البرية ، فقد كان يعرف أنه جاء ليعمل عملا جباراً ، ويشعر أنه قد زود بقوة هائلة ليقوم بهذا العمل ، وجاء إلى البرية وحيداً لكى يقرر الطريقة التى بها يتمم عمله هذا . لقد كانت رسالة الآب له « خذ محبتى للناس .. أحببهم حتى تموت لأجلهم ، اجذبهم إليك حتى وإن أدى ذلك إلى رفعك على الصليب » وهنا يدخل الشيطان المفترى ليقول له « آه إن لك قوة جبارة . . استخدمها فى سحق الإنسان الخاطىء . . حطمه .. أقم ملكوتك بقوة السيف » الآب يطلب منه أن يقيم ملكوت المحبة والشيطان يجربه بأن يقيم ملكوت القوة والدكتاتورية — وكان على يسوع أن يختار بين الإثنين .

وهنا ينهى مرقس قصته القصيرة عن تجربة بلمستين إنسانيتين :

١ — إن الوحوش كانت رفيقة المسيح . عندما تسمع فى البرية زئير الفهد والدب ، ونرى الخنزير البرى وابن آوى نحس بانقباض ورعب فى الصورة المعطاة لنا ، ولكن هذا لم يكن شعور يسوع فقد كانت الوحوش أصدقاء له ، ولقد كان حلم الأنبياء الأقدمين أنه فى أيام المسيا سوف تزول العداوة بين

الإنسان والوحوش ، ويقول هوشع « وقطع لهم عهداً فى ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات السماء .. » [هوشع ٢ : ١٨] ويقول إشعياء « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى .. ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على جحر الإفعوان لا يسؤون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى » (١ ش ١١ : ٦ — ٩) . ولعل فرنسيس الأسيسى وهو يعظ للحيوانات كان يتنبأ بالحالة الجميلة التى يملك فيها البر والسلام بل لعل الوحوش أثناء التجربة عرفت قبل أن يعرف الإنسان نفسه أن هذا هو ملكها .

٢ ـ وكانت ملائكة تخدمه : عندما تواجهنا التجربة نجد هناك المعونة الإلهية فعندما حوصر اليشع وغلامه فى دوثان ورأى الغلام أنه لا مفر من الهلاك ، فتح النبي عينى الغلام فرأى جند الرب ومركباته تملأ الجبل (٢ ملوك ٦ : ١٧) . إن الآب لم يترك يسوع يحارب حروبه وحيداً .. وهكذا يفعل معنا أيضاً .

البشارة المفرحة

وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ . وَيَقُولُ قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ . فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ .

(١ : ١٤ — ١٥)

هذه الرسالة المختصرة التى نادى بها المسيح تحتوى على ثلاث كلمات لها أهمية قصوى للايمان المسيحى وهى :

١ - الانجيل :

ورسالة يسوع كانت إنجيل أو بشارة والكلمة اليونانية euaggelion التى ترجمت بشارة أو إنجيل لها مضمون عميق فى العهد الجديد .

(ا) انجيل الحق : [غلاطية ٢ : ٥ ، كو ١ : ٥] حاول الناس قبل مجىء المسيح أن يبحثوا عن الله فلم يزيدوا عن التخمين ، ولهذا يصرخ أيوب : « من يعطينى فأجده » . [أيو ٢٣ : ٣] ويصرح مرقس أوريليوس « إن النفس لا تستطيع أن ترى بوضوح — وهو يستعمل كلمة تضىء ترى فى الماء » . ولكن عندما جاء يسوع بدأ الناس يعرفون الله ويلمسونه ولم يعد لهم حاجة بعد إلى التخمين .

(ب) انه انجيل الرجاء : (كولوسى ١ : ٢٣) ولكم عم اليأس والتشاؤم قلوب الناس قبل مجىء المسيح ، فيتحدث سينكا عن عجز الإنسان عن نوال الأشياء الضرورية لأنه انهزم فى نضاله ليكون صالحاً ، ولكن عندما جاء يسوع جاء بالرجاء للبشرية .

(ج) انه انجيل السلام : [أفسس ٦ : ١٥] إن مأساة الإنسان الكبرى هى انقسام شخصيته فهو ملاك متحد مع شيطان فى رباط غريب . ولقد قيل عن شونبهور الفيلسوف المتشائم أنه كان يتجول مرة على غير هدى فسأله أحدهم « من أنت ؟ » فأجابه شونبهور « ليتك تخبرنى أنت من أنا » ويقول

روبرت برنز « إن حياتى تذكرنى بمعبد متهدم يختلط فيه المجد والعظمة بالضياع والخراب » فالمشكلة البشرية تكمن فى أن الإنسان موزع بين البر والشر ، ولكن يسوع يستطيع أن يوحد تلك الشخصية المنفصمة فى وحدة متكاملة ، ونصرته معناها رد السلام إلى الإنسان .

(د) **انجيل مواعيد الله** : [أفسس ٣ : ٦] فى كل زمان ومكان ودين كان الناس يظنون أن الله إله الوعيد لا إله الوعد يطالب ولكنه لا يعطى ، ولكن المسيحية وحدها هى التى أعلنت أن سرور الله الكامل هو فى أن يعطى لا أن يأخذ .

(هـ) **انجيل الخلود** : [٢ تيمو ١ : ١٠] إن فكرة الوثنى عن الحياة هى أنها طريق إلى الموت فالإنسان مخلوق مائت ، ولكن يسوع أعلن أن الإنسان خلق للحياة وليس للموت .

(و) **انجيل الخلاص**: [أفسس ١ : ١٣] والخلاص هنا لا يعنى حالة سلبية ولكنه عمل إيجابى فهو ليس فقط فى التحرر من الخطية الماضية وعقابها ولكنه القوة للحياة المنتصرة على قوة الشر . فرسالة يسوع حقاً هى رسالة مطمئنة .

٢ – التوبة :

يفتقد بعض الناس خطأ أن التوبة شىء سهل ، ولكنها ليست كذلك ، فالكلمة اليونانية Metanola معناها تغيير التفكير ، وكثيراً ما يخلط البعض فى حالة الندم والحزن : بين الحزن على الخطيئة نفسها والحزن على نتائجها فكم من شخص يحزن ويكتئب ولكن على الحالة التى أوصلته إليها الخطية ولو عرف

أنه يستطيع أن يخطىء دون أن يصيبه من أذاها شيء لما تأخر عن ارتكابها فهو لا يكره الخطية نفسها بل يكره نتائجها الوخيمة ؛ ولكن التوبة الحقيقية هى الحزن والندم على الخطية نفسها ولقد عبر عن ذلك القديس الحكيم فونتانى « يجب أن يتعلم الأطفال أن يكرهوا الرذيلة لأنها رذيلة حتى يستطيعوا لا أن يتجنبوها فقط بل أن يكرهوها فى قلوبهم حتى يشمئزوا منها فى أية صورة تراءت لهم » . فالتوبة تعنى أن الإنسان الذى كان يحب الخطية تنفتح عيناه فيعرف حقيقتها الشريرة فيكرهها .

٣ – يؤمن :

كما يقول يسوع « آمنوا بالإنجيل » ومعنى ذلك أن يؤمن الناس بما أعلنه يسوع عن الله ، يؤمنوا بأنه قد أحب العالم حتى أنه بذل إبنه ليردنا إليه . . ؤمنوا أن الأمور التى كانت بعيدة التصديق أضحت حقيقة واقعة .

يسوع يختار رفقاءه

وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوسَ أَخَاهُ يُلقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ . فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ . فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَي النَّاسِ . فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ . ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلاً فَرَأَى يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدَي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصْلِحَانِ الشِّبَاكَ .

فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ . فَتَرَكَا أَبَاهُمَا زَبَدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ .

(١ : ١٦ — ٢٠)

حالما انتهى يسوع من تقرير مصيره ووضع قدمه على الطريق للقيام بالرسالة التي أخذها الآب بدأ يدعو إليه رفقاء العمل ، فلا بد للقائد من نقطة يبدأ عمله منها ، ونقطة البدء الطبيعية هي أن يختار لنفسه جماعة صغيرة يكشف لهم عما في نفسه ، ويكتب رسالته على قلوبهم ، وفي هذا الفصل يحكي مرقس عن الخطوة الأولى التي اتخذها يسوع في بناء ملكوت الله .

وكان صيد الأسماك مهنة رائجة في الجليل ، وامتلأت تلك المقاطعة بصيادي السمك ، ويذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير — وكان يوما حاكما على الجليل — يذكر أن ما لا يقل عن ٣٣٠ قاربا للصيد كانت تتجول في بحيرة الجليل للصيد . وقد كان لفقر الناس وعدم قدرتهم على شراء اللحوم وأكلها أكثر من مرة واحدة أسبوعيا دافعا لهم على استبداله بالسمك [لو ١١ : ١١ ، ٢٤ : ٤٢ ، في ٧ : ١٠ ، مر ٦ : ٣٠ — ٤٤] وزاد على ذلك ما كانوا يصدرونه إلى روما حيث وجدت هناك سوق رائجة له . وبالطبع كان السمك مملحا حتى لا يفسد بطول مدة نقله وبطء وسائل النقل في ذلك الوقت . ولقد اشتهرت بلاد كثيرة بصيد السمك مثل « بيت صيدا » أي بيت السمك ، وبتمليحه مثل « تراخيا » أي « مكان تمليح السمك » وتذكر الأناجيل — تلميحا أو تصريحا — إن الصيادين كانوا يستخدمون نوعين من الشباك : النوع الأول إسمه « ساجينا » Sagéne وهي شبكة ضخمة في نهايتها أثقال وتطرح

من القارب فتنزل مستقيمة فى الماء ، وعندما يتحرك القارب تنجذب الأطراف الأربعة بعضها إلى بعض فيصبح كأنها حقيبة كبيرة تحفظ داخلها السمك . أما النوع الثانى ، وهو ما كان يستعمله بطرس ويوحنا . فقـد كان اسمه أمفيبلسترون Amphiblestron وهو نوع أصغر كثيراً من النوع الأول ويشبه المظلة ويستخدمها الإنسان بنفسه ويجرها بيديه فتجمع السمك داخلها .

وإنه لفى غاية الأهمية أن ندرس نوع الرجال الذين اختـارهم يسوع لخدمته :

١ — يجب أن نلاحظ **من هم** : كانوا قوماً بسطاء لم يتخرجوا من كليات ولم ينشأوا فى أوساط أرستقراطية مدنية كانت أم كهنوتية . . لا علم ولا مال كانوا صيادين بمعنى آخر كانوا أناساً عاديين ؛ ولم يظهر إنسان فى التاريخ وثق بالرجل العادى مثلما وثق به يسوع . فيقول برنارد شو « إننى لا أحس تجاه هذه الطبقة إلا بشعور واحد وهو رغبتى فى إزالتهم من الوجود حتى يأتى مكانهم أناس معتدلون » وفى باتربشبان يقول جون جالسورثى على لسان أحد شخصيات روايته واسمه ملتون « الرعاع .. كم أكرههم .. أكره غباوتهم المتناهية .. أكره نبرة صوتهم . . أكره منظر وجوههم .. إنه قبيح تافه » . وفى لحظة غضب قال كارليل : « فى إنجلترا ٢٧ مليوناً من الناس فى غاية الغباوة » . ما أبعـد الشقة بين شعور هؤلاء وشعور يسوع تجاه الإنسان العادى . قال لنكولن « لابد أن الله يحب الرجل لأنه خلق الـكثير منهم » . وفى عمله هـذا كأنما كان يسوع يقول « أعطنى إثنى عشر رجلا عادياً وأنا أفتن بهم المسكونة » وهكذا دعنا لانهتم بأى نوع من الناس نحن بقدر مانهتم بما يخلقه يسوع منا ، وألا نظن فى شخص غير ما يظنه يسوع فيه .

٢ — ماذا كانوا يعملون : عندما دعاهم السيد كانوا يقومون بعملهم اليومى: صيد الأسماك وإصلاح الشباك . وهكذا جاءت دعوة الله إلى كثيرين من الأنبياء .

لقد جاءتهم ليس فقط وهم فى بيت الله بل وفى أثناء عملهم أيضاً . يقول عاموس « لست أنا نبيا ولا أنا ابن نبى بل أنا راعى وجانى جميز فأخذنى الرب من وراء الضأن وقال لى الرب اذهب تنبأ لشعبى اسرائيل »[عاموس ٧: ١٤و١٥] وفى نفس المعنى يقول ما كدرو وهو أحد شخصيات روايات كبلنج

« وفى كل شىء أرى يدك يا الله وأنت الذى تدبر كل شىء » .

فالانسان الذى يعيش فى عالم يملأه الله لا يستطيع أن يتهرب من الدعوة الإلهية .

٣ — كيف دعاهم : كانت دعوة يسوع لهم « إتبعنى » لم تكن هذه أول مرة يقابلون فيها يسوع ، فلابد وأنهم كانوا يقفون بين الجموع يصغون اليه ولابد أنهم كانوا يبقون معه بعد انفضاض الجماهير ويتحدثون اليه حديثا وديا ، ولابد أنهم وقعوا تحت تأثير شخصيته الجذابة وكلامه الجميل ، ولكنه عندما دعاهم لم يقل لهم « تعالوا لنبحث معا بعض العقائد اللاهوتية أو ها كم هى نظرياتى أرجوكم أن تدلوا برأيكم فيها ، أو هذه مجموعة من القواعد الأخلاقية أود أن أستشيركم فيها .. » كلا إنه لم يقل ذلك ، فقد قال « اتبعنى » إنها دعوة شخصية لارتباط شخصى ، دعوة توجه إلى القلب قبل العقل ؛ هذا لا يعنى أن الذين يتبعون المسيح يجب أن يتركوا تفكيرهم ، ولكننا نقصد أن الذى يتبع يسوع كمن يحب إنسانا ما ، فقد قيل « نعجب بالناس لأسباب معلومة.

ولكننا نحبهم بدون سبب معروف » . وهكذا يقول السيد « وأنا إن ارتفعت أجذب إلى الجميع (يوحنا ١٢ : ٣٢) واننا نعتقد أن الجمع الغفير الذى آمن بيسوع لم يفعل ذلك بسبب ما قاله ولكن بسبب شخصيته فقط .

٤ – ماذا منحهم يسوع :

لقد منحهم عملا يقومون به ، دعاهم للخدمة لا للنوم ، وكما قال أحدهم « إن أعظم مهمة للانسان هى أن يجد عملا يجد فيه نفسه » هكذا فعل يسوع.. دعاهم ليبذلوا أنفسهم فى عمل وخدمة مضحية . . ليحرقوا أنفسهم لكى يضيئوا للآخرين .. دعاهم لعمل يستفيدون منه فقط لأنهم يعطونه كل أنفسهم .

يسوع يبدأ معسكر عمله

ثُمَّ دَخَلوا كَفْرَنَاحُومَ وَلِلوَقْتِ دَخَلَ الْمَجْمَعَ فِي السَّبْتِ وَصَارَ يُعَلِّمُ . فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ .

(مرقس ١ : ٢١و٢٢)

تسير قصة مرقس فى تتابع منطقى ، فيذكر عندما عرف فى ظهور يوحنا المعمدان بشارة السماء له لبدء العمل ، ذهب لتوه ليعتمد منه، وينال موافقة الآب على هذا البدء ، وبعد ذلك واجه الشيطان حتى يختار طريقة العمل ووسائله ، ثم اختار أتباعه الذين أراد أن يجهزهم ليحملوا رسالته والآن يبدأ عمله الذى جاء من أجله ، وكان من الطبيعى أن يبدأ هذا العمل فى المكان الطبيعى له وهو

المجمع ، تماما كما يفعل أى واحد منا عندما يبدأ خدمته إذ يتخذ الكنيسة مكان الابتداء .

ولكن ما هو المجمع ؟ وما هو الفرق بينه وبين كنيسة اليوم ؟ هناك بعض الفروق الأساسية بينهما :

(ا) كان المجمع عبارة عن معهد تعليمى ، وكانت العبادة فيه تقتصر على الصلاة وقراءة الكلمة وتفسيرها . فلم تكن هناك موسيقى ولا ترانيم ولا ذبيحة ، هذه كلها كان الهيكل مكانها الطبيعى وكان المجمع أعمق تأثيراً من الهيكل فى حياة اليهود ، ومهما قيل فلم يكن هناك غير هيكل واحد بينما صرحت الشريعة لكل عشرة أفراد أن يقيموا لأنفسهم مجمعاً ، ولهذا فقد كان المجمع فى كل مكان فى العالم يعيش فيه جماعة من اليهود . فمن الطبيعى إذا ، لكل حامل رسالة ، أن يبدأ عمله من المجمع .

(ب) وأكثر من ذلك فقد كان المجمع معداً ليقوم برسالته ، ففيه مجموعة من الأفراد مخصصين للقيام بالخدمة : كان هناك رئيس المجمع وهو الشخص المسئول عن رعاية شئونه وتدبير الخدمات فيه ؛ وإلى جانبه كان موزعوا الصدقات وهم الذين كانوا يجمعون العطايا والهبات التى يقدمها الموسرون فى المجمع ، ثم يوزعونها على الفقراء من الناس ، (وكانت العادة أن يتناول — أفقر الفقراء ، ١٤ وجبة طعام فى الأسبوع الواحد) ؛ وكان هناك ثالثاً الخزان أى الخادم وهو المسئول عن حفظ الرقوق والأدراج التى كتبت عليها الأسفار المقدسة ، وعن نظافة المجمع وضرب الأبواق لإعلان إبتداء يوم السبت ، وتعليم الأطفال . ومع كل ذلك فقد كانت فى المجمع وظيفه شاغرة دائماً وهى وظيفة

الواعظ ، فلم يكن هناك واعظ متفرغ له ، ولهذا فقد كان رئيس المجمع يدعو أى إنسان عنده رسالة ليقوم بشرح كلمة الله ، وكان هذا الأمر هو العامل الأول الذى جعل يسوع يتخذ من المجمع المكان الطبيعى لشرح رسالته ، فقبلما اتخذت السلطات موقف العداوة منه كان كلما ذهب إلى مجمع دعوه ليقول كلمة الوعظ للناس .

وحالما كان يسوع يدخل المجمع ويبدأ فى تقديم رسالته كان الناس يشعرون أن هذا رجل جديد برسالة جديدة تختلف عن رسالة الكتبة ، فهو إذ يتكلم فإنما يتكلم كمن له سلطان وليس كالكتبة . ولكن من هم هؤلاء الكتبة ؟ كانت التوراة أو الناموس هى أقدس المقدسات عند اليهود ، ومع أن الوصايا العشر كانت أساس الناموس إلا أن « التوراة » كانت تعنى أسفار موسى الخمسة . وكان اليهود يعتقدون أنها كلمات الله أنزلها مباشرة إلى موسى وكل من ينكر أصلها الإلهى فلن يرى الحياة الأبدية ؛ فموسى لم يكتب حرفاً من عندياته بل أملاها عليه الله ؛ وعلى هذا فقد كانت هذه الكتب لهم (١) القانون المعصوم للايمان والأعمال (٢) إنه يحتوى على الإرشادات لكل مواقف الحياة المختلفة . ويبنى على هذا الإعتقاد شيئان : الأول هو أن يدرس دراسة دقيقة مفصلة ؛ والثانى أن يوضع فى مبادىء عامة عظيمة وأن يستخرج منه المبادىء المتضمنة فيه حتى وإن لم تكن قد ذكرت صريحاً ، وتكون بذلك مرشداً للناس . ولهذا كله نشأت طبقة من الناس — إعها الكتبة ـ تخصصت فى هذا العمل ، وأطلق على رؤسائهم إسم « رباى » أى المعلم وكان يتحتم على الكتبة أن يقوموا بثلاثة أعمال :

١ — كان عليهم أن يحولوا المبادىء العامة فى التوراة إلى قوانين وأحكام تصلح لكل موقف من مواقف الحياة ، وكان هذا عملا لا نهاية له ، وبهذا بدأت الديانة اليهودية بمبادىء وانتهت بمجموعة من الأحكام والقوانين.. بدأت كديانة وانتهت كتشريع

٢ — كان عليهم أن ينقلوا هذا التراث الضخم للأجيال الآتية وأن يعلموه للشعب ، فقد كانت هذه التقاليد والأحكام شفوية ، لم توضع فى كتاب وكان على الكاتب أن يحفظها كلها فى ذاكرته التى كانت تشبه الحافظة التى لا تفقد حرفاً واحداً .

٣ — كان عليهم أن يصدروا الفتاوى فى الحالات الفردية ، ومن الطبيعى أن تتحول هذه الفتاوى إلى قانون تضاف إلى ما سبقها من قوانين كثيرة .

فما هو الفرق إذن بين تعاليم يسوع وتعاليم الكتبة ؟ لقد كانت تعاليم يسوع ترتكز على سلطانه الشخصى ، ولم يكن يعلم كما كان يفعل الكاتب الذى يبدأ درسه بالقول « يوجد تعليم يقول ... » ثم يقتبس عن بعض العلماء . وكان رأيه الشخصى هو آخر ما يقوله ويقدمه للناس . وما أبعد الشقة بين هؤلاء وبين يسوع الذى لم يحتج إلى معلم سابق ينقل عنه .. لقد تكلم بكلمة الله من اختياره هو ... كان هو بنفسه صوت الله الآتى إلى الناس ، فأنصت الناس إلى صوت السماء مباشرة . وكانت نبرته الإيجابية الفعالة أكبر عامل على جذب الناس إليه وإصغائهم بفرح إلى صوته وتعليمه .

إنتصار المسيح الأول على قوات الشر

وَكَانَ فِي مَجْمَعِهِمْ رَجُلٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ . فَصَرَخَ . قَائِلاً آه مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ . أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا . أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللهِ . فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ . فَصَرَعَهُ الرُّوحُ النَّجِسُ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ . فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ مَا هٰذَا . مَا هُوَ هٰذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ لِأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ . فَخَرَجَ خَبَرُهُ فِي كُلِّ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيلِ .

(مرقس ١ : ٢٣ — ٢٨)

لم تكن أعمال المسيح أقل تأثيراً عن تعليمه ، فقد جعلت الناس يقفون مبهورين منها ، وكان العمل الأول فى هذا الإنجيل هو شفاء رجل كان به روح نجس سبب بعض الفوضى والذعر فى المجمع ، ولم يكن هذا الرجل هو الوحيد من هذا الصنف فى رسالة يسوع ، فقد كان هناك كثير منهم . وسنتقابل معهم فى حوادث كثيرة ، فما هو السر الذى يكمن وراء هـذه الجماعة المسكينة من الناس ؟

كان اليهود — مع غالبية الشعوب القديمة — يعتقدون فى الشياطين والأرواح النجسة وفى ذلك يقول هارنيك « كان العالم كله مملوءاً بالأرواح الشريرة فهى

لم تسكن تسكن الأصنام فقط بل كانت تملأ أجواء الأرض نفسها ، وتتحكم في كل أوجه حياة الناس ، لقد جلسوا على العروش وأحاطوا بكل مهد ، فأضحى العالم جحيما ضخما » . أما د . رندل شورت ، فلكي يظهر عمق هذا الاعتقاد وسيطرته على عقول الجميع في تلك الأيام فإنه يقص الحقيقة التالية فيقول إن الكثير من الجماجم الباقية من ذلك العصر بها ثقوب صغيرة ، ونسبة هذه الجماجم المثقوبة لم تكن صغيرة فقد وجدت ستة جماجم مثقوبة من بين ١٢٠ جمجمة وجدت في مقبرة ، وبعد الفحص وجد أن هذه الثقوب حدث في الرأس أثناء الحياة . ولم تكن هذه العملية سهلة هينة لأطباء ذلك العصر نظراً لضعف إستعدادهم الطبي . ومن المعتقد أن هذه الثقوب عملت في الرأس حتى تخرج منها الأرواح النجسة التي سكنت في ذلك الجسد . ثم يضيف شورت « أنه إذا كان جراحوا ذلك العصر وهم طبقة المثقفين يجرون هذه العمليات لهذا الغرض . . وإذا كان الناس يقبلون على هذه العملية رغم بشاعتها فلا بد أن الاعتقاد في الشياطين كان عميقاً .

ولكن من أين جاءت هذه الأرواح النجسة ؟ هناك ثلاثة أجوبة على ذلك :

١ — بعضهم يظن إنها من القدم منذ أن كانت الخليقة .

٢ — وبعضهم يظن أنهم عبارة عن أرواح الناس الأشرار الذين ماتوا باقية ولا زالت تقوم بأعمالهم الشريرة .

٣ — ولكن معظم الناس يربطون بين الشياطين وبين القصة الواردة في تك ٦ : ١ — ٨ ، ٢ بط ٢ : ٤ ره . وتروى تقاليد اليهود عن ملاكين

أحدهما إسمه عزرائيل والثانى سماقشساى جذبتهما شهوة شريرة نحو بنات الناس الجميلات فتركا خدمة الله ونزلا إلى الأرض ، ولكن أحدهما ندم ورجع إلى الله، أما الثانى فبقى فى غوايته وأنجب نسلا ، وكان نسله هو الشياطين . ويدل إسم الجمع لهذه الفئة على عملها فهم يدعون مزيكين Mazzikin أى الذين يتسببون فى الضرر فالشياطين هم جماعة شريرة فى مكانة متوسطة بين الله والناس وهدفها هو ضرر الناس وأذيتها .

ولليهود عقائد غريبة عنهم . فهم يقولون إنهم يأكلون ويشربون وينجبون أطفالا ولا يقل عـــددهم عن سبعة ملايين ونصف ، يقف عشرة آلاف منهم على يمين كل إنسان وعشرة آلاف على يساره ، وهم يعيشون فى الأمكنة القذرة كالمقابر والأماكن المحرومة من ماء التطهير ، ويسمع عواءهم دائماً فى الصحارى ، وتشتد خطورتهم على الرجل الذى يسافر وحيداً وخصوصاً أثناء الليل ، وعلى المرأة التى قاربت أن تلد والعرايس والأطفال الذين يخرجون ليلاً ، ويظهر نشاطهم بالخصوص وقت الظهيرة وأثناء الليل . وهناك أنواع منهم ، فهناك شياطين العمى وشياطين البرص وشياطين مرض القلب ، ويمكنهم أن يحولوا طاقتهم الشريرة إلى أى إنسان فعين الحسود مثلا هى عطية شيطانية إلى إنسان شرير ، ويستطيعون أن يعملوا بواسطة الحيوانات مثل الحية والثور والحمار والبعوض ؛ إسم الذكر فيهم شيديم وإسم الأنثى ليلين وهى تتزين بشعر طويل وتكره الأطفال ، ولذا كان للأطفـــال ملائكتهم الحارسة (متى ١٨ : ١٠) .

والمهم فى هذه المسائل ليس أننا نعتقد فى الشياطين أم لا ، الأمر المهم هو أن

الشعوب القديمة وخاصة اليهود كانوا متمسكين جداً بهذه العقائد ، وكان الرجل الذى يعتقد أن به روح نجس يصرخ خائفاً عندما يرى يسوع لأنه يتكلم باسم الروح الذى فيه ، وهو يعرف أن مجىء المسيا معناه زوال ملكوت الشيطان . ولم يكن يسوع وحده هو الذى يخرج الشياطين بل كانت جماعة من المحترفين فى هذا العمل ، لكن الفرق الأكبر بينهم وبين يسوع هو أن يسوع كان يخرج الشيطان بكلمة واحدة بينما كانوا يستخدمون التعاويذ والرقى والشعوذة فقوة يسوع كانت فى كلمته بينما كانت قوتهم فى شعوذتهم .

فما هو موقفنا إزاء هذه المشكلة ؟ يقول بول ثورنر فى كتابه « مذكرة طبيب » « إنه من المؤكد أن كثيرين من الأطباء ، وأنا واحد منهم ، يواجهون أنواعا من الأمراض تعمل لا فى سلبية بل فى إيجابية واضحة فهى فى عداوتها مصدر كبير للشر والأذى » . ويقول دكتور راندل شورت بعد تجاربه الطويلة « إن حوادث هذا العالم المروعة من كوارث أدبية كالحروب والانحلال الخلقى وكوارث طبيعية كالأمراض والبراكين هى عنوان على حرب ضروس تدور رحاها بين قوات الشر وعلى رأسها الشيطان وبين قوة الخير يقودها الله نفسه تماماً كما يظهر فى سفر أيوب » .

هذا موضوع لا يستطيع الواحد أن يقطع فيه برأى وإنما يستطيع أن يتخذ أحد مواقف ثلاثة فإما :

١ – إنها عقيدة بدائية حينما كان الناس يجهلون الكثير جداً عن الجسد والنفس فظنوا أن لكل مرض شيطاناً خاصاً .

٢ — أو أن يصدق العهد الجديد ويعتقد أنها ظاهرة باقية على صحتها إلى يومنا هذا .

٣ — إن قبل الرأى الأول فعليه أن يجد شرحاً لتفكير يسوع ، فهو — أى يسوع ، لم يكن يعرف عن هذا الموضوع أكثر من معاصريه ، لأنه موضوع علمى ويسوع لم يأت ليبشر بالعلم ، أو أن يسوع جارى مرضى ذلك العصر فى عقيدتهم حتى يستطيع أن يشفيهم .

ولكن القول النهائى فى ذلك هو أنه لا بد أن هناك جواباً لم نستطع نحن أن نصل إليه .

المعجزة الخاصة

وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْمَجْمَعِ جَاءُوا لِلْوَقْتِ إِلَى بَيْتِ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ مَعَ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا . وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ مُضْطَجِعَةً مَحْمُومَةً . فَلِلْوَقْتِ أَخْبَرُوهُ عَنْهَا . فَتَقَدَّمَ وَأَقَامَهَا مَاسِكاً بِيَدِهَا فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى حَالاً وَصَارَتْ تَخْدُمُهُمْ .

(١ : ٢٩ — ٣١)

كان يسوع فى المجمع مذهلا سواء فى تعليمه أو فى عمله ، وخرج وذهب إلى حيث أحد أصدقائه المقربين : سمعان بطرس ، وكان من عادة اليهود أن يتناولوا الوجبة الرئيسية ليوم السبت بعد الإنتهاء من خدمة السبت مباشرة أى فى الساعة السادسة ، وهى الساعة الثانية عشر بحسب توقيتنا نحن (فاليوم اليهودى كان

يبدأ من الساعة السادسة صباحاً ثم يحسبون من ذلك الوقت ساعات النهار)
وكان يسوع فى حاجة إلى قليل من الراحة بعد العمل المضنى الذى قام به فى المجمع
ولكنه لم يستطع لأنه وجد من يحتاج إليه وكان عليه أن ينفق قوته على المحتاجين.
وفى هذه القصة تبرز ثلاث شخصيات مهمة :

١ — الشخصية الأولى كانت شخصية يسوع نفسه . من العجيب أنه يقوم بخدمته فى بيت وسط جماعة صغيرة تماماً كما فعل فى المجمع وسط جمع مزدحم ، إنه لم يحتج إلى جماهير تصفق له عندما يقدم خدمته إلى الغير ؛ هذا إلى جانب تفضيله راحة الناس على راحته هو ، فلم يمنع نفسه وهو المتعب المجهد من أن أن يبذل جزءاً آخر من قوته لشفاء إنسان مريض . لكن الشيء الغريب حقاً هو أنه يستخدم فى البيت نفس الطريقة التى يستخدمها فى المجمع ، وهى شفاء المريض بكلمة واحدة لها سلطانها المطلق ؛ ولقد مر بنا أن كثيرين من اليهود كانوا يخرجون الشياطين بما يقومون به من أسحار وتعاويذ وشعوذة ، وهذا ما كانوا يفعلونه فى مرض كهذا الذى أصيبت به حماة بطرس ، فقد كانوا يسمونه — حسب ما يقوله التقليد — « الحمى المحرقة » ، وكانوا يعالجونه بواسطة سكين مصنوعة من الحديد مربوطة إلى شجرة شوك ، ثم يقرأون فى أول يوم خروج ٣ : ٢ و ٣ وثانى يوم خروج ٣ : ٤ ، والثالث خروج ٣ : ٥ وأخيراً يقرأون نوعاً من الشعوذة المخصوصة وهكذا يقولون إن المريض قد نال الشفاء . أما يسوع فلم يفارق السلطان المطلق كلمته ولم يلتجيء إلى شعوذة اليهود ورقيهم . ولقد استخدم الكاتب كلمة أكروسيا Exosia ليعبر بها عن سلطان المسيح وهى تعنى الجمع بين المعرفة الكاملة والقوة المطلقة ، وهذا ما ظهر فى عمل

يسوع وتعاليمه سواء أكان فى البيت أم فى المجمع . يقول الدكتور ثورنر « إن أحـد المرضى قال له : إنى أعجب من مقدرتك على الإصغاء لـكل ما يقوله المريض » ، فيجيبه ثورنر بالقول « إنها ليست مقدرة ولـكنه اهتمام بالناس » هكذا كان موقف يسوع إنه لم يستخدم معجزاته لينال مركزاً مشرفاً أو شهرة واسعة ، ولـكنه استخدمها لأنه كان يهتم بالناس .

٢ — الشخصية الثانية هى **التلاميذ** : للآن لم يكن التلاميذ قد قضوا وقتاً طويلاً فى صحبة يسوع ومع ذلك فقد تعلموا كيف يخبرونه عن كل متاعبهم ، فعندما شعر بطرس بمرض حماته واضطراب منزله البسيط لم يسعه إلا أن يخبر يسوع بمتاعبه المنزلية ، وكذلك كان يفعل كل رفقائه التلاميذ حتى أضحى هذا العمل أسلوب حياتهم معه . يخبرنا الدكتور ثورنر عن زياراته المتـكررة لأحد الرعاة وكان متقدماً فى السن ، ولم يكن هذا الراعى يتركه قبل أن يصليا معاً ، وكان الشيء الذى أدهش ثورنر هو البساطة المتناهية فى صلاة هذا الراعى ، كان يتـكلم مع الله كايتـكلم مع أى فرد عادى يذكر له أتعابه . ويضيف ثورنر إنه أخبر زوجته بأمر صلاة ذلك الراعى فما كان منها إلا أنها ركعت مع زوجها وطلبا من الله أن يعطيهما أن تـكون لها هذه الصداقة البسيطة معه ، وقد كان فقـد صار يسوع صديقاً لها يبثانه كل أتعابهما ويستشيرانه فى كل شئونهما الخاصة . ويقول ثورنر إنه تأكد أن يسوع بنفسه كان ينصت إلى كل مريض يأتى إلى عيادته ويشـكو له آلامه . نعم لقد أضحى يسوع صديق العمر . هذه هى الحياة المسيحية التى تصبح شعارها فى كل الظروف كلمـات الترنيمة القائلة « خذ أتعابك إلى يسوع » . وهكذا تعلم التلاميذ هذا الدرس الأول أن يأخذوا كل همومهم إلى يسوع ويسألونه المعونة .

٣ — والشخصية الأخيرة هى **حماة بطرس** : يقول عنها البشير إنها حالما شفيت قامت لتخدمهم ، فاستخدمت هذه الصحة التى نالتها من يسوع فى الخدمة المضحية . هذا كان شعار أسرة اسكتلندية عظيمة إذ رفعت شعارها « أنا مخلص لكى أخدم » .

ابتداء التجمهر حول يسوع

وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ إِذْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ وَالْمَجَانِينَ . وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً عَلَى الْبَابِ . فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَلَمْ يَدَعِ الشَّيَاطِينَ يَتَكَلَّمُونَ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ .

(١ : ٣٢ — ٣٤)

إن أعمالا كهذا التى يقوم بها يسوع لا يمكن أن يبقى خبرها محصورا فى مكان واحد فلم تكد تمضى بضع ساعات حتى انتشر خبر سلطانه القوى وتعاليمه الجديدة ، ولم يقبل المساء حتى حاصرت الجماهير منزل بطرس آتين إلى يسوع طالبين لمسته الشافية وكان من الممكن أن يتوافدوا عليه قبل المساء لولا أن شريعة السبت كانت تقض ألا يحمل الإنسان حملا ما فى يوم السبت (ارميا ١٧ : ٢٤) فقد حرم التقليد حمل حتى المريض لأنه يعتبر عملا وكل عمل محظور يوب السبت ، وكان اليوم يبدأ فى الساعة السادسة صباحا وينتهى فى السادسة مساء ولكنهم لم يعرفوا شيئا عن الساعة فكانوا يحددون السبت بظهور ثلاثة

نجوم فى السماء . فكان لما غربت الشمس وظهرت النجوم الثلاثة انطلق أهل كفر ناحوم حاملين مرضاهم إلى يسوع ليشفيهم واستجاب لهم وشفاهم .

إلى الآن قام يسوع بثلاث عمليات شفاء : مرة فى المجمع والثانية فى البيت والثالثة فى الشارع ، فلكل إنسان فى أى مكان استجاب يسوع لنداء الحاجة البشرية ، ولقد قيل عن دكتور جونسون أنه صديق الحاجة . . هكذا كان يسوع .

اندفعت الجماهير إلى يسوع لأنها عرفت فيه إنسانا يستطيع أن يفعل شيئا ولكم سئموا الذين يتكلمون ويطيلون الكلام ولكنهم يعجزون عن أن يعملوا شيئا ، وقديما قيل « إن الناس يذهبون إلى من يعرف أن يعمل مصيدة فيران حتى ولو سكن فى قلب الغابة » فالناس يطلبون دائما الشخص الذى يصل معهم إلى نتيجة فعالة ، ولهذا طلبوا يسوع بالحاح .

ولكننا رغم ذلك نلمح هنا بداية مأساة بشرية ، فاندفاع الناس إلى يسوع لم يكن بجاذب الحب ولكن طلبا للنفع ، إنهم لم يطلبوه هو بل طلبوا عطاياه لم يروا فيه رؤى جديدة ولكن رأوا فيه مخزنا كبيراً ، وهل زادت هذه عن كونها مشكلة إنسانية عامة ؟ هكذا كل الناس فى موقفهم من الله وابن الله ، فلو أحصيت الصلاة التى ترتفع إلى السماء وقت الرخاء ، وكم من إنسان صلى وقت غروب الشمس ثم نسى صلاته عند شروقها ، فالديانة فى عرفهم هى مسألة أزمات ، والله لا يعرفونه إلا عندما تهتز حياتهم . نعم إننا نذهب إلى يسوع لأنه وحده يستطيع أن يشبع احتياجاتنا . ولكن لو استمر الحال هكذا ولم تتطور علاقة الحاجة هذه إلى علاقة محبة شخصية لانقلب الأمر إلى مأساة ، فالله ليس شخصا نستخدمه عند التجارب ولكنه هو الشخص الذى نحبه ونذكره كل أيام حياتنا.

ساعات التأمل ونداء العمل

وَفِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ . فَتَبِعَهُ سِمْعَانُ وَالَّذِينَ مَعَهُ . وَلَمَّا وَجَدُوهُ قَالُوا لَهُ إِنَّ الْجَمِيعَ يَطْلُبُونَكَ . فَقَالَ لَهُمْ لِنَذْهَبْ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لأَكْرِزَ هُنَاكَ أَيْضًا لأَنِّي لِهٰذَا خَرَجْتُ . فَكَانَ يَكْرِزُ فِي مَجَامِعِهِمْ فِي كُلِّ الْجَلِيلِ وَيُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ .

(١ : ٣٥ — ٣٩)

عندما يطلع الفرد على أحداث كفر ناحوم يجد أن يسوع لم يكن له وقت يستريح فيه ، ولكن يسوع يعرف تماما أنه يجب أن يتقابل مع الآب ، فإنه وإن كان طريقه فى الحياة هو طريق العطاء لكنه يحتاج إلى ينبوع يستمد منه لنفسه القوة لهذا الطريق ، ومعنى هذا أنه يجب أن يصلى . . يجب أن تكون له فرصة ليقابل أباه السماوى . يقول دكتور يلذين فى كتابه الصغير عادة الصلاة « إن الصلاة معناها نداء النفس إلى الله » فإن أهمل الإنسان الصلاة فهو مسئول عن جهله وإهماله فى « إضافة إمكانيات الله الغير محدودة إلى إمكانيته القاصرة الضعيفة ففى الصلاة تعطى الفرصة لحكمة الله الفائقة لتتغذى حكمتنا القاصرة » هذا ما عرفه يسوع ، لقد عرف أنه لكى يعطى يجب أن يأخذ ، قبل أن يقابل الجماهير المحتاجة يجب أن يقابل الله الآب . وإن كان يسوع قد احتاج إلى الصلاة فكم بالحرى نحن ؟

ولكن حتى هناك فى مكان الصلاة ذهبوا إليه ، ولم يشأ يسوع أن يوصد بابه فى وجوههم حتى وهو فى خلوته .

يقول أحد مشاهير الأطباء إن واجب الطب هو « الشفاء فى بعض الأحيان والراحة فى كثير من الأحيان والعزاء فى كل وقت » ويقول آخر « إن واجب الطبيب هو أن يساعد الناس على أن يحيوا وأن يموتوا ،فهذه هى الحقيقة الإنسانية المؤكدة » وهذا كله كان يفعله يسوع . فلم يكن يسوع كبقية الناس الذين يقفلون أبوابهم على أنفسهم ليعيشوا فى سلام بعيداً عن الآخرين ومشاكل الآخرين ، كلا فنداء الأجساد المنهكة ، والحاجة الملحة كان أقوى فى أذنيه من صوت جسده المتعب الذى يبغى الراحة ، ولهذا فقد قام من صلاته ليساعد الجماهير فالصلاة لا تعمل العمل الواجب أن نعمله ، إنها تعطينا القوة لكى نعمله .

وهكذا بدأ يسوع رحلة تبشيرية فى مجامع الجليل ، ومع أن مرقس يذكر خبر هذه الرحلة فى عدد واحد إلا أنه لابد أنها استنفذت أسابيع طويلة بل شهوراً وكان كلما ذهب ليبشر كان يشفى . ولقد كانت هناك ثنائيات لم يفصل يسوع بينها :

١ — فهو لم يفصل الكلام عن العمل ، لم يكتف بالكلام والتبشير ، إن الكلمة ليست كل شىء ، فكان متى تكلم يشفع كلامه بعمله ، فماذا كان ينتفع منه الإنسان لو كان قد دعاه إلى الله ثم تركه يتلوى فى حاجته ؟ لكن يسوع كان يظهر كلمته فى عمله . يخبرنا فوزدك عن تلميذ عزم على الدراسة ففتش عن مكتبة عامرة واشترى كرسيا مريحا ووضعه فى مكان هادىء جميل ثم أمسك بالكتاب وبدأ يغط فى النوم ، هذا بالضبط ما يفعله الرجل الكثير الكلام بغير عمل .

٢ — إنه لم يفصل الجسد عن النفس : هناك اتجاهات فى المسيحية تتصرف كأن الجسد لا يعنيها فى شىء ما ، لكن حقيقة الأمر أن الإنسان جسد وروح ، وعلى المسيحية أن تفيهما معا ، نعم لا ننكر أن هناك حالات فيها يستطيع الإنسان أن يتمتع بالعشرة مع الله رغم فقره الشديد و بطنه الخاوية وجسده العارى ، ولكن يجب ألا نجعل هذه الحالة دافعاً إلى أن نترك هذا الإنسان فى بؤسه الجسدى هذا ، فالمرسلون لم يكتفوا أن يحملوا الكتاب المقدس وحده للقبائل البعيدة ، ولكنهم حملوا معهم المدرسة والمستشفى ، إن الإنجيل الاجتماعى ليس ترفا لا لزوم له لكنه أمر ولازم فى تقديم كلمة الخلاص ، فالرسالة المسيحية هى رسالة الروح والجسد معاً .

٣ — لم يفصل السماء عن الأرض : هناك من يحاول أن يعيش للسماء فقط وينسى كل شىء عن الأرض وبذلك يتحول إلى عالم خيالى غير عملى ، وهناك من يهتم بالأرض فقط ويترك السماء ويظن أن الصلاح صلاح مادى فقط . لكن يسوع ربط الإثنين معا وكان يعلمنا أن نصلى حتى تتحقق إرادة الله على الأرض (متى ٦ : ١٠) ، نعم لقد نظر إلى الأمام حينما تلتقى السماء بالأرض وتصبح إرادة الله هى الشريعة والحاكم للطلق كما فى السماء كذلك على الأرض .

شفاء الأبرص

فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِياً وَقَائِلاً لَهُ إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِى . فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ أُرِيدُ فَاطْهُرْ . فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وطَهَرَ

فَانْتَهَرَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْوَقْتِ . وَقَالَ لَهُ انْظُرْ لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ شَيْئًا بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ . وَأَمَّا هُوَ فَخَرَجَ وَابْتَدَأَ يُنَادِي كَثِيرًا وَيُذِيعُ الْخَبَرَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةً ظَاهِرًا بَلْ كَانَ خَارِجًا فِي مَوَاضِعَ خَالِيَةٍ وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

(١ : ٤٠ — ٤٥)

يعتبر مرض البرص فى العهد الجديد من أشد الأمراض وأكثرها فظاعة وعندما أرسل يسوع تلاميذه قال لهم « اشفوا مرضى ، طهروا برص » (متى ١٠ : ٨) فحياة الأبرص أقسى وأبأس حياة إنسانية ، ويقول ى و ج ماسترمان فى مقاله فى القاموس jesus & the gospels « لا يوجد هناك مرض يجرد المريض من إنسانيته لسنين عديدة مثل مرض البرص » . وهناك أنواع ثلاثة منه .

١ — هناك البرص الدرنى ، يبدأ هذا النوع بنوبات من النوم العميق ونوبات من الآلام القاسية فى المفاصل ، وحينئذ تظهر على الجسم وخصوصا على الظهر ، بقع متماثلة عديمة اللون ، وعلى هذه البقع تظهر درنات وردية اللون ثم تنقلب رمادية ويصبح الجلد سميكا . ثم تتجمع الدرنات فوق الوجنتين والشفتين والجبهة وعندئذ تتغير السحنة حتى يفقد المريض منظره ويصبح شكله كما قال الأقدمون « كالأسد » ، وبعد ذلك تأخذ هذه الدرنات فى التكبير والتقيح ويسيل منها سائل عفن ، ثم يسقط حاجبا العينين ويصبح النظر زائغا ويبح

الصوت لتقرح الأوتار الصوتية ثم تتقرح اليدان والقدمان ورويداً رويداً ليصبح المريض كتلة من اللحم المتقرح ويمكث المرض غالبا تسع سنوات يصبح فيها المريض سريع الغضب ثم يصاب بعدها إما بالجنون أو بالإغماء الطويل ثم الموت .

٢ — أما النوع الثانى فهو البرص المخدر وأعراضه الأولى هى نفس أعراض النوع السابق ، لكن الأذى فى هذا النوع يصيب الجهاز العصبى فيفقد الجزء المصاب منه حساسيته دون أن يشعر المريض بأى ألم . وقد لا يعرف ماذا يحدث له حتى يحس ببعض الحروق والالتهابات ولكنه يتحقق أخيراً أن الألم لا يوجد فى الموضع الذى كان يشعر أنه يؤلمه . وكلما تفاقم المرض وفتك الجهاز العصبى ظهرت بقع عديمة اللون وتبدأ هذه البقع تظهر فى الأصابع ثم تبدأ هذه فى التآكل ثم تصيبها مع أصابع القدم تقرح مخيف تزول أصابع كل من القدمين واليدين وقد تتآكل كلها ويمتد المرض لمدة ٣٠ سنة وهى عبارة عن موت بطىء مرعب للجسد .

٣ — أما النوع الثالث فهو النوع الأكثر انتشاراً وهو عبارة عن خليط بين البرص الدرنى والبرص المخدر .

هذه هى أعراض البرص الحقيقى ، ولا شك أنه كان فى فلسطين أيام المسيح كثيرون مصابون بمثل هذا المرض المروع ، ولكن مما ورد فى سفر اللاويين ١١ ومما جاء فى العهد الجديد يتضح أن هناك أمراض أخرى تصيب الجلد قد أطلق عليها اسم البرص فمنها مثلا البقع البيضاء التى تصيب الجلد وتنتشر فيه ونسميها « البهاق » وتجعل الجسم « أبيض كالثلج » ومنها « القوب » الأحمر المنتشر

كثيرا فى الشرق . وبحسب لاوين ١٣ : ٣٣ ، ٤٧ قد يصيب البرص الملابس والبيوت . وهذا كله يعنى أن مرض البرص ، أطلقه اليهود على كل مرض زاحف يصيب الإنسان أو الملابس أو البيوت ولعدم كفاية المعرفة الطبية لم يستطيعوا أن يفرقوا بين ذلك المرض المروع حقا وبين هذه الظواهر الجلدية القليلة الضرر .

وكانت معاملة الأبرص من أقسى المعاملات التى يقابلها البشر ، فهو يطرد من جماعة الناس وينعزل وحده ويسير بملابس ممزقة ورأس عارية مغطيا شفته العليا ، وأينما ذهب كان يحذر الناس من وجوده بصرخة عالية « نجس نجس ». ولقد ورثت القرون الوسطى المسيحية نفس هذه المعاملة عن اليهود ، فكان الكاهن فى ثيابه الرسمية وحاملا معه الصليب يقود الأبرص إلى الكنيسة ويصلى عليه صلاة الموتى إذ يعتبر حى ميت . وبعد ذلك يلبس ملابس سوداء يسكن فى بيوت البرص المخصصة ولا يستطيع أن يقترب من الكنيسة ولا أن يحضر قداسا بل قد ينظر إلى الخدمة من كوى مخصوصة ضيقة فى حائط المسكن . وعلى هذا فلم يكف الأبرص ما يعانيه من مرضه الجسدى بل كان يقاسى آلاما نفسية مبرحة وإنكسار قلب لأنه يعتبر فى المجتمع وباء خطرا .

أما شريعة تطهير الأبرص فكان يقوم بها الكاهن لمن شفى من برصه وهى مذكورة فى لاويين ١٤ ، ومن المؤكد أن هذا الشفاء لم يكن من البرص الحقيقى . فهو مرض عديم الشفاء ، ولكنه شفاء من المرض الجلدى العادى وتجرى المراسيم هكذا : يفحصه الكاهن ثم يأخذ عصفورين ويذبح أحدهما على ماء حى (جارى) ثم يأخذ . . . ويغمسها كلها مع العصفور الحى فى دماء

العصفور المذبوح ثم يطلق العصفور حراً ، ثم يغتسل المريض ويغسل ملابسه ويحلق شعره ، وبعد سبعة أيام يفحصه الكاهن مرة أخرى ثم يحلق شعر رأسه وحواجبه وبعد ذلك يقدم ذبيحة من حملين وجدى ماعز وتقدمه من ثلاثة أعشار دقيق ملتوتة بزيت ومعيار — من الزيت — طبعا تنقص هذه الكميات للفقراء ثم يلمس الكاهن أذن المريض اليمنى . وابهامه الأيمن وأصبع قدمه الأيمن ، ثم يفحصه للمرة الثالثة وبعد ذلك يعطيه شهادة شفائه وتطهيره من البرص

ولأجل هذا نجد صوت تعبير عن قلب يسوع وحنانه على الإنسان :

١ — إنه لم يطرد الرجل الأبرص ، سمع نداءه مع أنه محرم على الأبرص أن يتكلم إلى إنسان ولكن يسوع واجه البؤس الإنسانى بحنان وفهم .

٢ — ثم مد يده ولمسه . لمس النجس الذى تحرم الشريعة لمسه ، ولكن كان فى نظر يسوع غير نجس . كان نفسا بشرية بائسة .

٣ — وبعد أن طهره أرسله ليقوم بشريعة التطهير ، وبذلك تمم يسوع الشريعة فيسوع لم يكسر الناموس الطقسى بل قام به حين كان يجب أن يفعل. هنا الحنان والقوة والحكمة .

اَلأَصْحَاحُ الثَّانِي

الايمان الذى لا يمكن أن يختفى

ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامٍ فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ وَبَعْدَمَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ.

(٢ : ١ — ٦)

بعد أن أكمل يسوع رحلته بين المجامع رجع مرة أخرى إلى كفر ناحوم، وسرعان ما انتشر خبر رجوعه فى كل الكورة المجاورة وحسب العادة تدفق الناس إلى البيت الذى كان فيه يسوع؛ فقد كانت الحياة فى فلسطين مشتركة للجميع وكانت البيوت مفتوحة الأبواب لكل من يريد الدخول، ولا يمكن أن ترى بابا موصدا إلا إذا أراد صاحبه أن يكون فى خلوة. ولم يكن للبيوت

فى ذلك الوقت مداخل بل كانت الأبواب تفتح مباشرة على الشارع ولهذا فقد امتلأ المنزل بالناس إلى آخره ثم أحاطوا به حتى لم يكن موضع لقدم حواليه وكل هؤلاء جاءوا ليسمعوا كلام يسوع المعزى . وعلى حين فجأة ظهر وسط الجمع أربعة رجال يحملون بينهم رجلا مفلوجا وحاولوا أن يدخلوا إلى يسوع من الباب ولكنهم لم يستطيعوا من شدة الزحام ، ولم يقفوا مكتوفى الأيدى بل حاولوا طريقة اخرى . كانت سقوف المنازل فى فلسطين مسطحة وكان أصحابها يستخدمونها فى ساعات الراحة والهدوء ، وكانت هناك سلم خارجية تقود إلى السطح مباشرة ، وهذه السقوف كانت تصنع من ألواح خشبية مسطحة بين كل لوحين ثلاثة أقدام وتغطى الفجوات بينها بواسطة أعواد من الخشب مخزومة . ويضعون عليها الطين ولهذا فقد كان من السهل ثقب هذا السقف بين لوحين ومن السهل أيضاً إصلاحه ، وهذا ما فعله الرجال الأربعة فقد صعدوا إلى السطح ونقبوا السقف ودلوا المريض عند قدمى يسوع ، وعندما نظر يسوع إلى المريض ابتسم ابتسامة الفاهم والمقدر لإيمان هذه الجماعة ثم التفت إليه وقال «يابنى مغفورة لك خطاياك » .

قد يستغرب كثيرون هـــذا القول ولكن الذى يعرف عقيدة الناس أيام يسوع يستطيع أن يفهم لماذا قال يسوع هذه الكلمات . لقد كان اليهود يربطون الألم والخطية ، فالشخص الذى يقاسى أى نوع من الآلام لا بد أنه قد فعل خطية ما أنزلت عليه غضب الله ؛ لهذا القول نطق اليفاز التيمانى أحد أصحاب أيوب «أذكر من هلك وهو برىء ... » (أيوب ٤ : ٧) ويؤكد علماء اليهود القول نفسه عندما يذكرون أنه لا يمكن أن يبرأ إنسان من مرضه إلا إذا غفرت كل خطاياه . هذه العقيدة ليست غريبة على عصرنا بل هى مازالت تتفشى إلى

اليوم وخاصة بين القبائل البدائية فيقول دكتور بول تورنر « ألم يذكر المرسلون أن المرض فى نظر البدائى هو نجاسة ؟ حتى المسيحى منهم لا يستطيع أن يشترك فى عشاء الرب وهو مريض » نحن لا ننكر ذلك فهناك أمراض كثيرة تنتج من خطية معينة إرتكبها المريض ، وهناك أمراض أكثر جاءت نتيجة خطية الوالدين ، لكن مع ذلك لا نستطيع فى كل وقت أن نربط بين الخطية والألم كما كان يفعل اليهود .

ولكن للقصة معان أعمق : فالمريض نفسه كان يهوديا ولا بد أنه كان متمسك بنفس العقيدة ، فهو مريض لأنه خاطىء . ولا بد أن هذا الشعور قد استولى على عقله الظاهر أو الباطن حتى أصابه بالفالج ، فما أقوى تأثير العقل الباطن على حياة الإنسان . وكثيراً ما يذكر الأطباء النفسيون قصة إحدى الفتيات كانت تلعب البيانو فى دار للسينما أيام الأفلام الصامتة جلست هذه الفتاة أمام البيانو لتؤدى عملها ، ولما أطفئت الأنوار وعم الظلام وانتشر دخان السجائر فى جو الدار إذ بأطراف الفتاة تتجمد ، ولما حاولت أن تتخلص من هذه الحالة لم تستطع بل شلت تماما . فحصها الأطباء فلم يجدوا سبباً جسمانياً لهذا الشلل ، ولكن بعد الفحص التاريخى لحياة هذه الفتاة عرف سبب هذا الشلل ، فقد حدث بعد ولادتها ببضعة أسابيع أن كانت نائمة فى مهدها وكانت أمها منحنية عليها وفى فمها سيجارة فسقطت شرارة منها على فراشها وأمسكت بها النيران ولكن سرعان ما أطفأوها ولم يمسها ضرر ما ، ولكن الحادثة اختزنت فى عقلها الباطن إلى هذه السن ، فحالما أطفئت الأنوار فى دار السينما وانتشرت فيها رائحة دخان السجائر قفز الحلم إلى عقلها الظاهر فأصابها بالشلل هكذا حدث مع بطل قصتنا هذه ، فهو كان يعتقد أنه قد ارتكب خطية عظيمة ، واستولت عليه هذه

الفكرة بدرجة أنه سقط صريع المرض الذى كان يظنه أجرة على خطيته ؛ ولذلك كان أول مافعله يسوع هو أنه أعلن له أن الله ليس غاضباً عليه فطمأنه كما يطمئن الإنسان طفلا خائفاً فى الظلام ، وأزاح حمل ثقيل من على ضميره فأزاح الشلل الذى أمسك به .

إنها لقصة جميلة هـذه الذى فيها يعلن يسوع لكل إنسان محبة الله قائلا « يابنى إن الله ليس غاضباً عليك . . لا تخف . . إرجع إلى بيت أبيك » .

المناقشة التى لا تجاوب

لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هٰذا هٰكَذَا بِتَجَادِيفَ . مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ . فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هٰكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهٰذَا فِي قُلُوبِكُمْ . أَيُّمَا أَيْسَرُ أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ . أَمْ أَنْ يُقَالَ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ . وَلٰكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا . قَالَ لِلْمَفْلُوجِ لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ . فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هٰذَا قَطُّ .

(٢ : ٧ — ١٢)

كان التفاف الجماهير حول يسوع عاملا على فتح عيون القادة عليه ، وخاصة أعضاء السنهدريم المجمع الأعلى لليهود ، فقد كان العمل الأول لهذه المنظمة هو حفظ الديانة من الانحرافات والهرطقات ومحاكمة كل مدعى للنبوة . ويظهر من سياق قصة مرقس أن هـذا المجمع أرسل جماعة يتجسسون عليه ليعرفوا مدى مطابقة عمله وتعاليمه للشريعة ، فجاءوا وجلسوا فى الأماكن الأولى وبدأوا يراقبونه وحالما سمعوه يقول للمفلوج مغفورة لك خطاياك صعقوا فمغفرة الخطايا ليست لغير الله ومن يحاول ذلك من الناس فإنما هو يتعدى على سلطان الله ويجدف عليه وعقوبة التجديف هو الموت رجماً (لا ٢٤ : ١٦) ولـكنهم لم يكونوا مستعدين أن يعلنوا اعتراضهم ، إلا أن يسوع الذى كان يعرف ماذا يجرى فى عقولهم اتخذ موقف المبادرة وتحداهم على أرضهم . انهم يعتقدون أن المرض مرتبط بخطية ما ، فالمريض رجل خاطىء ، ولهذا فقد واجههم بالقول « أيهما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم احمل فراشك وامشى ؟ إن أى رجل يمكنه أن يقول « مغفورة لك خطاياك » فهذه جملة لا تخرج عن كونها كلمات لا يمكن أن تختبر عمليا ، أما أن يقال « قم احمل فراشك وامشى » فلها وضع آخر ولا بد من البرهان العملى وإلا لظهر كذب المدعى ، ولهذا كان مضمون كلام يسوع هـكذا « أنتم تظنون أن لاحق لى فى القول مغفورة لك خطاياك ولـكن لاحظوا هذا » ثم نطق يسوع بـكلمته وشفى المفلوج ووقع الـكتبة فى الفخ الذى نصبوه ففى عرفهم أن الرجل لا يمكن أن يشفى إلا إذا غفرت خطاياه . وها هو يشفى إذن فخطاياه قد غفرت ، إذا فاعلان يسوع أنه يغفر الخطايا إعلان صحيح . ولهذا فقد تركهم فى اضطرابهم وفى غضبهم الشديد ، وظهر لهم أنه لا بد من معالجة الأمر مع هذا الشخص المذهل وإلا لانهارت كل ديانتهم ، وبهذا كتب يسوع وثيقة موته .

إنها لحادثة صعبة ، ولكن ماذا كان يعنى يسوع بمغفرة الخطايا ؟ إنه يعنى ثلاثة أمور .

١ — قد يعنى يسوع بهذا أنه يعلن غفران الله لخطايا الإنسان تماما كما فعل ناثان النبى مع داود ، فعندما جاءه وكشف له عن بشاعة خطيئته ندم داود بحزن على خطيئته فما كان من ناثان النبى إلا أنه أعلن له غفران الله له بقوله « والرب غفر لك خطيئتك لن تموت » (٢ صموئيل ١٢ : ١ — ١٣) فلم يكن ناثان هو الذى يغفر الخطايا بل كان يعلن غفران الله لداود ، هكذا فعل يسوع : إن الله هو الذى غفر خطية المفلوج ولم يعمل يسوع سوى أن أعلن له هذا الغفران . قد يكون هذا حق ولكنه تفسير غير كاف .

٢ — يسوع فعل ذلك كوكيل عن الله : فهو الذى قال « الآب لايدين أحداً بل قد أعطى الدينونة كلها للابن » (يوحنا ٥ : ٢٢) فإذا كان الآب قد وكله على الدينونة فلا بد أنه وكله أيضاً على غفران الخطايا . والتمثيل البشرى مع قصوره قد يوضح لنا هذه الحقيقة : فإذا وكل إنسان إنسانا آخر على كل أعماله وأعطاه السلطة أن يفعل كل شيء لأجله وباسمه فإنه يفعل ذلك لأنه يعتقد أنه يتصرف تماما كما يفعل موكله ، فكل فعل أو قول يصدر عنه فإنما يؤخذ على أنه صادر من الموكل . هكذا أمر يسوع مع الآب ، فقد وكله فى كل شيء وكل كلمة نطق بها إنما هى كلمة الله نفسه .

٣ — ولكن هناك معنى آخر : فجوهر حياة يسوع يتلخص فى إظهار موقف الله الحقيقى من الناس ، وقد كانت عقيدة الناس فى الله أنه قاض عادل ولكنه جبار لا يرحم فى قضائه دائماً يطالب الإنسان ، ولكن يسوع أظهر

عكس ذلك فقد أعلن أن الله أب محب شغوف بأن يغفر الخطايا . يقول لويس هندى « إنه كان يجهل والده وهو صبي صغير ولكن حادثة ما كشفت لعينيه قلب الآب حقيقة ، لقد كان يحترمه ويجله ولكنه كان يخافه ولكن فى يوم من أيام القيظ وكانت الرطوبة تملأ الجو : بدأ الطفل يغمض عينيه فى الكنيسة لينام فقد داعب النوم عيونه ، ولما ثقلت أجفانه رأى ذراع أبيه يمتد إليه فخاف لأنه ظن أنه إنما أراد أن يهزه ليوقظه ، ولكن لدهشته وجده يحتضنه لكى يضعه فى وضع مريح لينام وحالا انفتح ذهنه على حب أبيه له ، الحب الذى كان يجهله هكذا فعل يسوع مع النـــاس . لقد أعلن لهم موقف الله منهم موقف الحب والغفران .. لقد عرف الناس الله على حقيقته فى حياة يسوع لأنه عندما جاء إليهم قال لهم هنا وفى هذه الساعة غفرت خطاياكم .

فهذه القصة هى إعلان لموقف الله ، إن يسوع يغفر الخطايا لأن الله محبة وغفور للخطايا . »

دعوة الرجل المكروه من كل الناس

ثُمَّ خَرَجَ أَيْضاً إِلَى الْبَحْرِ . وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ الْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ . وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاَوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ . فَقَالَ لَهُ اتْبَعْنِي . فَقَامَ وَتَبِعَهُ .

(مرقس ٢ : ١٣ — ١٤)

بدأ المجمع يوصد أبوابه فى وجه يسوع وبدأت الحرب بينه وبين قادة الديانة

اليهودية ، وبدأ المشهد المروع الذى فيه نرى ابن الله مطروداً من بيت الله . فترك هو بدوره المجمع وذهب ليعلم على شاطىء البحيرة واتخذ من الهواء الطلق كنيسة ومن السماء الزرقاء خيمته ومن سفح الجبل منبراً له . ولكن التعليم على شاطىء البحيرة وفى الهواء الطلق لم يكن بدعة فى تلك الأيام فما أكثر ما كان يرى المعلم اليهودى وهو يسير ووراءه تلاميذه يسمعون كلامه ويتعلمون منه ، وهكذا بدأ يفعل يسوع كأى واحد منهم .

أما مقاطعة الجليل فقد كانت مركزا مهما للمواصلات وقديماً كان يقال « اليهودية مغلقة عن العالم أما الجليل فهى باب مفتوح على كل العالم » وحيث أن فلسطين كانت حلقة الوصل بين إفريقيا وأوربا فقد كانت تمر بها طرق كثيرة ومهمة ، فهناك طريق البحر ، وقد كان من أعظم طرق العالم ، كان يبدأ من دمشق ماراً بقلب الجليل إلى كفر ناحوم ثم جبل الكرمل فوادى شارون وغزا وينتهى فى مصر ، أما الطريق الثانى فيبدأ من عكا على ساحل البحر المتوسط ثم يتجه إلى عبر الأردن ويسير إلى صحراء العربية وينتهى حتى آخر حدود الامبراطورية وقد كان طريقا تجاريا وحربياً فى ذات الوقت .

أما من الناحية السياسية فقد كانت فلسطين مقسمة إلى دويلات صغيرة . اليهودية وكانت ولاية رومانية يحكمها حكام رومانيون ، والجليل كانت تحت سيطرة هيرودس انتيباس بن هيرودس الكبير ، أما شرق الأردن فكان يحكمه فيليبس الابن الثانى لهيرودس ، وكانت مدينة كفر ناحوم على الحدود ما بين شرق الأردن ومملكة الجليل ولهذا فقد كانت مركزاً للجمارك ، ولما كانت هذه الجمارك تفرض على الصادرات والواردات فلابد أن المدينة كانت مملوءة بجباة

الضرائب ، فى تلك المـــدينة كان يعمل متى العشار . ومع أن متى كان يعمل لحساب هيرودس ولم يكن كزكا الذى خدم الرومانيين إلا أنه كان مكروها للغاية .

وقصة دعوة المسيح لمتى تعطينا فكرة واضحة عن شخصية متى ويسوع .

١ — كان متى رجلا مكروها لأن جباة الضرائب لم يعترف بهم المجتمع بل كان ينبذهم ولقد استغلوا هم بدورهم جهل الناس بالقوانين ومشكلات الضرائب وحاولوا أن يأخذوا منهم ما يستطيعون أخذه ، ودفعوا المبالغ المقررة للحكومة ثم حفظوا الباقى لأنفسهم ، وكانوا لذلك ممقوتين ليس من اليهود فقط بل من اليونانيين أيضاً فيضعهم لوسيون أحد كتابهم فى قائمة الزناة الغشاشين الفاسدين ولـكن يسوع أحبهم ودعا الرجل المنبوذ من الجميع ، لقد وهب صداقته للشخص الذى كرهه كل المجتمع .

٢ — ولابد أن متى كان فى ذلك الوقت يعانى عذاباً خفياً هو عذاب الضمير ، فمن المؤكد أنه سمع عن يسوع ، فذهب مع الذاهبين إليه ووقف ينصت إليه ، ولا بد أن كلمات يسوع القوية اخترقت الحجب إلى أعماق قلبه وبدأ يرى بشاعة نفسه وحالته وعمله فبدأ يكره نفسه ، ولـكن إلى من يذهب ؟ أ إلى رجال الدين فى عصره ؟ هذا مستحيل لأنهم لايقبلونه لأنه نجس فى أعينهم ولايستطيع أن يقابلهم ، فماذا يعمل ؟ يخبرنا هوك ردوود عن حالة كهذه حدثت فى لندن فيقول إن امرأة سيئة السيرة من أحياء لندن الفقيرة كانت تعيش مع رجل صينى ليس بزوجها ولها منه طفل غير شرعى . حضرت هذه المرأة يوما ما إلى أحد الاجتماعات الدينية ، ولما وجدت فى نفسها ميل إلى الحضور أخذت تتردد على

هذا الاجتماع . ولـكن جاءها واعظ الاجتماع فقال لهـا « سيدتى يؤسفنى أن أطلب منك ألا تحضرى هذا الاجتماع مرة أخرى ، فالسيدات هنا هددن بالانقطاع عن الحضور إذا حضرت هنا مرة أخرى ، وهنا حملقت المسكينة فى وجهه وقالت له « سيدى : إذن أين تذهب خاطئة مثلى ؟ » ولـكن لحسن الحظ وجدها جيش الخلاص وقادها إلى المخلص . هذا بالضبط ما حدث مع متى فقل ظل منبوذاً إلى أن التقى به من جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك .

٣ — وتـكشف هذه القصة جانباً من حياة يسوع ، فلقد دعا متى عندما كان سائراً على شاطىء البحيرة ، بمعنى أنه فى سيره العادى لمح الفرصة مواتية للخدمة فانتهزها فى الحال ، كما قال أحد العلماء «حتى فى سيره لم يكف عن الخدمة » إنه كان دائم الاستعداد ، كم يكون الحصاد وفيراً لو كنا نبحث عن أناس للمسيح أثناء سيرنا فى الشوارع المزدحمة بالناس ؟

٤ — ولهذا السبب ضحى متى أكثر من أى تلميذ آخر ، لقد ترك كل شىء بأعمق ما يحمله هذا التعبير من معنى . لقد كان سهلا على بطرس ويعقوب ويوحنا أن يرجعا إلى عملهم ، فالسفينة والشبكة والبحيرة موجودة ، أما متى فـكان كمن حرق كل سفنه وحطم الـكبارى من ورائه لـكى لا يرجع إلى الوراء ، حدث هذا فى لحظة تصميم حاسمة ، ترك عمله وكان من المحال أن يرجع إليه مرة . يقول أحد مشاهير الرجال وكان قد اعتاد أن يقطع مسافات طويلة سيراً على الأقدام ، إنه عندما كان يصادف مجرى من الميـاه صعب العبور لا يتوقف للتفكير بل كان يخلع سترته فى الحال ويلقى بها إلى الجانب الآخر من المجرى وبذلك يضمن لنفسه عدم التردد فى عبوره . هذه أعمال عظيمة تحتاج إلى عزائم

حاسمة ، هكذا فعل متى .. ترك كل شىء والتصق بيسوع . . ولم يكن متى مخطئاً فى عمله هذا .

٥ — ولم يخسر متى بل كسب الكثير ، على الأقل ربح ثلاثة أشياء :

(ا) ربح يدين نظيفتين : وكان فى إمكانه أن يواجه العالم بكل شجاعة وجرأة . نعم لقد فقد الكثير من كماليات الحياة وملذاتها ، وأضحت المعيشة صعبة المنال ، ولكنه مع ذلك صار نظيف اليدين ، ومتى تطهرت اليدان تطهر العقل .

(ب) فقد عمله ولكنه ربح عملا أعظم وأمجد : قيل عنه أنه ترك كل شىء ما عدا شيئاً واحداً : قلمه . يعتقد كثير من العلماء أن متى لم يكتب كل الانجيل الأول المسمى باسمه « انجيل متى » ولكنه كتب أهم جزء فيه وهو تعاليم يسوع، فأسلوبه المنظم وعقله الرياضى المرتب ساعداه على جمع تعاليم يسوع فى مجموعات جميلة تعتبر أمجد ما كتب إنسان ، هذه المجموعات يتضمنها انجيل متى ، وبذلك يصبح متى أول من قدم للبشرية كتابا عن يسوع .

(ح) أما الشىء العجيب حقا فهو أن قراره الحاسم فى اتباع يسوع أعطاه ما كان يصبو إليه قبلا ، أعطاه شهرة لم يكن يحلم بها ، فكل البشرية تعرف الآن متى الذى اقترن اسمه بقصة حياة يسوع ، فلو رفض الدعوة لعاش مغموراً بغيضا كريها ، ولكنه سمع وأطاع فأعطاه الله الشهرة الكاملة .. إن الله يعطينا أكثر جداً مما نظن ونعتقد .

حيث الحاجة أكبر

وَفِيمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَتَّكِئُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَتَبِعُوهُ . وَأَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ . فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ . لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى . لَمْ آتِ لِأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ .

(مرقس ٢ : ١٥ — ١٧)

ويستمر يسوع فى خروجه عن القانون فى نظر جماعة المتزمتين ، فعندما دعا يسوع متى ، عمل له هذا فى بيته وليمة عظيمة ، ولم يقتصر على ذلك بل أراد أن يشارك الآخرين الفرحة التى وجدها عندما وجد مخلصه ، فدعا زملاءه فى العمل إلى هذه الوليمة . طبعاً لم يجرؤ أن يدعو واحدا من أشراف مجتمعه كالفريسيين فذلك من المحال . وجاءت هذه الزمرة المنبوذة المكروهة وقبلها يسوع فى صحبته وقبل هو أن يكون معهم . وهنا يكمن الاختلاف الأعظم بين يسوع ورجال الدين فى عصره . فلم يكن فى جماعة الفريسيين والكتبة مكان لخاطىء ولم يكن يجرؤ واحد من الخطاة أن يواجه نظرة الازدراء والاحتقار لو وجد فى هذه الجماعة . فوجود شخص كهذا يتزلزل له الكيان الفريسى . ففى فلسطين انقسم

المجتمع إلى طبقتين : طبقة الناموسيين وهم الذين يهتمون بالناموس ويحفظونه ، وطبقة أخرى مغايرة اسمها « شعب الأرض » وهم جماعة العوام الذين لم يعيروا للدين أو الناموس أى اهتمام ، وكان محظورا على الطبقة الأولى أنه تتعامل مع الثانية ولا خلطة ولا صداقة ولا حديث ولا رفقة سفر ولا شركة عمل ، وقد كان يسهل على الواحد منهم أن يلقى بابنته إلى الوحوش على أن يزوجها لواحد منهم ، وكان من المستحيل أن تجد أحد أفراد الطبقتين فى بيت من بيوت أفراد الطبقة الثانية ، وعلى هذا فقد حطم يسوع بذهابه إلى بيت متى وجلوسه مع العشارين والخطاة كل تقاليد مجتمعه وعاداته .

ولكن ينبغى ألا يتبادر إلى الذهن أن كل « شعب الأرض » هؤلاء هم جماعة من فاسدى الأخلاق لأنهم خطاة . فكلمة خاطىء تعنى أحد شخصين : إما الشخص الذى يكسر القوانين الأخلاقية . . وإما الشخص الذى لا يتم الطقوس الدينية . فقد وضع المجتمع الشخص الذى يأكل لحم الخنزير فى مصاف الشخص الزانى ، ومن لا يغسل يديه بالطريقة الطقسية فى نفس المستوى الذى يضع فيه من يمد يده للسرقة والقتل . وضيوف متى الذين دعاهم إلى وليمته التى عملها ليسوع كان خليطا من النوعين ، نوع منهم خاطىء لأن سلوكه الأخلاقى كان شائنا أما النوع الثانى فكان خاطئا لأنه لم يكن يتمم تقاليد الكتبة والفريسيين .

وعندما ألقوا فى وجه يسوع بتهمة مخالطة العشارين والخطاة ، كان جوابه عليهم بسيطا ومفحما ، لقد قال « إن الطبيب عادة يذهب إلى مكان المرضى حيث تكون الحاجة إليه ، فالأصحاء لا يحتاجونه ، هكذا أفعل أنا ، إذ أذهب

إلى الجماعة التى تحتاج إلى » . وقد ذكر يسوع جوابه هذا فى كلمات مركزة « ع ١٧ » فجعل البعض يخطئون فهمه فيظنون أن يسوع قصر عمله على ذوى السمعة الرديئة ، ولكن هذا خطأ ، إن معنى كلام يسوع هو أن الشخص الذى يظن فى نفسه الصلاح والبر هو شخص فقد الإحساس بالحاجة ولهذا فهو يضع الحواجز بينه وبين يسوع ، أما الشخص الذى يشعر بأنه قد أخطأ وسقط فهو الشخص الذى يحس بحاجته إلى الطبيب الشافى الذى يعالجه ، ومن هو طبيبه سوى يسوع ؟

ويستطيع الدارس أن يستشف موقف اليهودى المتزمت من الخطاة فهو موقف :

١ — يتسم بالاحتقار :

يقول الربيون « إن الجاهل لا يمكن أن يكون تقيا » حتى الفلسفة اليونانية لم تخل من هذا التحقير فقد روى عن هيرو قليطس الفيلسوف اليونانى الارستقراطى أنه قال لأحدهم عندما حاول أن يضع محاوراته فى كتاب حتى يستطيع العوام أن يقرأوها ويفهموها « أنا هيرو قليطس فلماذا تجذبوننى هنا وهناك أيها العاميون ؟ إننى لم أتعب لأجلكم ، لقد تعبت لمن يفهمنى فقط ، إن واحدا منهم يساوى ثلاثين ألفا منكم ، ولكن ألوفكم الكثيرة لا تستطيع أن تعمل شخصاً واحداً يفهمنى » هكذا اتفقت الفلسفة اليونانية مع الشرائع اليهودية فى تحقير الرجل العامى أما يسوع فقد جاء إليهم وجلس بجوارهم لكى يرفعهم إليه .

٢ – يتسم بالخوف :

لقد خشى الـكتبة والفريسيون أن يجلسوا إلى هؤلاء الخطاة لئلا تصيبهم عدواهم ونجاستهم ، مثلهم فى ذلك مثل الطبيب الذى يخاف أن يقترب من المريض فتصيبه العدوى ، أما يسوع فقد نسى نفسه فى سبيل خدمة الغير . وقد أوحى موقفه هذا إلى شخص مثل س . ت شود المرسل العظيم أن يقول :

« بعض الناس يحبون أن يعيشوا قرب أجراس الـكنائس والمعابد أما أنا فأريد أن أجرى بعيداً ولو إلى الجحيم لأنقذ خروفاً » .

إن الرجل الذى يحمل فى قلبه الحقد والخوف من الآخرين لا يستطيع أن يـكون صياداً للناس .

الزمرة السعيدة

وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ . فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ . مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا وَلٰكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ .

(مرقس ٢ : ١٨ — ٢٠)

كان الصوم عادة متأصلة فى كل يهودى مدقق . نعم لم يـكن هناك صوم

إجبارى فى الديانة اليهودية سوى يوم الكفارة العظيم حينما كانت الأمة كلها تصوم معترفة بخطاياها وشرورها ، لكن اليهودى المدقق كان يصوم يومين فى كل أسبوع الإثنين والخميس ، وكان صومه يبدأ من السادسة صباحاً إلى السادسة مساءاً وبعدها يأكل أى طعام يريده .

لم يعارض يسوع الصوم ، فالصوم فى ذاته عمل مستحسن إن كان الهدف منه ساميا . كأن يدرب الإنسان نفسه على الحرمان من طعام محبوب فلا يستعبد له ولا يطيش عقله لو فقده إلى الأبد ، أو أن يقدر عطية الله المشتهاه بعد أن يحرم بعض الوقت . فمحبة الإنسان لبيته تزداد بعد أن يغيب عنه مدة من الزمن . هذه أغراض سامية للصوم ، مدعاة لإنكار النفس . لكن الأمر مع الفريسيين كان على النقيض من ذلك ، لأنهم اتخذوا من الصوم شعاراً للاستعلاء وجذب الانتباه ، إذ كان الصائم يغفل غسل وجهه ودهن رأسه ثم يلبس المسوح وبذلك يظهر للناس صائماً فيمدحونه ، ولكنه لم يكن يكتفى بمدح الناس بل كان يحاول أن يجذب انتباه الله أيضاً وأقبح الصوم هو ما كان يهدف إلى الرياء أو أن يكون إتماما لفريضة لا نابعاً من القلب والإحساس بالحاجة .

ولقد اشتكى اليهود من كسر تلاميذ يسوع لهذا التقليد فرد عليهم هو كعادته بتشبيه جميل هو تشبيه بنى العرس ، فلم يكن من عادة العروسين اليهوديين أن يقضيا شهر العسل بعيداً عن المنزل كما يفعل عرائس هذا العصر بل كان الأسبوع الأول الذى يلى الزفاف مباشرة أسبوع العمر كله إذ كانوا لا يدخرون وسعا فى ملئه بالسعادة والفرح .. تقام فيه الولائم .. وتستمر الزينات ويدعى الأصدقاء المقربون ليشاركوا العروسين فرحتهما فكان يطلق عليهم

القب « بنو العرس » وكانت التقاليد تعفيهم من كل فريضة تقلل من بهجة أفراحهم مثل الصوم مثلا . ولقد أطلق يسوع على تلاميذه هـــذا اللقب « بنو العرس » وبهذا رسم لنا طبيعة الحياة المسيحية الحقيقية . . إنها حياة الفرح وهل هناك أدعى إلى الفرح من اللقاء بيسوع والسير معه ؟ هناك قصة تروى عن شخص يابانى إسمه توكنشى إيشى . كان مجرماً شريراً لم يعرف قلبه الرحمة . . وكم تلطخت يداه بدماء أبرياء كثيرين من رجال ونساء وأطفال ، قبض عليه يوما ما وأودع السجن ، وفيما هو هناك زارته اثنتان من السيدات الكنديات وحاولتا أن تكلماه ولكنه لم ينطق بحرف واحد بل كان ينظر إليهما نظرات قاسية مرعبة ، فتركتاه بعد أن تركتا معه نسخة من الكتاب المقدس مع أمل ضعيف فى أن يقرأ شيئاً فيها . لكن شيئاً ما شغله وبدأ يقرأ أصحاحات فى الأناجيل وحالما وصل إلى قصة الصلب انفتح قلبه وعرف مخلصه . وحينما جاء السجان ليقوده إلى خشبة الإعدام لم يجده أمامه ذلك الوجه الصارم القاسى بل وجد وجها تعلوه الابتسامة والبهجة فاندهش ، نعم لأنه لم يعلم إن إيشى قد نال الولادة الجديدة واختبر الفرح الحقيقى الذى هو ثمرة الحياة المسيحية .

ولكن القصة تنهى والغيوم تلبد الجو إذ يقول « حين يرفع العريس عنهم » إنه لم يحدد قوله ولكنه كان يرى أمامه الموت . . كان يرى الصليب فلم يخف ولم يحد عن الطريق بل سار إلى مصيره المحتوم من الآب بكل جرأة وشجاعة خليقين بكل إعجاب .

ضرورة الاحتفاظ بشباب العقل

لَيْسَ أَحَدٌ يَخِيطُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ وَإِلاَّ فَالْمِلْءُ الْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِنَ الْعَتِيقِ فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ . وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ . بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ .

(مرقس ٢ : ٢١و٢٢)

كان يسوع يعرف أن رسالته جديدة وأن سلوكه الإجتماعى يختلف عن سلوك أولئك اليهود المتزمتين المتمسكين بأهداب التقاليد ، وكان يعرف أيضاً طبيعة الناس المتشككة المترددة إزاء كل حق جديد ، وهو لهذا يطلب من صاحب أى رسالة جديدة أن يكون له العقل الراجح والعزيمة الماضية .

ولم يكن هناك من يضارعه فى استخدام التشبيهات المنزلية فمن خلال الأعمال والأشياء البسيطة يستطيع أن ينفذ السامع إلى الله ، فيقوده من الأشياء التى ترى إلى التى لا ترى ، فالأرض أمامه مملوءة بالسماء ، وعلاقته بالآب كانت هكذا وثيقة حتى أنه رآه فى كل شىء ومن خلال كل عمل . يذكر أحدهم عن أحد الوعاظ الاسكتلنديين الأتقياء أنه كثيراً ما رافقه فى نزهات خلوية طويلة ، كانا يقضيان الوقت فى أحاديث مختلفة ، ويقول هـذا الرجل إن هذا الواعظ كانت له المقدرة الفذة فى أن يحول كل حديث مهما كان اتجاهه وهدفه إلى الله. هكذا كان يسوع أينما كانت عيناه تنظران كان يرى الله هناك .

١ – لقد تكلم عن خطورة وضع رقعة جديدة فى ثوب عتيق . إن الكلمة التى يستخدمها تعنى أن قطعة القماش التى تستخدم كرقعة كانت جديدة لم تستعمل من قبل فعندما تحاك فى الثوب العتيق ثم بعد ذلك تبتل بالماء فإنها تتقلص فتقطع « الملء » ويصير الخرق أردأ . هكذا قد يأتى الوقت حينما يفوت أوان الترقيع ولا يبقى هناك مفر من عملية خلق جديدة . ففى القرون الوسطى شعر لوثر أن الترقيع لم يعد ينفع فى إصلاح مفاسد الكنيسة الكاثوليكية فلا أقل من الإصلاح الكامل وكان الحال كذلك مع جون وسلى فى إنجلترا عندما حاول إصلاح كنيسة إنجلترا من الداخل دون أن يتركها ولكنه لم يستطع واضطر إلى تركها وتأسيس جماعة جديدة أمينة . وهناك أمثلة أخرى كثيرة تبين أن الترقيع لا ينفع فى كثير من الأحيان .

٢ – أما التشبيه الثانى فهو تشبيه الخمر والزقاق . ففى فلسطين لم يعرف الناس الأوانى الزجاجية لحفظ الخمر بل كانوا يستخدمون لهذا الغرض أزقة من الجلد . وكلما كان الزقاق جديداً كان جلده أكثر مرونة فيتحمل ضغط الغازات الناتجة من الخمور المتخمرة المحفوظة فيه ، ولكن عندما يأخـــذ فى القدم فإن الجلد ييبس ويصبح أقل مرونة فينفجر من ضغط الخمر . وهكذا يطلب يسوع مرونة الذهن فى تقبل الحقائق الروحية . يذكر ج . ا فندلى إقتباساً عن أحد أصدقائه هذه العبارة « إذا وصل الإنسان إلى نتيجة محددة لا يحيد عنها . . مات » بمعنى إن العقل عندما يثبت على طريقة محددة وفى مكان محدد ويصبح ولا طاقة له ولا قابلية لتقبل الحقائق الجديدة فإنه يموت . ويظهر ذلك فى وضوح عندما تتقدم السن بالناس فإن تفكيرهم يتوقف عند حقائق معينة وبذا ينفرون من كل جديد ، وهكذا تجف حياة الناس وتعجز عن تقبل الحقائق الجديدة . يذكر

لبزلى نيو بجن إنه عندما كانوا يبحثون مسألة تكوين كنيسة جنوب الهند المتحدة كان السؤال المتكرر دائماً هو « ولكن إلى أين نحن ذاهبون ؟ » وفى آخر المطاف وقف أحدهم يرد على هذا القول بكل جرأة وصراحة فقال « إن المسيحى يجب ألا يسأل إلى أين يذهب ، «ابرهيم خرج وأطاع وهو لا يعلم إلى أين يذهب ، ويعقوب ذلك الرجل العجوز عندما كان على فراش موته بارك حفيده وبعدئذ سجد على رأس عصاه ، وهذه العصا هى وسيلة الترحال حتى فى فراش الموت كان يعقوب مستعداً أن يذهب إلى آفاق جديدة » .

التقوى الحقيقية والمزيفة

وَاجْتَازَ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ . فَابْتَدَأَ تَلاَمِيذُهُ يَقْطِفُونَ السَّنَابِلَ وَهُمْ سَائِرُونَ . فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ انْظُرْ . لِمَاذَا يَفْعَلُونَ فِي السَّبْتِ مَالاَ يَحِلُّ . فَقَالَ لَهُمْ أَمَا قَرَأْتُم قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ . كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ فِي أَيَّامِ أَبِيأَثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضاً ثُمَّ قَالَ لَهُمُ السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الإِنْسَانِ لاَ الإِنْسَانُ لِأَجْلِ السَّبْتِ . إِذًا ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا .

(مرقس ٢ : ٢٣ — ٢٨)

مرة أخرى يصطدم يسوع بتقاليد الكتبة والفريسيين . ففى أحد السبوت كان يسير مع تلاميذه ، وكان التلاميذ يقطفون سنابل القمح . كان هذا العمل عادياً فى كل يوم مادامو لا يستخدمون المنجل (خروج ٢٣ : ٢٤) ، ولكن إذا حدث ذلك فى يوم السبت فإن الوضع يختلف ، فلقد عمل الفريسيون قائمة بالأعمال التى يحرم على اليهودى القيام بها فى يوم السبت وكانت ٣٩ عملا ومن ضمنها الحصاد والدرس والتذرية وعمل الخبز ، وهذا مافعله تلاميذ المسيح قطفوا السنابل وأخرجوا منها القمح واستخدموها كطعام ، إن هـذا تفكير سقيم بالنسبة لنا ، أما لليهود فقد كان هذا العمل هو الخطية المميتة .

وحالما رأى الفريسيون ذلك هاجموا المسيح وتلاميذه ، وقد كان من المنتظر أن يوقف يسوع تلاميذه عن هذا العمل ، ولكنه لم يفعل ، بل جاوبهم بنفس طريقتهم ، فذكر لهم قصة داود عندما كان هاربا من الموت وكان جائعاً هو ومن معه ، فعرج على خيمة الإجتماع ودخل يطلب خبزاً ولكنه لم يجد سوى خبز الوجوه الذى كان يقدم كتقدمة للرب على مائدة مذهبة طولها ٣ أقدام وإرتفاعها قدم ونصف وعرضها نصف قدم وتوضع أمام الحجاب الذى يفصل قدس الأقداس عن القدس وكان خبز الوجوه يوضع أسبوعا ثم يستبدل بغيره ولا يجوز لغير الكهنة أكل هذه الخبزات المستبدلة ، ولكن داود تناول من هذا الخبز وأكل ، إنها الحاجة الملحة . وبهذا أظهر يسوع أن الأسفار المقدسة تعلن أن الحاجة البشرية لها الأهمية الأولى فى نطر الله أكثر من أى شريعة حتى ولو كانت شريعة الهية .

قال السيد . السبت إنما جعل للانسان لا الإنسان للسبت » وهذا أمر بديهى إذ قد خلق الإنسان قبل شريعة السبت ، ولهذا فلم يخلق السبت ليستعبد

الإنسان ويجعل منه عبداً لنواه وأوامر كثيرة بل خلق لكي يضفى على حياته بهجة وعمقاً روحياً .

وتعطينا هذه القصة دروسا كثير ما ننساها :

١ — إن المسيحية ليست ديانة نواه وشرائع وتقاليد . فيوم الأحد هو يوم مسيحى مقدس ولكنه ليس كل شىء فى المسيحية ، فمن يظن أن المسيحية ليست سوى التدقيق فى حفظ يوم الأحد وعدم القيام بأعمال دنيوية فيه بل بالعبادة وإجتماعات الكنيسة والصلاة وقراءة الكلمة . . من يظن ذلك فهو يفكر فى مسيحية سهلة ، فعندما يغمض الإنسان عينيه عن الحق والرحمة والمحبة للآخرين ويستبدل كل هـذه ببعض الأعمال الطقسية فإنه لايعرف شيئاً عن الديانة . فالمسيحية إشتهرت فى كل العصور بأنها الديانة التى تعمل الكثير لا التى تحرم الكثير .

٢ — إن الحاجة البشرية تعتبر فوق كل حاجة أخرى وكل إقرارات الإيمان تؤكد هذا الحق وتعتبر أن الإهتمام بحاجة البشر واجب مشروع كل يوم حتى يوم الأحد . ولو وقفت الشعائر الدينية عقبة فى سبيل معونة إنسان محتاج لكانت شعائر خاوية غير نافعة ، فالإنسان أهم من الطقوس . ومحبة الله تظهر جليا فى محبة الأخوة .

٣ — إن أفضل طريقة لاستخدام الأشياء المقدسة وإظهار قصد الله فيها هو استخدامها فى مساعدة الإنسان . ولإيضاح ذلك يمكن أن نذكر هنا القصة الرائعة التى تسمى « المجوسى الرابع » وتقول القصة إن أربعة من المجوس تعاهدوا

أن يتقابلوا فى مكان ما فى الصحراء لكى يقودوا قافلة كبيرة ويذهبوا ليسجدوا للملك المولود كما يرشدهم النجم الذى ظهر فى المشرق . وكان المجوس هم كسبر ملكيور بلثاسر وأرثابان . ولقد جهز هذا المجوسى الرابع أرثابان هديته التى كان سيقدمها للملك وهى عبارة عن ثلاثة جواهر : ياقوتة زرقاء وأخرى حمراء وجوهرة تفوق كل ثمن . وذهب ليقابل أصدقاءه الثلاثة فى الصحراء ، وقد بقى على وقت الرحلة وقت قصير . ولكنه فى طريقه رأى شبحا ملقى على الأرض فتقدم منه فوجده سائحا غريبا يئن من الحمى ، واحتار أرثابان هل يبقى لمساعدة الرجل؟ لعله لا يدرك القافلة بعد ذلك فوقت الرحيل قد أزف : ولكنه فضل أن يبقى ليعين هذا المسكين ، وبقى معه حتى شفى ، ثم أسرع لمقابلة القافلة ولكن بعد فوات الأوان ، فاضطر أن يستأجر جمالا ومرشدين واحتاج للمال واضطر أن يبيع الياقوتة الزرقاء وهو حزين إنه لا يستطيع أن يقدمها للملك ، ثم سافر إلى فلسطين ولكنه وصل إلى هناك بعد أن كان الصبى يسوع قد هرب مع أبويه إلى مصر خوفا من هيرودس، فاضطر أن يلجأ إلى بيت ليقيم فيه وهناك شاهد المذبحة القاسية التى قتل فيها جنود هيرودس الأطفال الأبرياء . وكان فى البيت الذى لجأ إليه طفل عزيز على والديه ، ورأى أرثابان الفزع والخوف الذى يملأ البيت كلما اقترب الجنود منه ففكر أن يعمل عملا فقام لتوه ووقف على الباب حتى جاء الجنود فأعطاهم الياقوتة الحمراء ورجاهم أن يتركوا هذا البيت ففعلوا ونجا الطفل من القتل ورجع الفرح الطاغى إلى هذه الأسرة وفرح أرثابان معهم. ثم مضى يتجول سنين طويلة يبحث عن الملك إلى أن رجع إلى أورشليم بعد أكثر من ثلاثين سنة. وكان يوم

صلب المسيح ، وأحس أن دافعا يدفعه إلى الجلجثة . لعله يجد الملك هناك فيقدم له جوهرته الثمينة ، ولكنه فى طريقه صادف فتاة تسابق الريح محاولة الهرب من جماعة العسكر الذين جروا وراءها ليقبضوا عليها ، وعرف أن أباها غارق فى الديون وأن صاحب الدين أراد أن يأخذ الفتاة جارية عنده وفاء لهذا الدين ، وصرخت الفتاة فيه « أنقذنى . . أرجوك » وتردد أرتابان كثيراً ولكنه عزم أخيراً وأخرج الجوهرة وأعطاها للجنود وأنقذ الفتاة . وفجأة اظلم الجو وحدثت زلزلة مروعة وتطايرت قطع من الأحجار وأصابت إحداها رأس أرتابان فسقط مغشيا عليه فحملته الفتاة على حجرها . وبعد مدة تحركت شفتاه وسمعته يقول : « لا لا ياسيدى — متى رأيتك جائعاً فأطعمتك ؟ أو عطشانا فسقيتك ؟ متى رأيتك غريبا فآويتك أو عريانا فكسوتك ؟ متى رأيتك مريضا أو مسجونا فجئت إليك ؟ ثلاثين سنة وأنا أفتش عليك ولكنى لم أجدك ولم أر وجهك ولم أقدم لك خدمة واحدة ؟ ؟ ولكن جاءه صوت هامس من بعيد فى نبرة عذبة يقول « الحق أقول لك بما أنك فعلت بأحد إخـــوتى هؤلاء الأصاغر فبى قد فعلت » وظهرت ابتسامة جميلة على الوجه المنطلق إلى السماء لأنه عرف مليكه ولأنه قبل هداياه .

إن أمجد طريقة لاستخدام الأشياء المقدسة هى أن نخدم بها الآخرين . لقد أوصد الناس يوما ما الكنيسة فى وجه الأطفال لأنهم ظنوها أقدس من أن تهتم بهم فيكفيها أن تقوم بعباداتها وخدماتها الأخرى ، ولكن الأشياء تكون مقدسة حقيقة عندما تسد احتياجات الناس . فخبز الوجوه لن يكون مقدساً إلا عندما يشبع رجلاً يموت من الجوع ، ويوم السبت لا يقدس إلا إذا امتلأ بخدمة المحتاجين المعوزين ، إن الحكم الفيصل فى كل ذلك هو المحبة وليس الناموس .

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

تصارع الأفكار

ثُمَّ دَخَلَ أَيْضًا إِلَى الْمَجْمَعِ . وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ . فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ . لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ قُمْ فِي الْوَسْطِ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ . تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ . فَسَكَتُوا . فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِينًا عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ مُدَّ يَدَكَ . فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى . فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ .

(مرقس ٣ : ١ ــ ٦)

تعتبر هذه الحادثة نقطة حاسمة فى حياة يسوع وارساليته . فقد كان من المنتظر أن يحجم يسوع عن الذهاب إلى المجمع بعد أن بدأ الصراع بينه وبين رؤساء المجمع يأخذ طابع العلنية ، ولكنه كان رجلاً شجاعا لا يهرب من المواقف الحرجة ، ولهذا ذهب إلى المجمع حيث وجد سفارة من السنهدريم جاءت خصيصا

لكى تراقبه وتحكم على تصرفاته وتعاليمه . ويلوح أن السنهدريم سمع عن يسوع وأعماله فرأى أعضاؤه — وهم الأوصياء على معتقدات الناس وحماة الناموس — أن يرسلوا هذه السفارة . فجاءت وجلس أعضاؤها فى المقاعد الأولى . لم يكن همهم الأول هو العبادة بل مراقبة أعمال يسوع وأقواله .

وقد حدث أنه كان فى تلك الساعة فى المجمع رجل يده يابسة . ويؤخذ من النص اليونانى أن الرجل لم يولد هكذا بل إن حادثة ما شلت ذراعه . ويذكر إنجيل العبرانيين [وهو كتاب مفقود ماعدا أجزاء بسيطة منه] أن هذا الرجل كان يعمل فى نحت الأحجار ولهذا فقد كان عمله يتوقف على سلامة يديه ، فلما عجز عن العمل وخجل من الاستجداء جاء إلى يسوع طالبا منه المعونة . وكان فى استطاعة يسوع أن يتجاهله وألا ينظر إلى ناحيته ، ولكن الموقف لم يكن يتطلب الدبلوماسية الملتوية ، ولم يكن هو بالرجل الذى يغمض عينيه فى هذه المواقف فعزم على أن يعاون هذا المحتاج مهما كانت المتاعب .

وبالطبع كان اليوم يوم سبت حيث يحرم فيه كل عمل بما فى ذلك علاج المرضى. وكان الناموس صريحا وقاطعا فى ذلك . ولم يكن يسمح بأية عناية طبية الا لمن هم فى خطر الموت : كإمرأة تضع طفلا أو شخص أصيب بالدفتريا ، وحتى إذا سقط حائط على شخص فيمكن أن تزال الأنقاض من فوقه فإن وجد حيا أسعف حتى لا يموت ولكن إن وجد ميتا فتترك جثته مكانها إلى أن ينقضى يوم السبت. وإذا حدث وكسرت ذراع شخص فى يوم السبت فيتركها بدون علاج إلى اليوم الثانى ، وإن قطعت إصبعه فيربط الجرح بدون تضميد ، ومعنى ذلك كله أنهم يحاولون فقط حفظ الحياة من الموت بعلاجات بسيطة . وقد يصعب على

ذهن الإنسان العصرى أن يصدق ذلك فعليه أن يرجع إلى التاريخ ، وخاصة ما دونه يوسيفوس ، المؤرخ اليهودى المشهور ليعرف صحة ذلك . فهو يصف كيف كان يتصرف المحاربون القدامى فى يوم السبت ، فيذكر عنهم أن الثوار فى بدء حركة المكابيين امتنعوا عن أن يحاربوا يوم السبت وحاصرهم الجيش السورى فدخلوا إلى الكهوف ، وطلب منهم قائد الجيش أن يستسلموا ولكنهم رفضوا فما كان منه إلا أن أحرقهم داخل كهوفهم ومكثوا ساكتين يحترقون بالنار دون أن يفعلوا شيئا لأنه كان يوم سبت ولا يمكنهم أن يكسروه. ومرة أخرى استغل هذه العقيدة القائد الرومانى بومباى فى حصاره لأورشليم ، فقد كان يبنى قلعة عالية بجوار الهيكل ، ولم يمكن أن يبنيها إلا فى يوم السبت حين وقف اليهود مكتوفين لا يعملون شيئا فأهلك منهم بومباى الكثيرين لأجل ذلك. من هذا نرى أن موقف اليهودى يوم السبت كان متزمتا لا يتسم بأى شىء من المرونة .

وكان يسوع يعلم ذلك ، وكان يعلم — إلى جانب ذلك — أن حياة هذا الرجل لم تكن فى خطر وكان يمكن أن ينتظر يوما آخر دون أن يحدث له أى ضرر ، ومع ذلك فقد كان يسوع يريد أن يواجه الموقف بكل صراحة ، فطلب من الرجل أن يقف ، فوقف ورآه الجميع ، ولعل يسوع كان يقصد أن يراه الحاضرون فيشعروا بتعاسته وتتولد فى قلوبهم الرحمة والشفقة على الغير ، بل لعله أراد أن يشفيه أمام الكل فيشهد جميع الحاضرين على هذا العمل ؛ ولهذا بدأ عمله بأن سأل العارفين سؤالين متتاليين : الأول « هل يحل فى السبت

فعل الخير أو فعل الشر ؟ » وبهذا وضعهم فى حيرة : هل يمكنهم أن ينكروا جواز فعل الخير فى السبت ؟ وهل يمكنهم أن يجيزوا فعل الشر فيه ؟ وماذا كان سيفعل يسوع ؟ أليس من الخير ألا يترك رجلا فى تعاسته هذه بل أن يقبل إلى معونته ويشفى يده ؟ ثم كان السؤال الثانى « تخليص نفس أو قتل ؟ » وبهذا السؤال أصاب سهمه كبدهم ، فقد كان يفكر هو فى انقاذ هذا الرجل ، أما هم فلم يفكروا إلا فى قتله هو ، فأيهما يفعل الخير يوم السبت ! هو أم هم ؟ وعجزوا عن الجواب ، وعندئذ خرجت منه كلمة القوة وشفى الرجل ، فخرج الفريسيون واتفقوا مع الهيرودسيين فى تدبير مؤامرة لقتله .

وهذا يبين المدى الذى قد يذهب إليه الفريسى فى كراهيته . ففى الظروف الطبيعية كان يعامل الهيرودسيين على أنهم نجسون لا يحل له أن يتعامل معهم لأنهم خونة يعملون فى بلاط ملك نجس ويتعاملون مع الرومانيين . ولكن فى سبيل تنفيذ مؤامرة ضد يسوع فإنه — أى الفريسى — يتفق مع هؤلاء النجسين ليساعدوه على ذلك . ما أقسى الكراهية التى لا تتوقف عند أى اعتبار مهما كان .

وأهمية هذه الحادثة تظهر فى إظهار الصراع بين الأفكار الدينية المختلفة : —

١ — فالديانة فى عرف الفريسى هى القيام بأعمال طقسية من فرائض وشرائع ، فعندما كسر يسوع إحدى هذه الشرائع حكموا عليه بأنه رجل شرير . مثلهم فى ذلك قتل الإنسان الذى يظن أن الديانة لا تزيد عن الذهاب إلى الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس والصلاة على الطعام وممارسة الصلاة العائلية والقيام بكل الأعمال الظاهرية التى يعتبرها الناس من صلب الديانة ولكنه مع ذلك لا يخدم أخا ولا

يحمل للآخرين ذرة عطف تدفعه إلى بعض التضحية من أجلهم . شخص كهذا يخفى نفسه فى تزمته وتمسكه العقيم بظواهر ديانته بينما يسد أذنيه عن صوت الحاجة البشرية .

٢ — أما الديانة فى مفهوم يسوع فهى الخدمة التى تنبع من المحبة لله والمحبة للاخوة ، إن الطقوس شيء تافه بجانب المحبة العاملة :

صديقنا أخانا وربنا
ما هى الخدمة التى تطلبها لنقوم بها
لا نتبع اسما ولا رسما ولا طقسا
بل أن نتبعك

إن أهم شيء فى العالم فى نظر يسوع لا أن نقوم بالطقوس بطريقة صحيحة بل أن نلبى نداء إخوتنا المحتاجين .

فى وسط الجماهير

فَانْصَرَفَ يَسُوعُ مَعَ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ وَمِنْ أَدُومِيَّةَ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ . وَالَّذِينَ حَوْلَ صُورَ وَصَيْدَاءَ جَمْعٌ كَثِيرٌ إِذْ سَمِعُوا كَمْ صَنَعَ أَتَوْا إِلَيْهِ . فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ أَنْ تُلاَزِمَهُ سَفِينَةٌ صَغِيرَةٌ لِسَبَبِ الْجَمْعِ كَيْ لاَ يَزْحَمُوهُ . لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ

لِيَلْمِسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَاءٌ . وَالْأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَمَا نَظَرَتْهُ خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللهِ . وَأَوْصَاهُمْ كَثِيرًا أَنْ لَا يُظْهِرُوهُ .

(٣ : ٧ — ١٢)

لم يكن يسوع مستعداً أن يدخل فى صراع علنى مع الرؤساء فترك الجمع وذهب إلى شاطىء البحيرة ، ولكن عمله هذا لم يكن بدافع الخوف أو العجز عن مواجهة العواقب ، ولكن لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد ، وأمامه الكثير الذى يجب أن يعمله قبل أن يدخل فى هذا الصراع ، ولهذا تركهم ومضى إلى البحيرة ، وهناك تدافعت الجموع وراءه وازدحمت عليه ، جاءوا من بلاد بعيدة ! من كل قرى الجليل ومن أورشليم حيث ساروا حوالى مائة ميل لكى يسمعوه ، ومن أدومية فى أقصى الجنوب فيما بين فلسطين والجزيرة العربية ، ومن عبر الأردن فى الشرق . ومن بلاد أممية من فينيقيه وصور وصيدا على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى الشمال الغربى .. من كل هذه الأماكن والبلاد جاءت الجماهير إليه لكى تسمعه وتتعرف عليه ، وكان الجمع كبيرا حتى أنه جعل سفينة فى البحيرة على أهبة الاستعداد لأن تبتعد عن الشاطىء فى حالة الهياج وحتى المرضى الذين جاءوا طالبين الشفاء لم يستطيعوا أن ينتظروا لمسته بل اندفعوا إليه بكل قوة .

ولكن مشكلة خاصة واجهت يسوع وهى مشكلة أولئك الذين بهم أرواح نجسة . ومهما كان تفسيرنا العصرى لهذه الظاهرة الغامضة لكن علينا أن نعلم أن هؤلاء الناس كانوا يعتقدون أن قوة شريرة خارج أنفسهم قد امتلكتهم

وأخضعت كل قواهم . وكانوا ينادون يسوع باسم « ابن الله » وهنا يجب أن نأخذ حذرنا فى معالجة هذا اللقب فلا نظن أنهم كانوا يقصدون معنى لاهوتيا أو فلسفيا كما نفهمه نحن فى عصرنا الحديث ، لأنهم كانوا يقصدون به معنى آخر أكثر بساطة مما نعرف ، فقديما كان ملوك مصر يدعون « أبناء رع » ، ومن أيام أغسطس قيصر كان القياصرة يعرفون بأبناء الآلهة . أما العهد القديم فقد أطلقه على أربع فئات من المخلوقات :

١ — أطلقه على الملائكة : ففى تك ٦ : ٢ يرى بنو الله — الملائكة — بنات الناس أنهن حسنات وفى ايو ١ : ٦ يظهر أبناء الله مجتمعين معا أمام الله . فابن الله هو اللقب الطبيعى للملاك .

٢ — وأطلقه على الأمة الإسرائيلية قاطبة فيقول : « من مصر دعوت ابنى (هوشع ١١ : ١) ثم يقول إسرائيل ابنى البكر خروج ٤ : ٢٢ .

٣ — وأطلقه أيضا على الملك ففى ٢ صم ٧ : ١٤ يعطى الله الوعد لداود أن نسله الملوكى يكون له ابنا وهو يكون له أبا .

٤ — وآخر الكل أطلق فى كتابات ما بين العهدين على الرجل الصالح إذ يقول : ستكون ابنا للعلى وسيحبك أكثر من أمك : سيراخ ٤ : ١٠ .

فى كل هذه المواضع نجد أن ابن الله تطلق على الشخص القريب من الله الذى له صلة خاصة به .

وقد نجد نفس هذا المفهوم فى العهد الجديد فتيموثاوس هو ابن لبولس الرسول إذ هو أقرب إلى نفسه ويفهم غرضه أكثر من أى شخص آخر

[اتى ١ : ٢ ، ١٨ ، وفيلبى ٢ : ١٩ - ٢٢] وكذلك مرقس دعى ابنا لبطرس لأنه استطاع أن يعرف عقل بطرس وتفكيره معرفة عميقة فتكون له صلة عميقة به (١ بط ٥ : ١٣) . وهكذا يستخدم العهد الجديد هذا اللقب فى بساطته ، فأينما قابلنا هذا اللقب على صفحاته فلا نظن أن المقصود برهنة عقيدة التثليث مثلا ، بل لنفهمه على أنه الطريقة الحقيقية التى حاول بها الناس أن يعبروا عن العلاقة الخاصة بين يسوع والله . وبهذا المعنى كان ينطق هؤلاء المرضى بأرواح نجسة بهذا اللقب . فقد كانوا يعتقدون أن الشياطين التى تملكتهم تخاف وترهب هذا الشخص الذى له هذه العلاقة الخاصة بالله

ولكن لماذا أمرهم يسوع بشدة أن يسكتوا ؟ والسبب بسيط واضح ، فقد كان يسوع هو المسيا ، ولكن مفهوم المسيا عنده كان يختلف اختلافا جوهريا عن مفهومه عند اليهود ، فهو يفهمه على أنه مركز للخدمة والتضحية ، فالمسيا هو الشخص الذى يعمل لأجل الآخرين ولو سار إلى الصليب ، أما هم فقد فهموه على أنه الشخص الذى يقود اليهود إلى المجد والنصرة العسكرية على الرومان . فلو عرفه الناس أنه هو المسيا — وخاصة فى الجليل — لاندلعت الثورات ولتبعه الناس مسلحين . وكم من شخصيات ادعوا أنهم المسيا وقادوا عصابات مسلحة ولكن حركاتهم كلها باءت بالفشل .

إن يسوع لم يرد أن يعلن عن نفسه قبل أن يعلمهم ويؤهلهم لتقبل فكرة المسيا الخادم المضحى ، وإلا لكان ضرر الإعلان أشد خطورة وقسوة وبذلك تضيع إرسالية يسوع — إرسالية الحب والفداء فى تيار قومية متعصبة متعطشة للقتال وسفك الدماء .

الجماعة المختارة

ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ . وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونوا مَعَه وَلِيُرْسِلَهُم لِيَكْرِزُوا . وَيَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ . وَجَعَلَ لِسِمْعَانَ اسْمَ بُطْرسَ . وَيَعْقُوبَ بْنَ زَبَدِي وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ وَجَعَلَ لَهَا اسْمَ بُوانَرْجِسَ أَي ابْنَي الرَّعْدِ . وَأَنْدَرَاوُسَ وَفِيلُبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ وَمَتَّى وَتُومَا وَيَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَتَدَّاوُسَ وَسِمْعَانَ الْقَانَوِيَّ . وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي أَسْلَمَه . ثُمَّ أَتَوْا إِلَى بَيْتٍ .

(٣ : ١٣ — ١٩)

فى هذا الفصل نجد يسوع يأخذ قراراً حاسما . فلقد اختار نوع الرسالة التى يقدمها للبشرية ، ثم عين الطريقة التى يقوم بها لتقديم هذه الرسالة ، فجال فى الجليل يكرز ويشفى المرضى ، فكان تأثيره على الرأى العام كبيراً . وهنا برزت أمامه مشكلتان عمليتان : الأولى : كيف يمكن أن تبقى رسالته حية عاملة حتى ولو أصابه مكروه على يد الرؤساء — وهو ما يضعه أمام عينيه دائما ؟ والثانية : ما هى الطريقة المثلى التى يمكن أن ينشر بها هذه الرسالة فى عصر لم تكن فيه دور للنشر ولا كتب مطبوعة يمكن أن تصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس .

وكان الحل الأمثل لهاتين المشكلتين هو أن يختار جماعة من الناس يطبع على حياتهم رسالته فيخرجون من حضرته ليحملوا للناس رسالته عملية حية ، وهذا ما عمله السيد تماما .

إن من أبرز وأهم الأمور فى المسيحية أنها بدأت بجماعة من الناس ، والإيمان المسيحى منذ البداية ظهر فى جماعات تحيا معا فى محبة وسلام ، ليس هذا هو طريق الفريسيين .. طريق الانفصال عن الناس ، فالفريسى هو الشخص المنفصل على عكس الطريق المسيحى الذى جعل الناس تعيش معا ولأجل بعضهم البعض .

ولكن هذه الجماعة التى بدأت بها المسيحية كانت مكونة من أفراد متباينة مختلفة الطباع والأمزجة ، جاءوا من أوساط متباينة ، فقد جمعت إلى جانب متى العشار الرجل الذى خان بلاده فعمل مع الأعداء .. جمعت معهم سمعان القانوى الذى يسميه لوقا — بحق — بالغيور ، وهم جماعة الوطنيين المتطرفين المتعصبين الذين وقفوا مستعدين فى كل حين لسفك الدماء وتخليص بلادهم من احتلال الرومان . وهكذا كانت الآراء والنظرات المتباينة إلى هذا الحد فى هذه الجماعة المسيحية الأولى ، لكن يسوع صهرهم ليعيشوا معا فى سلام ومحبة هادفين إلى غرض سام واحد .

ومن هم أفراد هذه الجماعة إذا قسناهم بالمقياس البشرى ؟ هم جماعة لا يحلم أى إنسان يقود حركة ضخمة كيسوع أن يختارهم . . إنهم جماعة حرموا من العلم والثروة ومن المراكز الدينية أو الدنيوية . . جماعة عادية بكل ما تعنيه هذه الكلمة . ولكنهم مع ذلك قد امتازوا بأمرين فى غاية الأهمية : الأول هو أنهم اختبروا لمسة يسوع السحرية فأحسوا أن فيه شيئا يجذبهم إليه ويجعلهم يتخذونه

سيدا لهم ، والثانى أنه كانت لهم الشجاعة الكافية أن يعلنوا ذلك على الملأ . نعم أعلنوا ذلك أمام الجميع وهم يعلمون أن سيدهم هذا قد اختار الطريق الضيق الخطر الذى قد يؤدى إلى الموت ، فكسر كثيرا من العادات والتقاليد التى يرعاها رؤساء ديانتهم ، جلس مع الخطاة والعشارين فاتهموه بأنه خاطىء وهرطوق لقد تركوا كل شىء من أجله وساروا وراءه وهم مفتوحى الأعين يعرفون طريقهم جيدا .. فمهما قيل عنهم وعن أخطائهم الكثيرة : لقد كانوا مخلصين لسيدهم بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان .. وهذه هى المسيحية الحقيقية .

ودعاهم يسوع إليه لسببين ، الأول : لكى يكونوا معه على الدوام فلا يتركونه أبدا .. غيرهم كان يأتى ويذهب . بعض الذين أحاطوا به قد التصقوا به ولكن إلى حين ، ولكن هؤلاء التصقوا به وتعبوا معه وربطوا حياتهم بحياته . أما السبب الثانى فلكى يرسلهم ليكونوا ممثلين له مخبرين الجميع عنه .. لقد ربحهم لنفسه وأراد أن يربح بهم العالم .

ولكى يؤهلهم للعمل الذى دعاهم إليه جهزهم يسوع بأمرين : الأول أنه أعطاهم رسالة .. ورسالته هى شخصه ، فكانوا الداعين إليه . قال أحد الحكماء إن المعلم الناجح الذى يسمع له الناس هو الشخص الذى يكون تعليمه نابعا من حياته وشخصيته . وإن علم تعليم غيره فتكون عنده العاطفة المتأججة لهذا التعليم ونشره . والناس يسمعون دائما للشخص الذى عنده شىء يقوله لهم . هذا ما أعطاه يسوع لهم . ثم أعطاهم القوة ، كان عليهم أن يخرجوا شياطين ولهذا فقد أعطاهم قوته .

إن أردنا أن نعرف ما هى التلمذة الحقيقية ليسوع فما علينا إلا أن ندرس حياة هؤلاء التلاميذ .

القرار الخاص به

فَاجْتَمَعَ أَيْضًا جَمْعٌ حَتَّى لَمْ يَقْدِرُوا وَلاَ عَلَى أَكْلِ خُبْزٍ . وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ لِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ مُخْتَلٌّ .

(٣ : ٢٠ و ٢١)

كثيراً ما تفاجئنا كلمة من شخص ما نحس أن وراءها خبرة مريرة قاسية . ومن هذه الكلمات ما قالها يسوع حين كان يعدد الصعوبات التي يواجهها أتباعه إذ قال « إن أعداء الإنسان أهل بيته (متى ١٠ : ٣٦) » . فقد أضحت أسرة يسوع إحدى صعوبات رسالته لأنهم ظنوه مختلا . ويجب إرجاعه إلى البيت ولو بالقوة . ولكن كيف وصلت هذه الأسرة إلى هذه النتيجة :

١ — لقد ترك يسوع بيته وعمله فجأة ، فلقد كان هو نجارا ناجحا يكفيه دخله مع أسرته ليعيشوا عيشة كريمة ، ولكنه فجأة يترك هذا العمل ثم يذهب متجولا فى البلاد وليس له أين يسند رأسه ؟ ! أى حكمة فى ذلك ؟

٢ — لقد اتضح أن الصراع بينه وبين قادة الدين اليهودى لا مفر منه ، وجماعة كالكتبة والفريسيين ليس من السهل الوقوف فى وجوههم ، فهم جماعة تستطيع أن تؤذى الذين يخرجون عليهم ولن يستطيع إنسان أن يفلت من أيديهم ، ولهذا السبب ظن الناس أنه من الحكمة أن يهادنوهم ويطيعوهم ، فهم دائما فى مركز القوة .

٣ — لقد بدأ يسوع يكون مجموعة خاصة به ، وما أغربها من مجموعة فقد ضمت أفراداً متنافرين مختلفين فمنهم الصياد الجاهل ، والغيورى المتعصب ، والعشار الخائن ، إنها مجموعة لا يفكر أى إنسان عاقل — يحاول أن يقود حركة ما — فى التعرف عليها أو أن يصاحبها .

وبعمله هذا كسر يسوع القوانين الثلاثة التى يتبعها الإنسان فى تكوين حياته ومستقبله :

١ — فهو لم يهتم بالضمان الاجتماعى ، وهذا أهم ما يرجوه كل إنسان ويعمل لأجله فكل شخص يرغب عملا ومركزا مضمونا حيث لا تهدده ضائقات مادية أو مالية .

٢ — وهو لم يهتم بالأمان والناس دائما يفتشون عن العمل الآمن ، فالأمان عندهم أهم من المبادىء الأخلاقية ، بل من قيمة العمل نفسه ، ولذا فهم يحذرون المخاطر القاسية فى العمل .

٣ — ظهر أنه يخالف كثيراً من عادات وتقاليد المجتمع ، لم يهتم كثيراً بما يقوله الناس عنه ، وهذا ليس طبع الأكثرين . فهم — كما قال عنهم « . ج واز « إن صوت جارهم أعلى من صوت الله فى آذانهم » وعبارة « ماذا يقول الناس » هى أول ما ينطق به إنسان فى سبيل إنجاز عمل .

إن ما كان يخيف أصدقاء يسوع هو أنه اتخذ طريق المخاطرة الذى لم يجرؤ أحد من قبله أن يتخذه .

عندما كان يوحنا بنيان فى السجن صرح أنه كان خائفا وفى ذلك يقول

« إن سجننا قد ينتهى بشنق هو ما يفزعنى » إنه لم يكن يرغب أن يموت مشنوقاً . ولكن جاء اليوم الذى فيه خجل من نفسه ومن خوفه هذا فقال : «إننى أخجل أن أقابل الموت بوجه شاحب وركب مرتعشة من أجل هدف سام كهذا » وأخيرا وصل إلى النتيجة إلى أنه عندما يصعد إلى المشنقة فإنه سيدخل إلى سعادته الأبدية مع يسوع فلا يهمه سواء أعرف طعم السعادة هنا أم لم يعرفها . . « فإن لم يأتنى الله فأنى سأذهب إليه سواء مغمض العين أم مفتوحها إن عن طريق المشنقة أم عن غيرها » وهنا يصرخ « فيارب إن كنت ستأتى وتمسك بى فافعل من فضلك وإلا فإنى سألقى بنفسى لأجلك » .

وهذا بالضبط ما تصور المسيح أن يعمله « سأقاسى من أجل اسمك » هذا هو شعار حياته وهذا فقط وليس — الضمان والأمان — يجب أن يكون شعار المسيحى وينبوع حيويته وعمله .

حلف أم غزو ؟

وَأَمَّا الْكَتَبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ . وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ . فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ بِأَمْثَالٍ كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَانًا . وَإِنِ انْقَسَمَتْ مَمْلَكَةٌ عَلَى ذَاتِهَا لاَ تَقْدِرُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ أَنْ تَثْبُتَ . وَإِنِ انْقَسَمَ بَيْتٌ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَقْدِرُ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَنْ يَثْبُتَ . وَإِنْ قَامَ الشَّيْطَانُ عَلَى ذَاتِهِ وَانْقَسَمَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَثْبُتَ بَلْ يَكُونُ

لَهُ انْقِضَاءٌ . لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ إِنْ لَمْ يَرْبُطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ .

(مرقس ٣ : ٢٢ — ٢٧)

لم يشك قادة اليهود يوما فى مقدرة يسوع على إخراج الشياطين ، فقد كان كثيرون غيره يفعلون الرقى والتعاويذ ، تماما كما يفعل الكثيرون فى هذه الأيام فى الشرق . ولكنهم مع ذلك عزوا مقدرته هذه إلى حلف بينه وبين رئيس الشياطين أى كما يقول أحد المفسرين « عن طريق الشياطين الكبار استطاع أن يخرج الشياطين الصغار » ، فعمله هذا ـ كما اعتقد اليهود ـ لم يخرج عن كونه ممارسة السحر الأسود .

ولكن لم يكن من الصعب على يسوع أن يشجب هذه التهمة ، فقال لهم : إن كان حقاً إن الشيطان الأكبر هو الذى يطرد الشياطين الصغار فقد انقسمت مملكته . . وعليكم أن تتخيلوا ماذا يجرى عندما يحدث الإنقسام الداخلى فى أمة أو فى بيت ، فلو فعل الشيطان هذه الجهالة لكان قد هدم مملكته بيده . ولكن التفسير الحقيقى هو أنه لا يستطيع أى شخص أن يسلب شخصاً آخر مالم يخضعه أولا ويربطه وبعد ذلك يسلبه . فانهزام الشيطان إذن ليس دليلا على معاهدة بين يسوع وبين الشيطان ولكنه برهان قاطع على أن يسوع أقوى منه وبمجيئه بدأت مملكة الشيطان فى الانحدار ، وفى هذه القصة نرى أمرين :

١ — إن يسوع يقبل الحياة على أنها صراع بين قوة الشر وبين الله ، وكذلك فلم يضيع وقته فى مباحث نظرية لا طائل تحتها ، فلم يحاول مثلا أن يدرس أصل الشر وكيفية انتشاره ، ولكنه دخل فى الصراع مباشرة . وما أكثر

ما نسقط فى هذا الخطأ إذ نكثر من المجادلات العقيمة فى طبيعة المشكلات دون أن نعمل شيئاً لمعالجتها مثلنا فى ذلك مثل الرجل الذى يهب من نومه فيرى النهار تلتهم منزله وبدلا من أن يندفع بكل قوته وإمكانيته فى إخماد الحريق يجلس بكل هدوء ممسكا بكتاب يبحث عن أصل الحرائق وكيفية انتشارها وطرق اخمادها .. إن يسوع لم يكن من هذا الصنف من الناس ، لقد عرف أن جوهر المأساة فى الحياة هو الصراع المرير بين الخير والشر فدخل الى الميدان وأعطى الآخرين القوة ليتبعوه .

٢ — لقد اعتبر يسوع أن هزيمة الأمراض هى جزء من هزيمة الشيطان وعلى هذا الأساس اهتم بشفاء الأجساد نفس اهتمامه بشفاء النفوس . ولأجل ذلك فإن الطبيب والعالم اللذين يواجهان تحدى الأمراض يشاركان فى هزيمة الشيطان ، فعمل الطبيب مكمل لعمل البشر ، ولا يوجد هناك تعارض بين هدفيهما ، إنهما حليفان يقفان جنباً لجنب فى حرب ضروس ضد الشر .

الخطية التى لا تغتفر

الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِبَنِي الْبَشَرِ وَالتَّجَادِيفُ الَّتِي يُجَدِّفُونَهَا . وَلٰكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الأَبَدِ بَلْ هُوَ مُسْتَوْجِبٌ دَيْنُونَةً أَبَدِيَّةً . لِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ مَعَهُ رُوحاً نَجِساً .

(٣ : ٢٨ — ٣٠)

لـكى نفهم هذا النطق المهول فعلينا أن نعرف الظرف الذى فيه نطق يسوع بهذا الـكلام ؛ وقد حدث ذلك عندما اتهموه أنه ببعلز بول رئيس الشياطين يخرج الشياطين ، فبدلا من أن يروا فى عمله هذا محبة الله المتجسدة رأوا فيه قوة الشيطان .

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو أن يسوع عندما تـكلم عن الروح القدس لم يـكن يقصد المعنى المسيحى الذى نفهمه نحن الآن ، فمفهوم الروح القدس وعمله هذا لم يعلن إلا بعد تمجيد يسوع وحلوله يوم الخمسين ، لـكن يسوع وهو يكلم اليهود كان يقصد المعنى الذى يفهمه اليهود . . أى المعنى المعلن فى العهد القديم . وإذا تصفحنا أسفار العهد القديم يتضح لنا أن للروح القدس عملين :

(١) إعلان الحق الإلهى للناس .

(٢) إعطاء الناس البصيرة والمعرفة لـكى يتعرفوا على هذا الحق . وهـذه النظرة هى المفتاح لهذا النطق .

١ — إن الروح القدس عندما يدخل فى حياة الناس يمـكنهم من التعرف على الحق الإلهى ، ولـكنهم إذ يرفضون استخدام هذه الموهبة فانهم يفقدونها ، تماما كالرجل الذى يفقد إبصاره عندما يعيش فى الظلام أو الذى يعجز عن الحركة إذا نام على فراشه سنوات طويلة أو الذى يفقد لذة الدراسة إذا امتنع عن الدراسة طويلا .

هـكذا يحدث مع الإنسان الذى يرفض إرشاد الروح القدس فإنه يعجز عن معرفة حق الله . إذ رآه فالشر فى نظره يصبح خيراً والخير يصبح شراً .

٢ — ولكن لماذا لا تغفر مثل هذه القضية ؟ نسمع تعليقات أشهر المفسرين :
يقول هـ . ب سويت « إنها فقدان المقدرة على التمييز بين منبع الخير ومصدر الشر وبذلك تصبح كارثة أخلاقية لا يشفيها حتى التجسد نفسه » . ويقول ا.ح. رولنسون « إنها الشر المطلق » كأنما نرى فيها بؤرة الفساد وجوهره . أما بنجل فيقول إن كل خطية هي بشرية ماعدا هذه ، فهي خطية شيطانية . ولكن لماذا نصفها هكذا ؟ دعنا أولا نعرف تأثير يسوع على حياة الناس: إن الأثر الأول الذى يحدث في الإنسان الذى يقف وجهاً لوجه مع يسوع لأول مرة هو أن يرى ظلام حياته وعدم استحقاقه في مقابل جمال يسوع ونقاوة محبته ، وهذا ما جعل بطرس يصرخ قائلاً أخرج من سفينتي يارب لأنني رجل خاطيء » (لوقا ٥ : ٨) . ونفس هذا الاختبار يذكره توكتشي إيشي في قصة حياته إذ يقول « عندما قرأت قصة الإنجيل لأول مرة توقفت وأحسست بوخز شديد في قلبي كأنما غرست فيه مسماراً طويلا . . هل أسمي ذلك محبة المسيح ؟ هل أسميها حنانه على؟ لا أدرى ماذا أسميها ، ولكني أعرف شيئاً واحداً هو أن قلبي القاسي قد تغير » هذا الإحساس بالتفاهة وعدم الاستحقاق في مقابلة يسوع يولد في القلب ندماً وتوبة ، وهذه التوبة هي الخطوة الأولى في طريق مغفرة الخطايا . أما إذا رفض الإنسان أن يسمع دعوة الروح القدس وكرر هذا الرفض كلما تكررت هذه الدعوى فإنه ينحدر إلى حاله من التبلد الحسي حتى أنه لا يستطيع أن يرى شيئاً ما من جمال يسوع وحلاوته ، وبهذا يفقد إحساسه بتفاهته وخطيته ، ومن هنا يضل الطريق فلا يعرف طريق التوبة لأنه لا يشعر بخطيته ، ومتى رفض التوبة فقد حرم من غفران خطيته .

تقول إحدى الأساطير عن لوسيفر إن كاهناً لاحظ بين من حضروا القداس

إنسانًا أكثر مهابة وجلالا من أى شخص آخر ، ولم يعرفه الكاهن ولكن بعد انهاء الخدمة طلب منه هذا الشاب أن يقبل منه الاعتراف ، وبدأ يذكر خطاياه ، وكانت كثيرة ومرعبة حتى أن الكاهن نظر إليه فى خوف ورعب قائلا « لا بد أنك عشت طويلا لترتكب كل هذه الخطايا الفظيعة التى لا حصر لها » فأجابه الشاب « إن اسمى لوسيفر وقد سقطت من السماء قبل بدء العالم » وعندئذ قال الكاهن « مهما يكن فمحبة الله تستطيع أن تغفر لك كل هذه الخطايا ، فقط أن تندم عليها » ولكن الشاب رفض أن يظهر الندم وقام من مكانه وذهب ، إنه لم ولن يندم وبذلك يسير فى الطريق المحتوم طريق الهـــلاك .

لا يوجد إلا طريق واحد لغفران الخطايا وهو طريق التوبة ، ولكن إذ يرفض الإنسان إرشاد الله فإنه يفقد إحساسه ومعرفته بما هو صالح وما هو شرير، انه يفقد معرفته لحالته الشريرة الفاسدة وبذلك لا يستطيع أن يأتى تائبًا ونادمًا .. هذه هى الخطية ضد الروح القدس . فطالما يشعر الإنسان بجمال يسوع وصلاحه وطالما يحس بخطيته وذنبه حتى وإن بقى فيها وغرق فى الأوحال لكن هناك بابًا مفتوحًا له للرجاء ، أما إذا تبلد الإنسان فأضحى يسوع لاشىء بالنسبة له فإنه يتقسى ولا يستطيع حتى التجسد نفسه أن يحرك قلبه الحجرى القاسى .

القرابة وأساسها

فَجَاءتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفوا خَارِجًا وَأَرْسَلُوا إِلَيْـهِ يَدْعونَه . وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِسًا حَوْلَهُ فقَالُوا لَهُ هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ

خَارِجًا يَطْلُبُونَكَ . فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي . ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ
إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي . لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ
هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي .

(٣ : ٣١ — ٣٥)

هنا يضع يسوع الأساس الصحيح للقرابة ، فالقرابة لا تبنى فقط على أساس جسدى ، فقد يصبح الغريب الذى لا يمت لى بأية قرابة جسدية أكثر قربا لى من كل أقربائى حسب الجسد فما هى القرابة الصحيحة ؟

١ — إن الأساس الأول لها هو الخبرة المشتركة خصوصاً إذا نالها الشخصان فى ظروف واحدة . وكثيراً ما يقال إن الشخصين يصبحان صديقين عندما يبدأ أحدهما يقول للآخر « هل تتذكر » وعندئذ يذكر خبرة مشتركة لهما . عندما تقابل أحدهما مع امرأة زنجية قال لها « أظنك تتألمين عندما تعرفين أن فلانة قد ماتت » ولما لم تظهر عليها علامات التأثر قال لها « لقد رأيتكما تضحكان معا فى الأسبوع الماضى . . ولا بد أنكما كنتما صديقتين حميمتين » فأجابت « نعم لقد كنا صديقتين . . لقد تعودت أن أضحك معها ، ولكن لكى يكون الشخصان صديقين حقا ينبغى أن يبكيا معاً » هذه حقيقة أساسية ، فالخبرة الواحدة تربط الشخصين برباط متين ، والمسيحيون لهما الخبرة الواحدة وهى غفران الخطايا .

٢ — الأساس الثانى هو الاهتمام الواحد ، يقول ا . ح كيدجوين فى كتابه « الكتاب المقدس فى التبشير » : إن العقبة الكأداء التى يقابلها موزعو الكتاب المقدس ليس فى بيع الكتاب بل فى أن يدفعوا الناس على قراءته . ولقد دأب أحد الموزعين فى الصين قبل أن تصبح شيوعية أن يذهب من بيت إلى بيت

ومن متجر إلى آخر لـكى يحث الناس على دراسة الـكتاب . وكم كان يحزن عندما يلاحظ أن قراءه قد فقدوا الحماسة وكادوا يتوقفون عند ذلك . ولـكنه فعل بحـكمة عندما حاول بنجاح أن يجمعهم معاً فى مـكان واحد وقت دراسة الـكتاب ، وبهذه الطريقة كون الـكنيسة . وهـكذا يرتبط الأفراد فى مجموعة متماسكة . فالاهتمام الواحد يربط الأفراد معاً برباط الصداقة العميقة . وهل هناك رباط أمتن من ذلك الذى يربط المسيحيين معاً وهو اهتمامهم بتعميق معرفتهم بالمسيح .

٣ — الأساس الثالث هو الطاعة الواحدة. لقد كان التلاميذ أفراداً مختلفين فى تفـكيرهم وعقائدهم . فهناك العشار كمتى ، والوطنى المتعصب كسمعان القانوى ولا شك فى أنهم كانوا يوماً ما يبغضون بعضهم البعض،ولـكن هذه الـكراهية زالت وحلت محلها الصداقة الـكاملة عندما قبلوا معاً يسوع المسيح سيداً ورباً . ألا يحدث ذلك دائماً فى الجندية عندما تجند الدولة أناساً يأتون من أسر وأمـكنة متباينة مختلفة ، ولـكنهم سرعان ما يأتلفون معاً إذ يخضعون لقانون جيش واحد فعندما يخضع الناس لسيد واحد يصبحون أصدقاء . نعم ويحبون بعضهم البعض عندما يحبون يسوع .

٤ — والأساس الرابع هو الهدف الواحد ، وهذا الأساس أعظمها جميعا ، وهنا يـكمن درس عميق للـكنيسة . وعندما يتـكلم ا . م كيرجوين عن الاهتمام المتجدد لدراسة الـكتاب يتساءل « هل هذا علامة على إمـكانية معالجة الحركة المسكونية على أساس كتابى بدلاً من أساسها الـكهنوتى ؟ وطالمـــا كانت الـكنائس تتجادل فى كيفية سياسة خدامها ، وطريقة سياسة كنائسها ، وكيفية

إجراء طقوسها فلن تستطيع أن تتحد معاً . فالأساس الوحيد الذى عليه تستطيع الـكنائس المختلفة أن تبنى وحدتها هو أن تجعل من ربح النفوس للمسيح الهدف الأسمى لها . فإن كان الهدف الواحد يربط الناس معاً فلا يوجد هناك هدف أسمى وأعظم من الهدف المسيحى . فالمسيحيون الذين خبروا الامتيازات يدعون الآخرين ليشاركوهم امتيازات ملـكوت السماوات . وحينما تتحد الـكنائس فى هـذا الهدف الأسمى فـكل اختلاف بينها سوف ينتهى إلى الوفاق الـكامل .

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

التعليم بالأمثال

وَابْتَدَأَ أَيْضاً يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ وَالْجَمْعُ كُلُّهُ كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ عَلَى الأَرْضِ .

فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ .

(٤ : ١ر٢)

فى هذا الفصل نجد يسوع يبدأ مرحلة جديدة إذ أنه هجر المجمع وذهب إلى شاطىء البحيرة لـكى يعلم ، وبهذا أظهر يسوع أنه كان مستعداً أن يغير مـكان تعليمه وطريقته إن دعت الحاجة إلى ذلك ، فلم يعد المجمع مـكاناً لتعاليمه ولم يعد شعب المجمع هم سامعوه بل صارت البحـــيرة منبره وشعب الأرض هم سامعوه .

يذكر جون وسلى أنه كان — لفترة طويلة — مخلصا لـكنيسة انجلترا وتقاليدها ولـكنه يوما ما تلقى دعوة من صديقه جورج هويتفيلد ليعظ العمال فى الهواء الطلق ، وقد كان هويتفيلد يعظ الآلاف من عمال المناجم وكانت مئات النفوس تقبل المسيح يومياً ، ولـكن جون وسلى رأى فيها دعوة شاذة فهو

لم يتعود الوعظ خارج الكنيسة بمقاعدها المريحة ومنبرها الفخم . وفى هذا يقول « إننى لم أستطع أن أهضم مسألة الوعظ فى الخلاء بعيداً عن الكنيسة ونظامها ، إن خلاص النفوس بعيداً عن الكنيسة أمر غير معقول » . ولكنه ذهب ورأى النتيجة وآمن بها . ويقول « لم أعد أعارض الوعظ بعيداً عن الكنائس لأنى رأيت النتيجة بنفسى ، إنها حقيقة لا تنكر ، هكذا كان الحال مع المسيح فلابد أن كان بعض اليهود من المتزمتين الذين اغترهم تعليم يسوع للجموع بعيداً عن المجمع ، ولكنه كان حكيما فى عمله يعرف متى وكيف يدخل الطرق الجديدة فى عمله . لعل كنيسته تتخذه مثالا لها وتفتش عن طرق جديدة تقدم بها الإنجيل .

هذه المرحلة الجديدة التى بدأها يسوع كانت تحتاج إلى طريقة جديدة للتعليم ، فاختار الأمثال ليعلم بها الناس .

فما هو المثل ؟ المثل لفظيا هو شىء يوضع بجانب شىء آخر : أى أنه شىء يقارن بشىء ثان . فالمثل هو قصة أرضية توضع بجانب حقيقة سماوية لتوضحها ، حق أرضى يشرح الحق السماوى حتى يستطيع الناس أن يفهموه ويلمسوه . ولكن لماذا استخدم يسوع هذه الطريقة ؟ لماذا أكثر من استخدامها حتى أضحت من مميزات تعليمه وحتى أطلق عليه : سيد الأمثال ؟

١ — إن السبب الأول والأهم فى انتهاجه طريقة المثل فى التعليم هو جذب انتباه الجماهير ، وتوصيل الرسالة كاملة إليهم ؛ إن الجمهور الذى جاء ليسمع يسوع لم يكن جمهور المجمع الذى يضطر إلى البقاء لنهاية الكلام سواء فهم الكلام أم لم يفهمه ، لكنه كان جمهوراً آخر يستطيع أى واحد منهم أن يتركه فى أى

وقت بشاء .. إنه ليس مكان العبادة . فكان على يسوع أن يثير اهتمامهم بما يقول وإلا لبقى وحده . يقول فيليب سيدنى فى قصيدة « سر الشاعر » « بقصة جميلة قد جاء إليكم . . بقصة قد تجذب الطفل عن لعبه والشيخ عن المدفأة » . إن الطريقة المثلى لجذب انتباه الجماهير هى القصة وقد فعل يسوع ذلك .

٢ — إن طريقة التعليم بالأمثال كانت طريقة مألوفة لدى المعلمين والسامعين من اليهود ، والعهد القديم يحوى كثيرا من هذه الأمثال . أشهر المثل الذى ساقه ناثان النبى لداود عندما سرق بتشبع من زوجها عن النعجة التى سلبها الغنى من الفقير (٢ صم ١٢ : ١ — ٧) والربيون اليهود زاولوا هذه الطريقة حتى لقد قيل عن الربانى ميار meir إن ثلث تعاليمه كانت قوانين والثلث الثانى كان تفاسير أما الثلث الأخير فكان أمثالا . ولعل مثلين من أمثلة المعلمين اليهود تكشف الطريقة التى بها علموا بالأمثل : المثل الأول قاله المعلم يهوذا الأمير (١٩٠ ق . م) عندما سأله أنطونيو الامبراطور الرومانى كيف يمكن أن يكون هناك ثواب وعقاب فى الآخرة إذا كان الروح والجسد سينفصلان ويستطيع كل منهما أن يلقى اللوم على الآخر فى ارتكاب الخطايا ؟ فأجاب المعلم بهذا المثل « أحد الملوك كان يمتلك حديقة بها إحدى الثمار النادرة : وقد وضع لها رجلين لحراستها أحدهما أعمى والآخر أعرج . وفى أحد الأيام قال الأعرج للأعمى إننى ألمح ثمرة جميلة هناك احملنى لكى أقطفها ونأكلها معاً ، فحمله الأعمى وهكذا أخذا الثمرة وأكلاها معا . ويوما ما جاء الملك وطلب الثمرة فلم يجدها ولما سأل الأعرج عنها قال له « إننى أعرج لا أستطيع أن أصل إليها » وسأل الأعمى فأجاب « إننى أعمى ولا أستطيع حتى أن أراها » . فماذا يعمل الملك ؟

إنه يضع الأعرج فوق الأعمى ويدينهما معا . هكذا يفعل الله إنه يرجع الروح إلى الجسد ثم يعاقبهما معا على خطيتهما .

أما المثل الثانى فقد قال الرباى زيرا عندما رفع مرثاه على ابنه أبين الذى مات فى سن الثامنة والعشرون « ملك كان له كرم استأجر عددا من العمال ليعملوا فيه ، وكان أحدهم ذكيا نابها ، فماذا يعمل الملك ؟ استدعاه من بين العمال وسار معه فى الحديقة يتكلمان معا . وعندما جاء العمال مساء ليأخذوا أجرتهم أعطى هذا العامل الذكى أجراً كأى واحد منهم ، فتذمر الباقون قائلين : « كيف يأخذ مثلنا وهو لم يعمل غير ساعتين بينما تعبنا نحن اليوم كله ؟ » فأجابهم الملك قائلا « لماذا أنتم غاضبون ؟ إن هذا الشاب قد عمل فى مدى ساعتين قدر ما عملتم أنتم طيلة النهار فاستحق أجر اليوم كله » هكذا الرباى أبين بن زيرا : لقد استوعب فى مدى ٢٨ سنة ما لا يستطيع الناس أن يستوعبوه فى أقل من مائة عام ولهذا فقد تمم عمله ونقل إلى الفردوس قبل أترابه ولن يفقد آخرته فى النهاية .

ومن هذا نرى أن يسوع قد استخدم أسلوباً فى التعليم كان مألوفاً عند اليهود ويستطيعون أن يفهموه .

٣ — والسبب الثالث الذى لأجله استخدم يسوع طريقة التعليم بالأمثال هو أنه أراد أن يجعل الأفكار المعنوية محسوسة ملموسة حتى يستطيع أن يفهمها الناس . فمعظم الناس لا يفهمون إلا بالصورة . فمثلا نستطيع أن نتكلم عن الجمال ساعات طويلة ولكننا لا نفهم الجمال على حقيقته إلا عندما نرى شخصاً جميلاً ، ونستطيع أن نتكلم عن الصلاح ولا نفهمه إلا عندما نرى عملا صالحاً ؛

فكل كلمة يجب أن تتجسد ، وكل فكرة يجب أن تتحقق فى شخص ، وعندما تكلم العهد الجديد عن الإيمان لم يتكلم كلاماً مجرداً ولكنه وضع إبراهيم مثلاً للايمان ، تجسد الإيمان فى شخص . وهكذا فعل يسوع لأنه كان معلماً حكيما ، فلم يجابه العقول البسيطة بالأفكار المجردة بل وضعها فى صور . . فى أعمال .. جسدها فى شخصيات وهكذا فهمها :

٤ — وأخيراً هناك الميزة العظمى للمثل وهى أنه يجبر الإنسان أن يفكر لنفسه . فالمعلم لا يعطى المتعلم المعلومات جاهزة بل يدفعه لأن يستقرىء ويكشف الحق لنفسه ، ولعل أكثر الطرق التعليمية خطأً فى تعليم الطفل هى أن تفكر له وتعمل له عمله . . أنت لا تنفعه عندما تحل له مشكلة الحساب وتكتب له مقال الإنشاء .. إنك تنفعه إن ساعدته لكى يفكر لنفسه . وهذا ما قصد إليه يسوع ، فالحقيقه التى يكتشفها الإنسان لنفسه يكون لها ضعف تأثير الحقائق التى يتسلمها من الغير . فيسوع أراد أن يجعلهم يتعبون فى التفكير . . لم يرد أن تريح عقولهم بل أن يدعها تعمل وتشتغل ، لم يرد أن يأخذ عنهم مسئوليتهم بل أن يحملهم إياها ، ولهذا فقد علمهم بأمثال وشجعهم على أن يفكروا لأنفسهم . وعندما يفكر الإنسان فى المثل الذى يقدم له ويستخرج الحقيقة التى تكمن خلفه عندئذ يستطيع أن يقول بحق : إن هذه الحقيقة قد أضحت ملكه هو .

من الأرض إلى السماء

اسْمَعُوا . هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ . وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ

سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَاءَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ . وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى مَكَانٍ مُحْجِرٍ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ . فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ . وَلٰكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ . وَسَقَطَ آخَرَ فِي الشَّوْكِ . فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ فَلَمْ يُعْطِ ثَمَرًا . وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ . فَأَعْطَى ثَمَرًا يَصْعَدُ وَيَنْمُو . فَأَتَى وَاحِدٌ بِثَلاَثِينَ وَآخَرُ بِسِتِّينَ وَآخَرُ بِمِئَةٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَنْ لَهُ أُذْنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ .

(مرقس ٤ : ٣ — ٩)

وعندما نؤجل تفسير هذا المثل إلى أن نصل إلى تفسير مرقس له ، ولنأخذه الآن كعينة للأمثال التى نطق بها يسوع . كان المنظر شاطىء بحيرة . ويسوع جالس فى سفينة تبعد قليلا جداً عن الشاطىء . . وشاطىء البحيرة ينحدر ببطء شديد فيكون مدرجاً طبيعياً يقف عليه السامعون . . وينظر يسوع فجأة ويشير بيده إلى رجل يعمل فى حقله ويقول : « أنظروا هو ذا الزارع قد خرج ليزرع » هنا يكمن جوهر طريقة التعليم بالأمثال .

١ — بدأ يسوع من القريب ليصل إلى البعيد . . من الشىء الذى يحدث هنا على الأرض لكى يصل بالسامعين إلى ما يحدث فى السماء . . من الشىء الذى يراه الناس إلى الغير منظور . . من الشىء الذى يعرفه كل الناس إلى الشىء

الذى لم يعرفوه بعد ولم يختبروه . وهذه كانت طريقة يسوع العبقرية فى التعليم ، إنه لم يربك عقول السامعين بالأمور الغريبة الغامضة ، بل بدأ معهم بالأشياء التى يفهمها الأطفال البسطاء .

٢ — وبذلك برهن يسوع عن اعتقاده أن هناك ارتباط بين الأرض والسماء ، فلم يكن من رأيه أن الأرض ما هى إلا بقعة جرداء . . بل أعلن بتعليمه هذا أن الله يمكن أن يعلن نفسه فى كثير من حوادثنا اليومية ، وكما يعبر وليم تمبل « لقد علم يسوع الناس أن يروا الله فى حياتهم اليومية .. فى شروق الشمس . . فى نمو النبات وفى سقوط الأمطار . . ألم يكن هذا ما قاله الرسول بولس : « لأن أموره الغير منظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات » (روميه ١ : ٢٠) . فهذا العالم فى نظر يسوع ليس عالماً ضائعاً شريراً ولكنه التعبير الظاهرى عن عمل الله ومجده . فى كاتدرائية القديس بولس يرقد جثمان المهندس كرستوفر رين الذى بنى هذه الكاتدرائية ، وعلى قبره كتبت هذه العبارة اللاتينية إن أردت أن تنظر إلى جسده فانظر حولك» . وبالمثل تضمنت تعاليم يسوع هذا القول : « إن أردت أن ترى الله فانظر من حولك». فقد رأى أن علامات كثيرة تكمن فى الأشياء العامة تقود أى إنسان يستطيع أن يقرأها جيداً إلى الله .

٣ -- إن جوهر الأمثال إنها بنت وقتها .. تخرج من يسوع سهلة بسيطة، فلم يعمل يسوع شيئاً سوى أن ينظر من حوله ، ويرى الزارع يبذر ، فيتخذ من هذا العمل مادة يتصل بها إلى الشعب ، إنه لم يدخل إلى حجرة الدرس ، ولم يحاول أن يؤلف قصة ، إن سر عظمة الأمثال إن يسوع فكر فيها وكونها فى لحظة واحدة ، إن متطلبات الفرصة الحاضرة هى التى خلقتها . وفى هذا

يقول س . ح . كادو « إن المثل هو فن قد صيغ لقصد الخدمة والصراع فى نفس الوقت ، ولهذا السبب فصياغة الأمثال الأصيلة نادرة فهى تعتمد على شىء كبير من الفن الذى يتجلى وقت الأوقات العصيبة . ففى الأمثال الثلاثة المشهورة فى الكتاب نجد هذا الأمر : فالمثل الذى قاله يوثام (مص ٩ : ٨ — ١٥) عن الشجر هرب بعد أن نطق به . والثانى الذى قال ناثان لداود عن النعجة التى سلبها الغنى من الفقير (٢ صموئيل ٢ : ١ — ٧) كان يعرف أنه يقول لجبار قد يقتله . والمثل الثالث الذى نطق به يسوع عن الكرامين الأردياء نطق به وهو يذكر فيه موته .

وهكذا فأخص خصائص المثل أنه فن يقال فى وقت النضال ، وليس مقطوعة شعرية أو موسيقية تكون وقت الهدوء والطمأنينة . ففى قمته نجد عمقاً فى المشاعر وحساسية وشجاعة كاملة تدفع القائل إلى عدم الخوف والتهيب من المواقف الخطرة ، وعندما نعجب بأمثال يسوع لنذكر أنه قالها بدون تجهيز بل كانت بنت الساعة . . وهـذا يزيد من إعجابنا بمقدرته الفنية وشجاعته الفائقة .

٤ — هذا يجىء بنا إلى مناقشة الكيفية التى بها نفسر المثل . فالأمثال قيلت لتسمع لا لتقرأ ، ولم تقل لكى يبحثها الشخص فقرة فقرة ولا كلمة كلمة . إنها قيلت لا لكى تدرس بل لكى تحدث تأثيراً ورد فعل عاجل . وهذا يعنى أن المثل لا ينبغى أن يدرس « كالمجاز » فالمجاز به يدرس بالتفصيل ، والقصة تخفى معان يجب أن يبرزها القارىء وأشهر مثل على ذلك قصة سياحة المسيحى « فكل حادثة فيها وكل شخص له معنى رمزى . ولهذا فالقصة المجازية كتبت

لـكى تقرأ لا لـكى تسمع . فهى تحتاج إلى البحث والفحص . أما المثل فهو قصة قيلت مرة وسمعت مرة واحدة . ولهـذا فعندما نقرأ المثل ينبغى ألا نفـكر فى تفاصيل دقيقة وماذا تعنى بل أن نبحث عن الفـكرة المقصودة منه . إنه من الخطأ أن نقطع المثل إلى أجزاء لـكى نعرف ماذا يعنيه كل جزء .. إن أروع طريقة لمعرفة المثل ولفهمه هى أن تسأل نفسك « ما هى الفـكرة التى أبرقت من فم يسوع عندما نطق بهذا المثل ، والتى قصدها لـكى يكون لها التأثير الأسمى على عقل السامع » ؟ وبهذا نستطيع أن نعرف أمثال المسيح وتفسيرها .

سر الملـكوت

وَلَمَّا كَانَ وَحْـدَهُ سَأَلَهُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ عَنِ الْمَثَلِ . فَقَالَ لَهُمْ قَدْ أُعْطِيَ لَـكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَـكُوتِ اللهِ . وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَـكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ . لِـكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا لِئَـلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُـمْ خَطَايَاهُمْ .

(مرقس ٤ : ١٠ — ١٢)

يعتبر هذا الفصل من أعقد الفصول وأصعبها ، فنحن نواجه كلمة سر ملـكوت الله . وكلمة سر كلمة فنية يونانية ، فهى لا تعنى شيئا معقداً لا يفهم ، ولـكنها تعنى شيئا معلقا عن الشخص الذى لم يختبره ، ولـكنه واضح لمن اختبره .

ولقد كان من أهم مميزات العصر الذى كتب فيه العهد الجديد انتشار الديانات السرية ، وسبب انتشارها أنها كانت تعد الداخلين إليها بالإتصال بأحد الآلهة والعشرة معه ، وبذلك تزول كل مخاوفه والآية التى يقابلها فى الحياة والموت .

ولقد كانت معظم هذه الديانات تبنى على أسطورة إله يتألم ويموت ويقوم من الموت ، وكل طقوس هذه الديانات تدور حول قصة هذه الآلام . وكانت إحدى هذه الديانات وأشهرها هى تلك المتعلقة بأسطورة ايزيس المصرية . وهذه الأسطورة تتلخص فى أنه كان هناك ملك صالح حكيم اسمه أوزوريس ، له أخ شرير يكرهه اسمه سيت . ولقد دبر سيت الشرير لأخيه مؤمراة مع سبعين شخصاً آخرين لكى يقتلوه ، فدعاه يوما إلى وليمة وهناك أغراه أن يدخل فى صندوق يشابه الكفن يلائمه تماما ، ففعل أوزوريس ذلك بسلامة نية . ولكنه حالما دخل قفلوا عليه الغطاء بسرعة ثم حملوه وألقوه فى النيل . وبحثت عنه ايزيس زوجته المخلصة أياما طويلة ، وأخيراً وجدته وحملته إلى المنزل . ولكن يوما جاء سيت الشرير إلى البيت وهى غائبة وسرق الكفن مرة أخرى وقطع جسد أخيه أربع عشرة قطعة ونثرها فى طول مصر وعرضها . فخرجت إيزيس وخرجت مرة أخرى لتفتش على جثة زوجها ولما وجدت القطع المتناثرة ركبتها مرة أخرى بعضها على بعض ثم نفخت فيها الحياة ، ومن ذلك الوقت أضحى الملك الخالد للأحياء والأموات . هذه احدى الأساطير التى بنيت عليها الديانات القديمة . بقى أن نعرف كيف كانت تجرى الطقوس عموماً . كان الشخص الذى يريد أن يدخل الى هذه الديانة يقوم بتطهيرات وصيامات

وتصوّف طويل إلى أن يتفهم عمليا معنى القصة أو الأسطورة ، وعندئذ يحضر طقسا تمثل فيه الأسطورة تمثيلا عمليا من آلام وموت وقيامة الإله وانتصاره على الموت ، وكانت تصاحب هذه التمثيلية الموسيقى والبخور والأغانى الدينية وبذلك تضفى على الجو رهبة وروعة . وحالما تنتهى الطقوس يشعر العابد أنه قد أصبح واحداً مع الإله فى آلامه ونصرته؛ هذه الوحدة تنقله من الموت إلى الخلود ، وتصبح هذه الطقوس ، التى لا معنى لها لكل شخص خارجى ، شيئا له كل الأهمية للمتعبد . هذا هو المعنى الأساسى للكلمة اليونانية « موستريون » .

إذن ماذا يعنى العهد الجديد عندما يتكلم عن « سر » ملكوت السموات؟ قطعا إنه لا يعنى أن الملكوت بعيد عن الإنسان غامض مبهم لا يفهم ، ولكنه يعنى أنه شيء لا معنى له للشخص الذى لم يسلم قلبه وحياته ليسوع ، أما الشخص الذى اتخذ يسوع سيداً وربا لحياته فهو الذى يعرف حقيقة ملكوت الله .

لكن صعوبة هذا الجزء لا تكمن فى كلمة سر بل فى النطق الذى ذكره يسوع بعد ذلك فلو أخذناه على علاته لا ستنتجنا منه أن يسوع قصد من الأمثال أن يخفى قصده وغرضه عن الناس العاديين فلا يفهموه ولكننا نربأ بيسوع أن يفعل ذلك وهو الذى أراد أن الجميع يأتون إليه ، إنه لم يستخدم الأمثال ليخفى قصده عن الإنسان العادى بل لكى يساعده على أن يكتشف الحقيقة لنفسه فيفرح بها وتصبح ملكه . فكيف إذن صيغت هذه العبارة . إنها أصلا اقتباس من إشعياء ٦ : ٩ ، ولقد كان سببا فى مخاوف كثيرة واختلافات متعددة مدة قرنين من الزمان قبل مجيء المسيح ويحسن أن نترجمها حرفيا « الترجمه من عمل و . و ى اوسترلى » .

« إذهب اذهب وقل لهذا الشعب : استمروا فى سماعكم ولـكن لاتفهموا استمروا فى نظركم ولـكن لا تروا . غلظ قلب هذا الشعب وثقل آذانه واطمس عيونه لئلا ينظر بعيونه ويسمع بآذانه ويفهم بقلبه فيشفى مرة أخرى » .

هذا يعنى – بدون مواربة – أن الرب يأمر إشعياء أن ينتهج طريقا فى تعليمه يطمس به أذهان الناس فلا تفهم ، ولهذا السبب فقد اضطر مترجمو الترجمة السبعينية – وهى الترجمة اليونانية للعهد القديم – أن يغيروا النص فى ترجمتهم هكذا :

« اذهب وقل لهذا الشعب : ستسمعون سمعا ولـكن لا تفهمون ، وابصارا ستبصرون ولـكن لا تفهمون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وسمعهم قد ثقل وعيونهم اقفلت . لئلا يوما ما ينظرون بعيونهم ويسمعون بآذانهم ويفهمون بقلوبهم ويتغيرون وأنا أشفيهم » .

ووجه الاختلاف هنا أن السبعينية جعلت الناس هم الذين يغلظون قلوبهم — وليس الله كما تذكر النسخ العبرية — حتى لا يفهموا رسالة الرب لهم . وتفسير هذا الاختلاف هو العجز عن تصوير الصوت البشرى فى الورق ، وإشعياء كان ينطق هذه الرسالة فى سخرية ثم فى يأس ، ولـكن الإثنين كانا يخرجان من الحب الذى يـكنه لهذا الشعب وكأنه كان يقول : لقد أرسلنى الله لأعلن الحق لهذا الشعب ، ولـكنهم أغلقوا عقولهم ولم يريدوا أن يسمعوا فـكنت كمن يخاطب أحجاراً ميتة . كأنما الله قد أغلق عقولهم فلم يعودوا يفهمون .

وهكذا كان الأمر مع يسوع فإنه كان يريد أن يدخل الحقيقة فى عقول الناس ولكنه كان ينظر إليهم فيجد فيهم غباوة وبطء شديدين ، فالتفت إلى تلاميذه قائلا « هل تذكرون ما قاله إشعياء عندما حمل رسالته التى أخذها من الله إلى هذا الشعب ؟ وعندما وجد الشعب غبياً وبطيئاً فى فهمه ؟ هل تذكرون أنه قال عنه : إنه هكذا غبى كأنما الله قد طمس ذهنه حتى لا يفهم ؟ هكذا أشعر أنا فى هذه الأيام » . قال ذلك لا عن تشفى وحقد وكراهية ولكن بدافع المحبة المتألمة الحزينة التى حاولت أن تهب وأن تعطى ولكنها وجدت الصدود والرفض من الآخرين . فعندما نقرأ هذا الجزء دعنا نقرأه ونحن نذكر أن يسوع لم يكن غاضبا ولكنه كان حزينا متألما لأنه أحب إلى المنتهى . إننا بذلك لا نرى الله وهو يطمس أعين الناس وأذهانهم ، بل نرى أناسا قد سددوا أذهانهم بكيفية لم يجد فيها الله رجاء فى فتحها وإعطاءها احتياجها . لينقذنا الرب من حالة مروعة كهذه .

الحصاد مؤكد

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمَا تَعْلَمُونَ هٰذَا الْمَثَلَ . فَكَيْفَ تَعْرِفُونَ جَمِيعَ الأَمْثَالِ . الزَّارِعُ يَزْرَعُ الْكَلِمَةَ . وَهٰؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ . حَيْثُ تُزْرَعُ الْكَلِمَةُ وَحِينَمَا يَسْمَعُونَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ لِلْوَقْتِ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ الْمَزْرُوعَةَ فِي قُلُوبِهِمْ . وَهٰؤُلاَءِ كَذٰلِكَ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ . الَّذِينَ حِينَمَا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ

يَقْبَلُونَهَا لِلْوَقْتِ بِفَرَحٍ . وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ فِي ذَوَاتِهِم بَلْ هُمْ إِلَى حِينٍ . فَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَدَثَ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ فَلِلْوَقْتِ يَعْثُرُونَ . وَهٰؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا بَيْنَ الشَّوْكِ هٰؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ . وَهُمُومُ هٰذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى وَشَهَوَاتُ سَائِرِ الأَشْيَاءِ تَدْخُلُ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ . وَهٰؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ . الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ يَقْبَلُونَهَا وَيُثْمِرُونَ وَاحِدٌ ثَلاَثِينَ وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ مِائَةً .

(مرقس ٤ : ١٣ – ٢٠)

لابد أن السامعين فهموا هذا التفسير لأنه لم يكن غريبا عليهم إذ بناه الرب على الأعمال اليومية المألوفة . وقد أظهر السيد فى تفسيره أربعة أنواع من الأرض :

١ – النوع الأول هو الأرض الصلبة التى تمتد بجوار الطريق ، كانت الحقول فى فلسطين عبارة عن قطع ضيقة من الأرض ممتدة طوليا إلى مسافات بعيدة ، وكان يفصلها بعضها عن بعض طريق من الحشيش الأخضر أضحت صلبة لكثرة السير عليها . وكانت البذور تسقط عليها بإحدى طريقتين: إما أنها كانت تنفلت من يد المزارع وهو يلقى بالبذار على الأرض ، وإما أنها كانت تسقط من كيسه الذى كان يحمله الحمار ، فقد كان المزارع يضع كيس البذار

على حماره ، ويقطع هذا الكيس من أحد أطرافه ، ثم يقود الحمار جيئة وذهاباً تاركا البذار تسقط على الأرض ، ولا بد أن بعضها كان يسقط من فتحة الكيس على جانبي الطريق . وحالما تسقط البذار على جانبي الطريق — بطريقة أو بأخرى — فإن الطيور كانت تأتي وتلتقطها . هذه الأرض الصلبة المجاورة للطريق تشابه قلوب بعض الناس فهي لا تنفتح للمسيحية حتى تدخلها لأنهم لا يهتمون بذلك ، وعدم اهتمامهم بها راجع إلى عدم جديتهم في تفهمهم لها وكثيرون يجهلون عمق المسيحية ، لا لأنهم ضدها ، بل لأنهم لا يبالون بها ، كأن يعتقدون أنها غير صالحة لحياتهم ، فلا داعي للاهتمام بها ، وقد نوافقهم على ذلك لو كانت الحياة سهلة لينة كل الأيام ، ولكن كثيراً ما يأتي الوقت حين يكتشف الإنسان أنه يحتاج إلى قوة خارجا عن نفسه ، أعظم من قوته، ليواجه بها الحياة المتجهمة المملوءة بالأزمات . . وكثيراً ما يكون ذلك — وللأسف متأخراً .

٢ — الطريق الثاني هو الطريق الصخرى ، وتربة الجليل ، أو معظمها ، عبارة عن قشرة رقيقة من الأرض الصالحة للزراعة ، تكمن تحتها طبقات صخرية غير صالحة لنبات أو أية زراعة ، فعندما تبذر البذرة تنمو حالا ، ولكن عندما يصل جذرها إلى الأحجار يعجز عن أن يخترقها فلا يجد غذاء له فيجف وتضربه الشمس فيموت ، وهذه الظاهرة تكشف لنا على أنه قد نبدأ بداية حسنة ، كما يفعل النبات ، ولكن نعجز عن أن نكمل .

وقد قال أحد الرعاة « إن ربح نفس للمسيح يحتاج إلى ٥٪ من العمل أما حفظها في علاقة معه فيحتاج إلى ٩٥٪ » ، وما أكثر الذين دخلوا المسيحية ،

ولـكن الذين بقوا فيها أقل بكثير . ولهذا الفشل سببان : الأول هو فشل الإنسان فى حساب النفقة والثانى هو أنهم أعجبوا بالمسيحية إعجاباً ضحلا سطحياً ولـكنهم لم يفتحوا لها القلب . والمسيحية لاتعيش فى المساومات وأنصاف الحلول : فإما أن تمتلك كل الحياة وإما لا شىء ، ولا يستطيع الإنسان أن يشعر بالأمان الـكامل ألا إذا سلم نفسه تسليما كلياً للمسيح :

هل هناك أية قوة تحت الشمس .

تحاول أن تجتذب قلبي وتشاركك فيه ؟

اخرجها وتملك وحدك .

يا إله كل حركة فى قلبى .

٣ — أما النوع الثالث من الأرض فهى المملوءة بالشوك . وكان الشوك كثيراً يملأ التربة الفلسطينية وسبب ذلك أن الفلاح الفلسطينى كان كسولا يكتفى بقطع أعلى الأشواك أو يحرقها ويترك جذورها ، وبهذا يعطى الفرصة للجذور أن تنمو مرة أخرى متـكاثرة متوحشة . وهذا ما يحدث فى الحياة الروحية ، فقد تمتلىء الحياة بالإهتمامات العادية فلا تبقى مكاناً للمسيح فيها كما قال الشاعر « إن هموم هذه الحياة قد تصبح كالغبار العالق حتى أننا ننسى لا لأننا نريد ذلك بل لأننا نجبر عليه » : ولـكن كلما تعقدت الحياة كلما شعرنا بالحاجة إلى التأكد من أن حياتنا نحن تسير فى الطريق الصحيح ، فهناك عوامل كثيرة تحاول أن تحجز المسيح من أن يكون الأول فى حياتنا .

٤ — أما النوع الأخير من الأرض فهى ذات التربة العميقة الخالية من

الأحجار والأشواك ، وإذا أردنا أن ننتفع بالرسالة المسيحية فلننتبه إلى الدروس الثلاثة التي يحتويها هذا المثل :

(ا) يجب أن نستمع هذا الرسالة ؛ ولن نستطيع أن نسمعها مالم نصغ إليها . إن طابع حياة الكثيرين منا هو أنهم يتكلمون كثيراً فلا يسمعون غير صوت أنفسهم ، ويجادلون كثيراً فلا يقدرون أن يصغوا للغير ، ويتحمسون لأفكارهم فينسون أفكار المسيح ، ويتحركون كثيراً فلا يكون عندهم الوقت للهدوء والتأمل .

(ب) يجب أن نقبلها فعندما نسمع الرسالة المسيحية يجب أن نضعها في عقولنا . ولكن ما أغرب هذه العقول البشرية ، إنها تماماً كالأجسام ، تتكتل كل قواها ضد أي شيء غريب يدخل إليها وتطرده ، فالعين مثلا تغمض لا إرادياً إذا حاول أي جسم غريب أن يدخل فيها ، وهكذا العقل فإنه يقفل بابه حالما تطرقه بعض الأفكار التي لا يستسيغها ، وقد يكون الحق مؤلما فيتصلب العقل في عدم قبوله ، إذ يعتبره شيئاً غريبا عنه ، ولكن كم من المرات التي نحتاج فيها إلى هذه الجرعة المرة من الحق والنور لكي نعرف أنفسنا ونستفيد ، فإن أوصدنا مسالك عقولنا في وجه الحقائق فإننا سنقابل الكوارث ونحن لا ندري.

(حـ) يجب أن نحولها في حياتنا إلى **طاقة عملية** ، يذكر السيد أن المحصول وفير جداً ثلاثون وستون ومائة ، ولكن ليس هذا بالكثير على تربة الجليل البركانية الشهيرة . وهكذا الحق المسيحي يجب أن يوضع في عمل .. في حركة ، فالمسيحي لا يستطيع أن يبرهن على مسيحيته أمام التحديات الكثيرة بالنظريات بل بالأعمال .

ولكن هذا التفسير هو تفسير من جلس وقرأ المثل وتمعن فيه ، ولكن هذا لم يكن سهلا للذين سمعوه من فم يسوع ، لقد قاله لجموع كثيرة ، ولا يمكن لهذه الجموع أن تستنتج منه دفعة واحدة كل هذه المعانى ، لكن هناك معنى واحد فهمه السامعون وهو : **مع أن جزء من البذار قد ضاع لكن الحصاد فى النهاية سيكون وفيرا** . لقد قال يسوع هذا المثل للتلاميذ الخائفين ليزيل عنهم اليأس ، لقد رأوا سيدهم يطرد من المجمع ورسالته فى كثير من الأحيان لا تأتى بثمرها فيئسوا وخافوا ولكن يسوع فى هذا المثل قال لهم « صبراً .. أعملوا عملكم . أبذروا البذار . واتركوا الباقى لله .. إن الحصاد سيكون ضخماً وفيراً »

النور الذى ينبغى أن يرفع عاليا

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ تَحْتَ السَّرِيرِ . أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ .

(مرقس ٤ : ٢١)

الأعداد من ٢١ — ٢٥ من هذا الأصحاح أعداد فى غاية الأهمية لأنها تكشف النقاب عن المشاكل التى كانت تواجه كتّاب الأناجيل ؛ ففيها نجد أربعة أقوال للمسيح : فى عدد ٢١ مثل المصباح ، عدد ٢٢ عن إعلان ما يقال فى السر ، عدد ٢٤ عن المجازاة التى ينالها الإنسان عما فعل ، عدد ٢٥ يذكر أن من له سيعطى ويزداد . هذه الأقوال الأربعة التى نجدها فى مرقس جنباً إلى جنب نجدها مبعثرة هنا وهناك فى إنجيل متى ، فالمثل الأول يظهر فى (متى ٥ :١٥)، والثانى فى (متى ١٠ : ٢٦) والثالث فى (متى ٧ : ٢) والرابع فى (متى ١٣ : ١٢ ، ٢٥ : ٢٩) . ولهذا السبب يجب أن نكون عمليين ولا نحاول أن نبحث

عن خيط يربط هذه الأمثلة أو الأقوال الأربعة لأنه لا يوجد ما يربطها معاً ، إنها أقوال منفصلة ويجب أن ندرس كل واحد على حدة .

ولكن كيف يحدث هذا ؟ كيف يحدث أن مرقس يكتبها متتابعة بينما ينثرها متى فى انجيله هنا وهناك ؟ السبب بسيط : لقد كان يسوع بليغاً ذا أسلوب نفاذ ، فكانت كل كلمة يقولها تدخل إلى أعماق الذاكرة ولا يمكن أن تنسى وإلى جانب ذلك لا بد أنه كان يكرر كثيراً من تعاليمه . . لقد كان واعظاً متجولا ينتقل من مكان إلى مكان ومن جماعة إلى أخرى ، فلا بد - والحالة هذه - أنه كرر كثيرا من أقواله وأمثاله .. ولابد أن الناس سمعوها وحفظوها ونتيجة لذلك كان الناس يتذكرون أقوال يسوع الحية المؤثرة ولكنهم فى نفس الوقت نسوا الموقف الذى قيلت فيه ، ولهذا فقد جاءت أقوال كثيرة له لا يعرف بالضبط المناسبة التى قيلت فيها . فظهرت ما يسميه الناس بالأقوال « اليتيمة » ، ولهذا السبب ينبغى علينا أن ندرس كثيراً من أقوال المسيح القوية الأخاذة كلا على حدة .

وأحد هذه الأقوال الحية قوله هذا : لا يعقل أن إنسانا يضىء سراجا ويضعه تحت المكيال أو تحت السرير ، بل على المنارة حتى يراه الناس ويساعدهم على رؤية الأشياء . . لا بد أن يوضع فى مكان عام ليراه كل الناس . ولنا فى هذا القول درسان :

١ — أعطى الحق لكى يراه الناس : إنه لم يقصد به أن يخفى عن الأعين : نعم لا ينكر أنه كثيرا ما يكون إعلان الحق خطراً على قائله .. كثيراً ما يسبب الإضطهاد والألم لمن يعلنه ، ولكن مع ذلك ينبغى على المسيحى أن يقف بجانب

الحق ولو كان ضداً لكل الناس ، ومن أمثلة الرجال الأقوياء للحق لوثر ، فقد اكتشف لوثر أن صكوك الغفران ، التي بموجبها يستطيع أى إنسان أن يشترى غفرانا لخطاياه ، باطلة وضد الكتاب ، وعندما اكتشف ذلك لم يسكت بل كتب خمساً وتسعين بنداً ضدها ، وذهب إلى كاتدرائية كل القديسين فى وتنبرج والصق اعتراضاته هناك ؟ وقد كانت العادة أن تلصق على باب هذه الكنيسة الملحقة بالجامعة المناقشات العلمية المحضة . ولهذا فقد كانت أهم مكان لإعلان الرأى ؛ والأهم من ذلك فقد كان اليوم الذى أعلن فيه لوثر اعتراضاته هذه وألصقها على باب الكاتدرائية هو يوم تذكار بناء هذه الكنيسة فامتلأت بالناس الذين جاءوا من كل فج وصوب . وبهذا أعلن لوثر أنه رجل قوى . . . فلو تمسك بالحذر والدبلوماسية لما أخرج إعتراضاته إلى الوجود ، ولو كان يفتش عن الأمان والاطمئنان لما رضى أن يلصقها على باب الكاتدرائية ، ولو كانت نفسه تهمه لما لصقها فى ذلك اليوم للشهود المزدحم بالناس ، ولكن لوثر لم يكن يهتم بهذه كلها قدر ما كان يهتم بإعلان الحق الذى اكتشفه .. وهكذا قد يأتى وقت فيه نعرف تماما ماذا يجب أن نفعل وماذا يجب أن نتكلم ولكن مع ذلك نحجم عن العمل والكلام لأننا نخاف من النتيجة المرة والعواقب الوخيمة لكن لنذكر هذا أن سراج الحق يجب أن يرتفع لأنه أهم من كل الرغبات ، إنه أبقى من الحياة ومن النفس ذاتها .

٢ — القصد من مسيحيتنا أن يراها الناس : ولقد كان هذا الإعلان قاسيا على المسيحيين الأوائل . فقد كان يعنى الموت . وسبب ذلك أن الدولة الرومانية امتلكت العالم المعروف فى ذلك الوقت ولكى تترابط أجزاء هذه الإمبراطورية الواسعة بدأت عبادة الإمبراطور . وصار الإمبراطور رمزا للدولة وتجسيداً لها

ونصب الإمبراطور إلها يعبده كل الرعايا ، عبادة ليست روحية كما نفهمها ، ولكنها عبادة سياسية ، بمعنى أن الشخص بعدما يقدم ذبيحة للامبراطور الإله يعطى شهادة أنه مخلص للدولة ، وبعد ذلك يستطيع أن يعبد أى إله يشاء .وها كم إحدى الشهادات .

« إلى أولئك المسئولين عن الذبائح : أنا ريوس أكبوس من قرية ثيوكثانيس وأولاده إياس وهيرا القاطنين بقرية ثيادلفيا نعلمكم أننا نقدم ذبائحنا الآن وفى حضرتكم كما هو مطلوب منا ، قد ذبحنا وسكبنا سكائبنا وذقناها ولذلك نسألكم أن تعطونا شهادة بذلك والسلام » .

ثم تردف هذه الشهادة بالقول : « نحن سريتاس وهرمس نشهد أنكم قدمتم الذبائح » .

وكل ما كان يجب أن يفعله المسيحى هو أن يقوم بهذه الأعمال الرسمية ويأخذ شهادة بذلك ويعيش بأمان ، ولكن التاريخ يخبرنا أن الآفا منهم ماتوا لأنهم رفضوا أن يعملوا ذلك . كان يمكنهم أن يخفوا مسيحيتهم عن الناس ويعيشوا فى أمان مسيحيين فى الخفاء ولكنهم لم يفعلوا .. إنهم كانوا يعتقدون أن المسيحية حق يجب أن يشهدوا له ويعلنوه . إنهم عرفوا أين يقفون وقد وقفوا بكل شموخ وعزة ، وكم نحن مدينون لإيمانهم هذا .

الحق الذى لا يمكن أن يخفى

لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ صارَ مَكْتُوماً إلا لِيُعْلَنَ .

إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ أُذْنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ .

(مرقس ٤ : ٢٢ و ٢٣)

إن عقيدة يسوع الراسخة هى أن الحق لا يمكن إخفاؤه ، ومهما عملوا ففى النهاية سوف يعلن ، ويتحقق هذا الأمر لسببين :

١ — لطبيعة الحق نفسه . ففى الحق عنصر خالد لا يمكن أن يفنى ، قد يرفض الناس أن يواجهوا الحق ، وقد يعاندوه وقد يحاولون تشويهه ولكن « الحق عظيم ولا بد أن ينتصر فى النهاية » فى القرن السادس عشر اكتشف كوبرنيكوس أن الأرض — بخلاف ما كان يتمسك به الناس فى عصره — هى التى تدور حول الشمس ، ولكنه لم يستطع أن يعلن ذلك إلى أن حان وقت وفاته ، بعد ٣٠ سنة من اكتشافه الخطير هذا ، طلب من أحد الناشرين أن ينشر له اكتشافه هذا ففعل هذا وهو فى غاية الرعب ؛ ومات كوبرنيكوس وترك المعمعة لآخرين من بعده . وفى أوائل القرن السابع عشر آمن العالم جاليليو بنظريات كوبرنيكوس ، وأعلن رأيه ، فثارت الكنيسة عليه واستدعى إلى محكمة التفتيش فى روما ، فذهب وهناك أجبر على أن ينكر عقيدته ففعل ، طالبا السلامة . وكان مما قيل رداً على النظرية الجديدة « إن الفرض الأول وهو أن الشمس هى مركز الكون لا تدور فرض سخيف غبى ضد الكتاب المقدس .. ولاهوتيا يعتبر فكر هرطوقى ، والفرض الثانى القائل إن الأرض هى

التى تدور حول الشمس سخيف ومن الوجهة الفلسفية خاطىء ، ولا هوتيا يعتبر ضد الإيمان » وسكت جاليليو لمدة سنوات إلى أن جاء يوربان الثامن ، فاعتقد أنه بابا مستنير عن سابقه ، فتجرأ وأعلن رأيه مرة أخرى ، ولكنه كان مخطئا فى عقيدته ، فسرعان ما وقف أمام المحكمة وأجبر على أن يعلن إنكاره لرأيه وأن يختم هذا الإنكار بخاتمه ففعل ، وانقذ من الموت ولكنه لم ينقذ من السجن ، وجاء فى إنكاره هذا القول « أنا جاليليو فى سن السبعين مسجون وعلى ركبتى وأمام قداستكم وانظر بعينى إلى الكتاب المقدس وألمسه بيدى .. أنكر والعن الهرطقة القائلة إن الأرض تدور حول الشمس » . ومع ذلك لم تسامح الكنيسة جاليليو وانكروا عليه أن يدفن بعد موته فى مقابر الأسرة .

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية وحدها . حتى لوثر نفسه ثار ضد هذا الاكتشاف فقال « لقد صدق الناس ما قاله عالم فلكى غريب يقول إن الشمس ثابتة والأرض هى التى تدور حولها ، إن هذا الغبى يريد أن يقلب كل علم الفلك ، ولكن الكتاب المقدس يعلن أن يشوع أوقف الشمس ولم يوقف الأرض » ولكن الوقت يمر ويصبح هـــذا الاكتشاف عقيدة ثابتة يعرفها كل إنسان ويؤمن بها سواء أكان رجل دين أم علمانيا .

ومن هذا نعلم أن القوة قد تستطيع أن تحطم الناس وقد تضحك من العلماء وتسخفهم ولكنها لا تستطيع أن تخفى الحق : يقول اندراوس مليفيل « ليس فى مقدورك أن تقتل أو تسجن الحق » قد تضحك من الحق وتخفيه وتعطله ولكن الوقت سيعلن ثورة الحق أخيرا ويحطم معانديه ، فليتأكد كل إنسان أنه لا يحارب الحق

٢ — لطبيعة نفوسنا وحياتنا وسلوكنا . إن أول شيء يفعله الرجل الذى يخطىء هو أن يختفى ، وهذا ما فعله آدم وحواء [تك ٣ : ٨] . ولا يستطيع إنسان أن يخفى الحق ، وإذا فعل فانه يعيش تعيسا كل حياته ، وفى النهاية : من ذا الذى يستطيع أن يخفى سرائره عن الله ؟ لا بد أن يتحقق قول السيد « وما من خفى إلا ويستعلن » دعنا نحيا عالمين وفاهمين أن الله يكشف كل حياتنا لنعش فى نقاوة ولتكن سرائرنا نظيفة فاننا لن نحتفظ بالسر مهما أطلنا فى إخفائه.

ميزان الحياة

وَقَالَ لَهُمْ انْظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ . بِالْكَيْلِ الَّذِى بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ .

(مرقس ٤ — ٢٤)

هناك توازن ملحوظ فى مجرى الحياة .

١ — هذه حقيقة واضحة فى **الدراسة** : فكلما تعمق إنسان فى درس موضوع من المواضيع كلما عرف عنه واستفاد منه ، قيل عن البارثينيين القدماء إنهم لم يكونوا يسمحون لأولادهم بالطعام ما لم يتصبب جبينهم بالعرق من كثرة الشغل ، وعندئذ يتلذذون بالطعام ، هكذا الدراسة : فكلما تعب المرء فى الدراسة كلما أحس باللذة والسرور والاكتفاء ، وهذا ينطبق تماما على دراسة الكتاب المقدس فكلما تعمقنا فى دراسته كلما شبعت نفوسنا منه ؛ حتى تلك الأجزاء التى نظنها ، عند قراءتها قراءة سطحية ، أنها صعبة وغير مجدية .. حتى هذه الأجزاء: عندما ندرسها بعمق نجتنى منها أعذب وأشهى الثمار الروحية . إن الدراسة

السطحية ، لأى موضوع ، غير مجدية ومملة ، ولـكن الدراسة العميقة الواعية هى التى تترك العقول مملوءة ومنتشية .

٢ — وهى حقيقة معروفة فى العبادة : فالمؤمن الذى يأتى بيدين مملوئتين إلى بيت الله لا بد وأن يأخذ على قدر ما أعطى . وهناك ثلاثة أمور خاطئة قد نسقط فيها عندما نأتى إلى بيت الله للعبادة .

(ا) قد نأتى فقط لـكى نأخذ ؛ وإذا جئنا كذلك فإننا لا نجد ما يكفى نفوسنا الطامعة : لانجدها فى الموسيقى ، ولا فى الترنيم ، ولا فى العظة .. إننا نجىء إلى الـكنيسة كأننا جئنا إلى ملهى حيث توضع كل البرامج لتسليتنا . هذا خطأ .. يجب أن نأتى للـكنيسة لا لـكى نأخذ فقط بل لنعطى أيضاً ، فالعبادة هى عمل جماعى يشترك فيه كل العابدين كل قدر طاقته ومعرفته . فليكن شعارنا إذن «ماذا نعطى» وليس فقط ماذا نأخذ ؛ ومتى دخلنا الـكنيسة فى روح الخدمة والتعاون فإننا سنحصد من العبادة عمقاً وكفاية لأنفسنا

(ب) قد نأتى غير منتظرين .. نأتى فقط لأننا تعودنا على المجىء .. إنها ساعة من حياتنا نقضيها وكفى .. هذا أيضاً خطأ إننا نأتى إلى العبادة لنتقابل مع الله ، وعندما نقابله لنتأكد أننا سنأخذ الـكثير .

(حـ) قد نأتى غير مستعدين .. وكم من مرة ذهبنا إلى بيت الله بدون استعداد ذهنى أو قلبى .. نذهب كأننا ذاهبون إلى تجارتنا أو مكاتبنا .. هذا خطأ . إننا ننال الـكثير جداً لو جئنا مستعدين لو وقفنا لحيظات . قبل خروجنا إلى الـكنيسة . فى صلاة صامتة ، لو رفعنا قلوبنا إلى الله قبل أن ندخل إلى بيته .

قال المعلم اليهودى « إن من يصلى وحده قبلا ، فهو الذى يصلى أحسن الكل فى الصلاة الجماعية »

٣ — وهى حقيقة اختبارية فى **العلاقات الشخصية** « إن أكثر الحقائق وضوحاً هى أننا نقرأ حياتنا فى وجوه الآخرين : فإن كنا عصبيين لنا طبيعة غاضبة فإننا نلمح عدم الرضا على وجوه الناس . وإن كنا ناقدين متصيدين لأغلاط الغير ، فلا بد أن نرى الآخرين كذلك تجاهنا ، إن كنا نشك فى الناس ولا نثق فيهم ، فالناس بدورهم يشكون فينا . إن أردنا أن يحبنا الناس فلنحبهم .. إن أردنا أن نكسب صداقة الناس فلنظهر صداقتنا لهم ولأن يسوع وضع ثقة فى الإنسان ، وضع الإنسان ثقته فى يسوع وآمن به .

شريعة الزيادة

لِأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى . وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِى عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ .

(مرقس ٤ : ٢٥)

قد يبدوا هذا القول — لأول وهلة - صعباً ، ولكن الحياة هى أكبر برهان على صدقه وأصالته .

١ — فهو صادق من **ناحية المعرفة** فكلما تعمق المرء فى المعرفة كلما أضحت له الإمكانية فى زيادة معرفته ، فلن يستطيع أن يعرف الأدب اليونانى مالم يتقن قواعد اللغة اليونانية ، ولن يتذوق الموسيقى ويعرفها مالم يتعرف على تركيب السيمفونية وبنائها ، وبذلك يحس بالكثير من السعادة . أما إذا تخازل عن

زيادة معرفته ، فالمعلومات التى كانت عنده ستصدأ وتتحلل ثم تضيع ، فكم من مرة درس الصبى لغة أجنبية ، ولكنه حالما ترك المدرسة ترك دراسة هذه اللغة فنساها ولم يعد يذكر منها شيئاً . فكلما زادت معرفة الرجل كلما تمكن من الاستيعاب ، وكلما كان كسولا كلما عجز عن المعرفة وفقدها . والمثل اليهودى يقول « إن الطالب يجب أن يعامل كالعجل الصغير الذى يزاد له الثقل كل يوم . » ففى طريق المعرفة لانستطيع أن نتوقف وإلا لفقدنا الطريق نفسها .

٢ — وهى صادقة من **ناحية الجهد المبذول** ، فكلما كان الرجل قوياً كلما كان فى إمكانه أن يزداد قوة فى حدود طاقته الجسمانية ، وكلما درب جسده كلما إزداد قوة ولكنه إذا تخاذل وترك جسده بدون عمل أو جهد ، وعاش حياة ناعمة فقد قدرته ولياقته البدنية وهنا يجب أن نذكر أن أجسادنا — كأرواحنا — هى لله وحرام علينا أن نهمل أجسادنا لدرجة أن نصبح غير لائقين للعمل الذى يجب أن نقوم به .

٣ — وهى صادقة من **ناحية المهارات** : فكلما درب الإنسان يده أو عينه أو عقله كلما زادت مهارته فى عمله ، ولكنه إذ قنع بما حصل عليه ولم يحاول أن يعمل جديداً أو يتدرب على شىء جديد أو مهارة جديدة. إذا فعل ذلك فسوف يبقى حيث هو ، ولربما رجع إلى الوراء . إن المهارة التى لا نحسنها سوف نفقدها .

٤ — وهى صادقة من **ناحية حمل المسئولية** : وكلما أحس الإنسان بالمسئولية كلما كان أهلا لتحمل مسئولية أكبر ، وكلما عزم أن يعمل عملا كلما كان قادراً على العمل . ولكن إذا أهمل مسئولية وأخذ يتخلص مما وضع عليه فإنه يفقد

لياقته وقدرته كانسان مسئول ويعجزعن أن يتخذ قراراً فيالمواقف التى تواجهه . وما أكثر ما نبر يسوع على أن مجازاة العمل الطيب هى عمل أكثر ومسئولية أكبر . ومن أوضح قوانين الحياة هى كلما انتصر الإنسان زادت مقدرته على النصرة وكلما تكاسل كلما ضاعت عليه الفرص وكلما فقد ماعنده .

النمو الغير متطور والنهاية المؤكدة

وَقَالَ . هٰكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الْأَرْضِ وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَارًا وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ . لِأَنَّ الْأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ . أَوَّلاً نَبَاتًا ثُمَّ سُنْبُلاً ثُمَّ قَمْحًا مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ . وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لِأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ .

(مرقس ٤: ٢٦ — ٢٩)

لم يذكر هذا المثل إلا فى مرقس وحده . ومعنى ملكوت الله هنا « حكم الله » إنه يعنى ذلك اليوم الذى فيه يخضع جميع الناس لمشيئة الله وتصبح هذه المشيئة ظاهرة مسيطرة فى الأرض كما سيطرت فى السماء ، وهذا هو القصد الذى يقود الله الكون إليه . وفى هذا المثل القصير نجد لأنفسنا عدة دروس :

١ — إنه يكشف عن **عجز الانسان** ، فالفلاح لا يستطيع أن يجعل البذرة تنمو ، ولا يفهم كيف تنمو ، إن الحياة سر فى قلب البذرة نفسها ، لا تستمده من الفلاح لأنه لا يملكه .

والإنسان فى عجزه لا يستطيع أن يخلق شيئاً ، قد يكتشف القوانين ، وقد يغير ترتيب الأمور ، وقد يهيىء الفرصة للنمو ،ولكنه لا يستطيع أن يوجد شيئاً من العدم . وإذا طبقنا هذه القاعدة على ملكوت الله عرفنا أنه يعجز عن خلقه لأنه ملكوت الله إنه عمله . قد يعطل نمو هذا الملكوت وقد يوجد فيه الإضطراب ، وقد يساعد على إمتداده وعمله ، ولكن الذى ينمى ويخلق هو الله وحده .

٢ — إنه يكشف شيئاً عن **طبيعة الملكوت** : جدير بالذكر أن يسوع كثيراً ما كان يستخدم أمثلة النمو فى الطبيعة ليشرح مجىء ملكوت السموات.

(ا) النمو فى الطبيعة غير ملحوظ : فلا يمكن أن نلمسه إذا راقبناه مراقبة مستمرة ولكن إذا نظرنا إلى النبات فى فترات متباعدة فإننا نلاحظ الفرق ، وهكذا الأمر مع الملكوت . فلو قارنا نمو الملكوت فى يومين أو سنتين متتاليتين لا يمكن أن نلاحظ الفرق . أما إذا راقبناها فى قرنين متتاليين فإننا نلاحظ فرقاً كبيراً .

فى سنة ١٨١٧ زارت اليزابيث فراى سجن نيوجيت فرأت حوالى ثلاثمائة إمرأة وعدد لا يحصى من الأطفال فى عنبرين صغيرين يطبخون ويأكلون وينامون على الأرض ولم يكن يهتم بشئونهم غير رجل عجوز وإبنه ، وعندما رأوها إلتفوا حولها كالوحوش : عراة يستجدون منها بضع ملاليم ليشتروا منها الخمور ، ثم رأت ولداً فى التاسعة من عمره محكوم عليه بالإعدام لأنه سرق شيئاً لا يساوى أكثر من بضعة ملاليم .

وفى سنة ١٨٥٣ أضرب النساجون حتى يزيدوا أجرهم وكان سبعة بنسات ونصف فى اليوم ، وأضرب عمال المناجم فى ستافورد لأن أجرهم فى الأسبوع كان شلنين ونصف . هذه الأمور التى لا يتخيلها عقل كانت جارية وحقيقية ، ما أبعد الفرق بين الأمس واليوم . إن ملكوت الله أظهر نموه فى هذه المدة من السنين لكنه نمو غير منظور

(ب) النمو فى الطبيعة **مستمر** : إنه لا يتوقف ، ليلا ونهاراً تنمو الأحياء . إن عمل الله عمل مستمر هادف إلى الأمام دائماً بعكس عمل الإنسان المتذبذب الذى يخطو إلى الأمام خطوة ويرجع خطوتين . . ولكن فى سكون وهدوء تسير أعمال الله .

يجرى الله قصده عبر السنين والأجيال .

يجرى الله قصده والوقت يقترب من يوم الكمال .

يقترب الوقت . . الوقت المؤكد المجىء .

عندما تمتلىء الأرض من مجد الرب كما تغطى المياه البحر .

(ج) النمو فى الطبيعة **حتمى** : لا توجد قوة تضارع قوة النمو . . فجذر الشجرة يستطيع أن يحطم الصخر ولا يمكن أن تقاوم . . . وهكذا الأمر مع ملكوت الله ، فبالرغم من ثورة الإنسان وعصيانه يسير ملكوت الله إلى الأمام ومن ذا الذى يستطيع أن يعوق الله عن إجراء قصده ؟

٣ — إنه يكشف عن وقت **النهاية** : فلابد أن يأتى وقت الحصاد ، وعندما يأتى ذلك اليوم تجمع الثمار إلى المخزن أما الحشائش والتبن فتحرق ، وكلا

العمليتين وجهان لعملية واحدة وعندما نذكر ذلك اليوم نحس أن علينا واجبات ثلاثة .

(ا) يجب أن نتحلى **بالصبر** ، فالانسان فى طبيعته إبن الساعة : يعيش فى اللحظة التى يحيا فيها ، يفكر ويعمل بوحى الساعة ؛ أما الله الأزلى الذى يجمع الزمان والمكان كله تحت ناظريه يقول المرنم عنه « لأن ألف سنة فى عينيك كيوم أمس قد عبر وكساعة فى الليل» (مز ٩٠ : ٤) .

ولهذا : ينبغى أن نستبدل قلقنا وتسرعنا بالتأنى والصبر خاضعين لإرادة الله الذى يعرف كل شىء .

(حـ) يجب أن نحتفظ **بالرجاء** : إن من أهم سمات هـذا العصر اليأس والخوف : يأس من الكنيسة ويأس من العالم خوف فى الحاضر وخوف من المستقبل : وكما يقول هـ . ج ويلز . « لقد بدأت الإنسانية حياتها فى الغابات والعراء وسوف تنتهى محطمة فى أحياء فقيرة مهدمة . وفى الفترة فيما بين الحربين الماضيتين قال سير فيليب جيبس « لوخرجت إلى الشارع وعرفت أن الغازات السامة قد ملأت المدينة فلن أمد يدى وأمسك بالقناع لأخفى وجهى به ، بل سأتنفس بعمق لآخذ كمية ضخمة من الغاز السام لأنى حينئذ سأعلم أن لعبة البشرية قد انتهت » . هذه هى الروح التى تسيطر على العالم . . اليأس والتشاؤم ولكن هل تستطيع هـذه الروح أن تتغلب على من يؤمن بالله ؟ قد يحزن المؤمن ، ويتألم ، من جراء الخطية ولكنه لن ييأس .

أيها العامل مع الله لا يرهب قلبك

بل اعرف الله واعرف من هو

وفى وسط الظلمات الدامسة وسط المعركة

سوف تعرف أين تضرب ضربتك .

لأن الحق دائماً حق ما دام هناك الله

ولا بد أن ينتصر هذا الحق .

ولو شككت فإنك لست مخلصاً .

ولو ضعفت فأنت خاطىء

(حـ) **يجب أن نكون فى حالة الأستعداد** : عندما يأتى وقت النهاية يجب أن نكون مستعدين له .. يجب أن نستعد لمقابلة الله ، فلو أهملنا ولم نستعد سوف يأتى اليوم الذى نجد فيه أنفسنا وسط الأزمة .. ولكن إن تحلينا بالصبر الذى لا ينهزم وإن احتفظنا بالرجاء الذى لا يفشل ، وإن بقينا فى حالة الاستعداد الذى يرى الحياة فى نور الأبدية .. إن فعلنا ذلك فسوف نكون بنعمة الله ، جاهزين لوقت النهاية .

من الصغر إلى الاتساع

وَقَالَ بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ أَوْ بِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ . مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ متى زُرِعَتْ فِي الأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ . وَلَكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلَعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ

الْبُـقُولِ وَتَصْنَعُ أَغْصَانًا كَبِيرَةً حَتَّى تَسْتَطِيعُ طُيُورُ السَّماءِ أَنْ تَتَـآوَى تَحْتَ ظِـلِّهاَ .

(مرقس ٤ : ٣٠ — ٣٢)

فى هذا المثل يذكر السيد صورتين مألوفتين لـكل سكان فلسطين : الصورة الأولى أو التشبية الأول هو «حبة الخردل» وتستعمل هذه الحبة عادة فى ابراز ضآلة الحجم ، فإن قيل عن الإيمان إنه « مثل حبة الخردل » كان معناه : أصغر مقدار من الإيمان معروف ولـكن هذه الحبة الصغيرة تنمو فتكون شجرة أطول من قامة الإنسان ، تحبها الطيور وتأتى لـكى تتآوى فيها .

أما الصورة الثانية فهى تشبيه الممالك الـكبيرة بالشجرة ، وتشبه الأمم الخاضعة لها بالطيور التى تقف على أغصانها (حزقيال ١٧ : ٢٢ . الخ ، ٢١ : ١ — الخ ، دانيال ٤ : ١٠ و ٢١) . فالشجرة تعبر عن إمبراطورية ضخمة تسيطر على ممالك أخرى تجاورها .

١ — لا تيأس من البداية الصغيرة : قد نشعر عندما نبدأ عملا ما أنه صغير ، ولـكن ينبغى أن نعرف أن العمل متى تـكرر فإنه يكبر ويعطى النتائج الباهرة ، مثله فى ذلك مثل الصبغة : فعندما نحاول أن نلون الماء فى وعاء كبير فإننا نسقط نقطة نقطة فى الماء ويبدأ الماء فى التحول رويداً رويداً حتى يتحول أخيراً إلى اللون المطلوب .. قد لا يتأثر لون الماء من النقطة الأولى أو الثانية .. ولـكن إن والينا العمل فإننا نحصل على النتيجة المرغوبة . وهكذا نحن قد نبدأ عملا فنحس أن البداءة لا تستحق كل هذا التعب الذى نبذله ولـكن لنتذكر هذا أن كل شىء

لا بد له بداية . . . والبداية دائماً صغيرة .. إن واجبنا أن نبدأ ونعمل قدر استطاعتنا .. هذا الجهد سوف يثمر ثماره الحلوة بمرور الوقت واستمرار العمل .

٢ — هذا المثل يظهر امبراطورية الكنيسة .عرفنا سابقا أن الشجرة الضخمة والطيور تتآوى فيها تشير إلى إمبراطورية ضخمة ، وهكذا أعلن السيد مصير الكنيسة ، إنها بدأت بشخص واحد ولكنها سوف تصل إلى العالم كله . ويظهر صدق هذا القول فى ناحيتين .

(ا) لأنها تتسع لكل الأفكار ولكل أنواع المدارس اللاهوتية ، مرات كثيرة نتصرف كأشخاص تصرفات لا تليق اذ نعتبر أن كل الذين لا يتفقون معنا فى الفكر والعقيدة هم مخطئون دائماً ، ويااليت الروح الذى ملأ جون وسلى فجعله يقول« نحن نفكر وغيرنا كذلك يفكر ولا حق لى فى معارضة كل انسان يختلف عنى وجعله يحى كل انسان يقابله « هل قلبك كقلبي؟ إذا أعطنى يدك ولنتعاون معا » أقول ليت هذا الروح يملأنا نحن أيضاً ، فقد يكون مستحسنا أن نتأكد أننا على حق ولكن : أن نظن الآخرين مخطئين فهذا ما لا يقبله عقل .

(ب) لأن تتسع لكل الأمم . عندما بنيت احدى الكنائس أرادت اللجنة المشرفة على البناء أن تفتش على شعار يمكن أن يرسم على شباكها الضخم ، وأخيراً اهتدت إلى هذا القول .

حول عرش الله جيش .. من صغار طاهرين

وكلفوا أحد الفنانين العظام لينفذ هذا الشعار ، وبدأ يعمل ، وأحس بنشوة طاغية فى عمله .. وفى ليلة من الليالى كان قد قارب على الانتهاء من الصورة حلم

حلماً : حلم أنه سمع صوتاً فى مرسمه ، فجرى إلى مصدر الصوت فرأى شخصاً آخر ممسكا بالفرشاة والألوان محاولا أن يجرى إلى تعديلا فى الصورة : فصرخ فيه ألا يفعل وألا يضيع معالمها ، ولكن الغريب قال له « لقد ضيعت أنت معالمها» فقال الرجل « وكيف » قال لأنك لونت وجوه الناس حول العرش بلون واحد هو الأبيض ، مع أنك تمتلك الوانا كثيرة ، كأنك ظننت أن الرجل الأبيض وحده هو الذى يقف أمام الله والآن دعنى أغير الوان الناس ، لأن كثيرين سمعوا دعوتى » « دعوتك .. ومن أنت ؟ » أجاب الغريب أنا الذى قلت من زمن طويل « دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات ؛ ولا أزال أقولها إلى الآن » . وعرف الفنان أنه السيد نفسه وحالما فهم ذلك اختفى السيد عن ناظريه ، ونظر الفنان إلى الصورة ووجدها أجمل كثيراً من شكلها الأول ففيها الأبيض والأصفر والزنجى والقمحى .. وكل الألوان وفى الصباح استيقظ واندفع إلى معمله ولكنه وجد صورته كما كانت من قبل ، فأمسك بالوانه وفرشاته وبدأ يغير فى الوجوه ويجعل العرش السماوى محاطا بأجناس كثيرة ولم يهمه أن اللجنة كانت قادمة ذلك الصباح لتتسلم الصورة . وعندما جاءت اللجنة قال أحد أعضائها بكل لطف « نعم إنها عائلة الله فى بيته » نعم إن عائلة الله فى بيته ، إن الكنيسة كحبة الخردل تصبح شجرة تتآوى فى أغصانها كل الطيور ، لا توجد هناك حواجز تحجز الإنسان عن الله أو عن أخيه الإنسان .

المعلم الحكيم والمتعلم النابه

وَبِأَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ مِثْلِ هٰذِهِ كَانَ يُكَلِّمُهُمْ حَسْبَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا . وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ . وَأَمَّا عَلَى انْفِرَادٍ فَكَانَ يُفَسِّرُ لِتَلَامِيذِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

(مرقس ٤ : ٣٣ و ٣٤)

فى هذا الفصل يرتسم أمامنا المعلم الحكيم والمتعلم النابه . فالمعلم الحكيم هو الشخص الذى يعطى تعاليمه على قدر مدارك المتعلمين .. وهذا هو الدرس الأول فى التعليم الناجح . وهناك خطران يجب أن يتجنبهما المعلم الناجح :

(ا) يجب أن يتجنب عرض نفسه : فالمعلم الذى يحاول أن يجذب الانتباه لنفسه هو معلم فاشل ، حسنا أن يهتم بطريقة عرض الموضوع ولكن الأحسن والأفضل منه هو أن يهتم بالموضوع نفسه ؛ التعليم ليس وسيلة لاظهار لباقة المتعلم ومدى تعلمه ولكنه إفادة المتعلم ، ولهذا فليس من الذكاء فى شىء أن يتكلم المعلم شيئاً فوق مدارك المتعلمين ، إن الذى يضرب السهم فوق الهدف لايزيد شيئاً عن ذاك الذى يضربه تحت الهدف . كلاهما مخطىء . المعلم الماهر هو من يحب درسه أكثر مما يحب نفسه .

(ب) يجب أن يتجنب الشعور بالتعالى فالتعليم لايعنى أن تعطى الناس شيئاً بل أن تتعلم معهم ومنهم شيئاً ، وقديما قال أفلاطون إن التعليم هو إخراج ما فى ذاكرة الناس من معلومات يعرفونها من قبل وهم لايدرون . إن من يقف

على المنبر ويكلم الناس باستعلاء معلم فاشل .. التعليم هو تعاون بين المعلم والمتعلم لاكتشاف شيء جديد .

وهناك بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم :

(ا) يجب أن يتحلى **بالادراك العميق** : فإحدى ضعفات الخبراء هي عدم تقديرهم للصعوبة التي يجدها الرجل العلماني في تفهم مرادهم ، ولكن المعلم الحقيقي هو من يفكر بعقل المتعلمين ويرى الأشياء من خلال عيونهم ؛ هو من يقدر موقفهم ويضع نفسه في مركزهم ، وبهذا يستطيع أن يعطيهم ما يفيد .

(ب) يجب أن **يتحلى بالصبر** : قال هليل : المعلم اليهودي الكبير « الرجل العصبي لا يمكن أن يكون معلما ناجحاً » وأولى صفات المعلم هي أن يضبط نفسه ، ولقد كان من عادة المعلمين اليهود أن يعيدوا شرح الموضوع مرة ومرات حتى يفهمه التلاميذ ، كل ذلك بدون عصبية أو غضب .. وهذا بالضبط ما كان يسوع يفعله .

(حـ) يجب أن **يتحلى باللطف** : لقـــد كان قانون التعليم اليهودي يمنع العقاب وخاصة ما يحقر التلميذ ، وكان على المعلم دائما أن يشجع الطالب . وتقول حنه بوكان « لا تحقر الشباب » وما أسهل أن يظهر المعلم براعته في توبيخ التلميذ ومحاولة لذعه بالكلمات الشديدة ، ولكن هذا التوبيخ سوف يضر الاثنين معاً . والمعلم اللطيف لا يعمل ذلك أبداً .

على أن هذا الفصل لا يقتصر على إظهار فضائل المعلم الناجح فقط بل يظهر

كذلك صفات المتعلم الناجح ، إذ يظهر طبيعة هذه الدائرة الضيقة من التلاميذ التى تحيط بالمسيح .

(ا) فالمتعلم الناجح لا يتعلم لـكى ينسى : يجب أن يتفـكر فيما سمعه وتعلمه حتى يكتشف ما فيه من حق لنفسه يقول ابيكتيتس الفيلسوف الرواقى « إن التلميذ الغبى يحزن أما الذكى فهو الذى يستخدم ما يسمعه ويتعلمه، فالغنم لا تتقيأ ما تأكله لتظهر للراعى كم أكلت بل تهضم ما أكلته وتحوله إلى صوف ولبن. هكذا المتعلم يجب أن يفتـكر فيما تعلمه وأن يطبقه على حياته حتى يصبح جزءاً من نفسه .

(ب) والمتعلم النابه يجب ألا يترك معلمه : بعد أن انتهى يسوع من تعليمه تركته الجموع لـكن جماعة صغيرة التصقت به ولم تتركه حتى يشرح لهم المثل ، فنحن نحتاج إلى التعليم العظيم بقدر ما نحتاج إلى المعلم العظيم فرسالته الحقيقية ليست فيما يقوله بل فيما يكونه ، ولهذا فكل من يريد أن يتعلم من المسيح فليصحبه ، وإن فعل ذلك فسوف ينال ليس فقط علماً بل حياة .

السلام فى حضرته

وَقَالَ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ . فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ . وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضاً سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ . فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ . وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى

وَسَادَةٍ نَائِماً . فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ . فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَقَالَ لِلْبَحْرِ اسْكُتْ . ابْكَمْ . فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ . وَقَالَ لَهُمْ مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هٰكَذَا . كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ . فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَنْ هُوَ هٰذَا . فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ .

(مرقس ٤ : ٣٥ — ٤١)

تعتبر بحيرة الجليل من البحيرات المضطربة ، التى تهب عليها العواصف فجأة وبدون توقع ، وكما قال أحدهم « قد يحدث أن تهب عاصفة شديدة فجأة بينما لا تجد فى الجو علامة على أية عاصفة، فالفتحات المختلفة من الشمال الشرقى والشرق تجذب الرياح القادمة من أعالى حوران ومن قمم حرمون وتدفعها على هذه البحيرة الضيقة فتسير بقوة شديدة فترتفع الأمواج فى هذه البحيرة فجأة وتحدث العاصفة المروعة فجأة ، وأهالى تلك المنطقة يألفون هذه الظاهرة الغريبة .

وفى تلك الحادثة التى يذكرها هذا الفصل ، كان يسوع فى المؤخرة حيث كان يجلس كبار المسافرين عادة ، وإلى جواره رجل آخر يمسك بالدفة لكى يدير السفينة .

ومن المناسب أن نلاحظ أن الكلمات التى نطق بها يسوع ليسكت البحر هى نفس الكلمات التى أخرج بها الشياطين، ولقد كان الناس فى القديم يعتقدون

أن الأرواح النجسة تعمل بنفس القوة فى الطبيعة لخلق العواصف المخربة وغيرها من الظواهر التى تعمل على الإضرار بنفس الإنسان وحياته . (لاحظ مرقس ١ : ١٥) .

وفى تفسير هذه الحادثة قد نقلل من شأنها كثيراً لو أخذناها فقط من الناحية الطبيعية نعم أنها معجزة عظيمة وغريبة فعلها يسوع نقرأها وندهش لعظمتها ، لكننا إذ نفسرها أيضاً تفسيراً مجازياً ، بمعنى أن التلاميذ فى وسط العاصفة الشديدة لمسوا الهدوء وأحسوا بالسلام عندما عرفوا أن يسوع فى وسطهم ، كما أن كل مؤمن فى وسط عواصف الحياة عندما يتحقق من وجود يسوع تنتهى كل المخاوف وتزول كل الاضطرابات المزعجة .

١ — فهو يعطينا سلاماً فى وسط **عواصف الحزن** . فعندما نفقد عزيزاً علينا نجد يسوع بجوارنا يهدىء عواصف الحزن ، إنه يحول ظلمة الموت إلى نور الحياة يعلن لنا المجد السماوى ، ويكشف عن سر محبة الله العميقة . كان البستانى يحب زهرة جميلة جداً فى البستان الذى يعمل فيه ، ويوما ما عندما استيقظ من النوم وجد أن الزهرة قد اختفت فانزعج واضطرب وأخذ يشكو لكل من يقابله ، وأخيراً قابل صاحب البستان وأخبره عن حزنه على فقد الزهرة ، فأجابه السيد قائلا « لقد أخذتها لنفسى » وهكذا يفعل يسوع إذ يؤكد لنا أن الذين فارقونا قد ذهبوا إلى الآب وسوف نقابلهم .

٢ — يعطينا السلام فى وسط **المشاكل** : وخصوصاً عندما تلفنا بالشك والخوف . وفى أحيان كثيرة نقف فى مفترق الطرق لا ندرى أى سبيل نسلك ، ولكن عندما نرفع وجوهنا إلى أعلى قائلين « يارب أى طريق تريدنى أن

أسلك» عندئذ ينفتح الطريق الأمين . إن المشكلة ليست فى أننى مرات كثيرة أجهل ما أعمله ، بل فى أننى لا أحاول أن أحمل شكى وجهلى هذا إلى الله ، ولكن عندما نخضع لإرادة الله نتمتع بالسلام الكامل الحقيقى .

٣ — يعطينا سلاماً فى وسط **القلق** : إن أقسى عدو للسلام هو القلق . القلق لأجل أنفسنا والقلق لأجل من نحب ، ولكن يسوع يكشف لنا عن الله الأب الذى يحب أولاده ، ولا يسمح لهم بالبكاء بل يمد يده ويمسح دموعهم ، إن محبته لهم تفوق محبتنا لهم . فى هذا نجد سلام وراحة .

الْأَصْحَاحُ ٱلْخَامِسُ

طرد الشياطين

وَجَاءُوا إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ . وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرْبُطَهُ وَلاَ بِسَلاَسِلَ . لِأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيرًا بِقُيُودٍ وَسَلاَسِلَ فَقَطَّعَ السَّلاَسِلَ وَكَسَّرَ الْقُيُودَ . فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يُذَلِّلَهُ . وَكَانَ دَائِمًا لَيْلاً وَنَهَارًا فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ يَصِيحُ وَيُجَرِّحُ نَفْسَهُ بِالْحِجَارَةِ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ مَالِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ . أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي . لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ اخْرُجْ مِنَ الْإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ . وَسَأَلَهُ مَا اسْمُكَ . فَأَجَابَ قَائِلاً : اسْمِي لَجِئُونُ لِأَنَّنَا كَثِيرُونَ . وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا أَنْ لاَ يُرْسِلَهُمْ إِلَى خَارِجِ الْكُورَةِ . وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى . فَطَلَبَ إِلَيْهِ

كل الشيَاطِينِ قَائِلِينَ أَرْسِلْنَا إِلَى الخنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا . فَأَذِنَ لَهُمْ يَسُوع لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ . فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبَحْرِ . وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ فَاخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ .

(مرقس ٥ : ١ — ١٣)

هذه قصة حية وهى من ذلك النوع الذى يجعلنا نقرأ ما بين السطور ، فموضوعها غريب عن اختبارنا فى هذه القرون الحديثة ، بينما كان مألوفاً كثير الانتشار أيام يسوع .

وقد ربطنا هذه الحادثة بما سبقها — وهذا ما كان يقصده مرقس — فلابد أنها حدثت بعد غروب الشمس بوقت طويل، وهذا مما يزيد فى رعبها . عدد٣٥ من الأصحاح السابق يذكر أن يسوع ركب السفينة مع مرافقيه عندما أخذ النهار يميل وكان عرض البحيرة حوالى خمسة أميال فى المكان الذى عبر فيه يسوع (طول البحيرة ١٣ ميلا وأقصى اتساع لها ٨ أميال) . وفى طريقهم قابلتهم العاصفة إلى أن وصلوا إلى الجرف. وكان مملوء بالكهوف الضيقة التى استخدمها سكان تلك المنطقة فى دفن موتاهم ، وكان الناس يعتقدون أن هذا المكان هو أحد الأمكنة الصالحة لسكنى الشياطين . فمن عادة الشياطين أن تسكن فى الغابات والحدائق والكروم والأمكنة القذرة الموحشة ولهذا فقد سكن هناك، فى ذلك المكان الموحش ، هذا الرجل المملوء بالأرواح الشريرة. ولم يجرؤ أحد أن يسير فى ذلك المكان فى هذا الوقت لئلا يقابله شيطان فيؤذيه وخصوصاً إذا لم يكن معه نور أو سلاح .

أما عن هذا الرجل فقد كان يعرف أنه مملوء بالأرواح النجسة ، وفعندما كان يتكلم كان يستخدم تارة لفظة المفرد وأخرى صيغة الجمع ، وعندما سئل عن اسمه ذكر أن اسمه لجئون : وقد تعنى هذه اللفظة أحد أمرين:فقد تعنى عــــددا كثيراً من الشياطين إذ أن اللجئون كان اسم فرقة رومانية عدد رجالها حوالى ستة آلاف عسكرى . وقد كان اليهود يعتقدون أن الهواء مملوء بالشياطين وأن حوالى ألف منهم على يمين كل إنسان وعشرة آلاف على يساره . وكانوا يظنون أيضاً أن ملكة الأرواح لها حوالى ١٨٠٠٠٠ مائة وثمانون ألفاً من الأرواح الشريرة التى تقف فى طريق كل إنسان لتوقعه فى الخطر . هـذا من ناحية العدد . ولكن الرجل ربما كان يعنى شيئاً آخر وهو أن اللجئون هو رمز للغدر والقسوة وسفك الدماء ، وقد تكون تلك الكلمة مرتبطة بحادثة فظيعة حدثت أمام عينى هذا المسكين . فاللجئون بهذه الصفة رمز وعلامة على التخريب .

ولقد كانت هذه حالة خطرة فيها حاولت الأرواح أن تتمرد بعد أن أمرها أن تخرج من الرجل المسكين ، فسأله عن اسمه ، وهناك عقيدة أن من يعرف اسم الشيطان فقد امتلك ناصيته واستطاع أن يهزمه . وعندما خرجت الشياطين طلبت أن تذهب فى الخنازير التى كانت موجودة فى تلك المنطقة وعندما أذن لها اندفعت من على الجرف وغرقت .

إن صعوبة هذه القصة تكمن فى عدم خبرتنا نحن، فقد يظن الرجل الحديث أن هذا الرجل كان مملوءا بالأوهام والخيالات ، ولكن حتى ولو اعتقدنا ذلك جدلا فلنذكر أن هذا الرجل كان يعرف تماما أنه مملوء بالشياطين ، فلا نستهن بهذه الحالة المروعة التى اجتازها هذا الرجل .

ولكن على الجانب الآخر من الصورة نجد أولئك المتعصبين الذى استشاطوا غضباً عندما وجدوا أن شفاء الرجل قد كلف الناحية التى يقطنون فيها مجموعة كبيرة من الخنازير ، ولا شك فى أن هذا رأى أعمى إذ يفضلون مصير الخنازير على مصير هذه النفس الخالدة التى خلقها الله . ونحن وإن كنا نذبح الحيوانات والطيور لكى نعيش على لحومها ونقوى أجسادنا أفليس بالأحرى أن نسر أن إنساناً — خلق على صورة الله — قد شفى نفسياً وروحياً حتى ولو كلفنا ذلك مجموع من الخنازير ؟ نعم إن الله يحب كل المخلوقات التى صنعتها يمينه ولكن هناك تفاضل بينها ، ولابد أن الإنسان عنده يساوى الآلاف منها . فهو منه وله .

الذين طلبوا من يسوع أن يتركهم

وَأَمَّا رُعَاةُ الخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِى الْمَدِينَةِ وَفِى الضِّيَاعِ فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَاجَرَى . وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَنَظَرُوا الْمَجْنُونَ الَّذِى كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِساً وَلاَبِساً وَعَاقِلاً . فَخَافُوا فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ جَرَى لِلْمَجْنُونِ وَعَنِ الخَنَازِيرِ . فَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تُخُومِهِم .

(مرقس ٥ : ١٤ — ١٧)

عندما رأى رعاة الخنازير ماحدث هربوا إلى المدينة وأخبروا الناس بما حدث، فأسرع الناس إلى حيث كان يسوع ، ونظروا إلى الإنسان الذى كان مجنونا

فرأوه جالساً ولابساً وعاقلا وعندئذ حدثت المفاجأة : لقد طلبوا من يسوع أن يترك قريتهم فى الحال . أليس هذا موقفاً غريباً ؟ فبدلا من أن يفرحوا لأن إنساناً منهم قد رجع إلى حالته الطبيعية وحياته العادية يحزنون لأجل مجموعة من الخنازير تموت منهم ، بدلا من أن يطلبوا من يسوع أن يبقى معهم ليعمل معجزاته العجيبة ، يطلبون منه أن يترك تخومهم ، لماذا ؟ هل لأن رجلا شفى وخنازيرهم ماتت ؟ نعم إنهم عاشوا فى هذا الروتين ، ولقد جاء شخص قلب لهم روتينهم العادى فليلفظوا هذا الغريب . . ليخرج يسوع . هذه هى صيحة المعركة للعقل البشرى « لا تقلقنى » . لقد كان مطلب هذه الجماعة أن يتركهم يسوع لوحدهم .

١ — لقد قالوا : **لاتقلق راحتنا** « وهـذه هى الطبيعة البشرية ، فإن قال أحدهم لجماعة يعيشون فى بحبوحة من العيش : سأعطيكم عالماً فيه تعيش الكثرة من الناس فى راحة وطمأنينة ، بدلا من عالمكم الحزين هذا ، وفى سبيل ذلك ستهتز حياتكم أنتم وتتنازلون عن ملذاتكم وحياتكم المترفة .. فما رأيكم ؟ » إن الجواب الطبيعى لذلك « أتركنا نسير كما نحن .. أترك الأمور كما هى » هذا هو ما يحدث فى هذه الأيام التى فيها تسير القوى فى اتجاه إسعاد الغالبية من الناس على حساب أن تتنازل القلة المترفة عن شىء من ترفها وتنعمها . وهـذا هو السبب الرئيسى فى الشكوى العالية التى تطلقها هـذه القلة المترفة ، إنهم يتكلمون كثيراً عن فضلهم على الحياة وأعمالهم فى سبيل الخير ، ولكن الحقيقة هى أنهم يدينون للحياة بكل شىء . . وعندما يضحون بشىء من غناهم فهم لا يضحون بما للحياة عندهم .. ونحن لا نملك شيئاً كل مالنا من الله ...إنه أعطانا الخلاص .. أعطانا مجد السماء فى مقابل بعض التضحيات الأرضية . إن الطبيعة

للبشرية هى التى لا تريد الإزعاج فى سبيل راحة الغير ، ولكن الطبيعة الإلهية هى التى تضحى من راحتها لكى يستريح الآخرون .

٢ — يقولون « لا تمس ممتلكاتنا » لا يوجد من يسهل عليه التفريط فى ممتلكاته وكلما تقدم العمر بالإنسان كلما تمسك بما يمتلك . ويذكر بوروز أن المنجمين كانوا يكسبون معيشتهم بأن يخبروا صغار السن أنهم سيصادفون المسرات ولكبار السن أنهم سيصبحون أثرياء « لأنهم يعرفون الطبيعة البشرية ويعرفون أن آخر رغبة تموت فيها هى محبة المال . ومن يريد أن يعرف مقدار تمسك الشخص بمبادئه وديانته فليعرف : كم يضحى من أجل هذه المبادىء أو هذا الإيمان .

٣ — يقولون « لا تمس ديانتى » .

(١) يقول الناس أحياناً « لا تتكلم عن الأمور المقبضة ، دعنا فى فرحنا » . ولقد أشار أدموند جوس إلى نقص كبير فى مواعظ الواعظ الشهير جيرمى تايلور إذ قال « إن هذه المواعظ تعتبر من أعظم ما قيل فى اللغة الإنجليزية ، ولكنها مع ذلك تخلو من أصوات الحياة الحقيقية التى أحاطت بالواعظ ، « فلم نسمع منها صوت الفقراء وأنينهم ، ولم نر فيها صورة الألم والحزن ، لأولئك الذين رفعوا عيونهم إلى فوق صارخين مستنجدين ، أيضا لم نسمع صدى أصواتهم ، بل عاش الواعظ بعيداً عن هذه الخلائق المسكينة » . إن كثيرين من وعاظنا يعيشون على العقائد واللاهوت ، ولكنهم يتركون ما يحيط بالإنسان من مشكلات فى وعظهم ، لربما كان ذلك لأن كنائسهم طلبت

منهم ذلك ، ولـكن لنذكر أن كلام يسوع عن الله لم يثر عليه الأعداء ولـكن كلامه عن الإنسان وحاجاته هو الذى أثار المتزمتين فى أيامه .

(ب) ويقولون « **لاتدع العلاقات الشخصية تزعجنا فى ديانتنا** » يذكر جيمس بورنز قصة غريبة عن إنجيلا فوليجراس المتصوفة الإيطالية الشهيرة وعن مدى تحللها من الارتباطات العالمية فى سبيل صلتها بالله ، فيذكر عنها أنها قالت « يوماً ما شاءت إرادة الله الصالحة أن تموت أمى التى عاقتنى كثيراً عن اتباع الله ، ثم مات زوجى ، وفى وقت قصير مات كل أولادى ، ولقد كان هـذا استجـابة لصلاتى التى رفعتها إلى الله عندما بدأت أسير فى طريق . . طريق التخلص من كل العلاقات العالمية والارتباط بالله وحده ، ولم أهتم كثيراً بموتهم ومع ذلك شعرت ببعض الحزن » . معنى ذلك أن عائلتها كانت العقبة الوحيدة فى سبيل ديانتها ، ولـكم نجد الـكثيرين من هذا النوع الذى يفضل العمل فى اللجان العامة عن عمله فى منزله ، فاللجان لا تتعب كثيراً كما تفعل الخدمة فى البيت ، ورغم الخدمة التى يؤديها هؤلاء فى الـكنيسة ولجانها ، لـكن الله يرى أنهم اتجهوا اتجاهاً غير صحيح :

(حـ) « **لا تدع عقيدتى تهتز** » هناك بعض الناس يعتقدون أن أفضـل عقيـــدة لنا هى ما كان يتمسك بها آباؤنا ، وبذلك لا يريدون أن يعرفوا أى جديد لأنهم لا يريدون أن يتعبوا عقولهم فى البحث والتنقيب . إن صنفاً كهذا عنده جبن فـكرى وسبات عقلى وتخدير نفسى ، وهذه كلها أمراض فظيعة .

لقد طرد الجدريون هذا الإنسان المزعج لهم ، المقلق لراحتهم ، وكم من أناس بيننا يحاولون أن يفعلوا هذا .

شاهد للمسيح

وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُونًا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ . فَلَمْ يَدَعْهُ يَسُوعُ بَلْ قَالَ لَهُ اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ . فَمَضَى وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمُدُنِ كَمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ . فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ .

(مرقس ٥ : ١٨ — ٢٠)

إن أهم شيء فى هذا الفصل هو ذكر المكان الذى حدثت فيه هذه المعجزة : ويا كوبوليس أو المدن العشر . هذه المدن العشر لها أهمية خاصة وامتيازات ليست للمدن الأخرى ، كانت تقع على الجانب الشرقى من نهر الأردن ما عدا واحدة واسمها سيزوبوليس ، أما القسم الباقية وهى : بيلا ، ديون ، جيراسا ، فيلادلفيا ، جدارا ، رافانا ، كاناثا ، هيبوس ، دمشق ، فكانت جميعها تقع على الشاطىء الشرقى للأردن ، ولقد تأسست هذه المدن فى أثناء الفتوحات الواسعة التى قام بها الإسكندر الأكبر ، فكانت مدناً إغريقية ، كل ما فيها ينطق بالمدنية اليونانية . أما وضعها السياسى فكان وضعاً غريباً فمع وجودها فى سوريا لكنها كانت مستقلة لها مجالسها النيابى ، وعملتها الخاصة ، وإدارتها المستقلة ، كان لها الحرية فى التحالف التجارى والعسكرى مع غيرها. واستمر حالها هكذا حتى أخضعها المكابيون فصبغوها بالصبغة اليهودية ، ولكنها تحررت من اليهود على يد بومباى الإمبراطور الرومانى ، وصارت

تدفع الجزية للرومان وتقدم أبناءها للخدمة العسكرية . وعندما وجدت نفسها ضعيفة اتحدت معاً فى تحالف عسكرى لصـــد الغزو العربى أو اليهودى . أما ديانتها فـكانت ديانة اليونان بآلهتهـا الـكثيرة ومعابدها الـكبيرة ، ومسارحها الضخمة ، فى هذه المدن الأممية ذهب يسوع وعمل معجزاته . . فأعلن بذلك أن المسيحية ليست ديانة أمة واحدة أو جنس واحد ، بل للجميع . ليست لليهود فقط بل للأمم أيضاً ، نعم كانت هذه هى الشرارة الأولى التى أطلقها السيد فى المدن التى أنجبت : فيلوديموس الفيلسوف الرواقى الشهير الذى عاصر سيشرون وملبيجر سيد الأمثال اليونانية . وميندوس الساخر وتيودورس الشاعر الذى كان معلماً لطيباريوس الإمبراطور . . وكانت هذه الشرارة بدء عصر جديد .

ومن هذه العجالة نستطيع أن نعرف السبب الذى لأجله أرسل يسوع الرجل إلى بلاده :

١ — ليكون شاهداً للمسيحية ، إنه شهادة حية متحركة مقنعة مفحمة على ما يستطيع يسوع أن يفعله للانسان . إن مجدنا ليس فى ما نعمله ليسوع بل فى ما يعمله فينا يسوع ، إنه يخلقنا من جديد . هـــذا برهان المسيحية القاطع

٢ — إنه البذرة الأولى التى سوف تـكبر لتصبح حصاداً جباراً . لقد بدأت المسيحية صلتها الأولى بالحضارة اليونانية فى المدن العشر . نعم لقد بدأ هذا اللقاء الذى ألهب العبقرية اليونانية بواسطة رجل كانت به أرواح نجسة

وشفاه يسوع .. لا بد أن يبدأ يسوع بإنسان .. فلماذا لا يبدأ بى وبك كل فى دائرته ومجتمعه ؟؟

فى ساعة الحاجة

وَلَمَّا اجْتَازَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضًا إِلَى الْعَبْرِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ . وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ . وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَايِرُسُ جَاءَ . وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا قَائِلاً ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ . لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا . فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحَمُونَهُ .

(مرقس : ٥ : ٢١ — ٢٤)

تكمن فى هذه القصة كل عناصر المأساة فالمأساة تكمن فى مرض الأطفال كما حدث لابنة يايرس رئيس المجمع . كانت هذه الفتاة فى سن الثانية عشرة أى على أعتاب النضج كأى امرأة ، حسب العوائد اليهودية . أما يايرس نفسه فقد كان رجلا له أهميته الخاصة فى المجتمع اليهودى لأنه كان رئيس المجمع : وهذه الوظيفة تخوله الإشراف الكلى على كل ما يجرى فى المجمع . كان يشرف على الخدمة الدينية ، وإن كان لا يشترك فيها ، كان يشرف على الإدارة ويرتب كل عمل إدارى بكل نظام وتدقيق .. كان رجلا له المركز الكبير .. وكان فى مجيئه إلى يسوع علامات كثيرة لا تفوتنا .

١ — من المقطوع به أن يايرس — كرئيس للمجمع — كان ينظر إلى يسوع كشخص خارج على ديانته ، مطرود من المجمع ، ولا يجوز ليهودى مخلص أن يتعامل معه ، كان هذا هو رأى يايروس ، ولكن الرجل كان عظيما لدرجة أنه **نسى كل تعصبه** عند ساعة الحاجة ، فجاء إلى يسوع طالباً منه المعونة . وفى نهاية المطاف ما هو التعصب ؟ أليس هو الحكم على الأشياء قبل فحصها ؟ لذلك فهو شر كبير وعقبة كأداء فى سبيل كل تقدم ، فلم يكن هناك نوع من التقدم فى ميدان من الميادين البشرية إلا وكان التعصب عدواً قاسياً له ، وعندما اكتشف سير جيمس سمسون الكلورفورم كمخدر خاصة فى حالات الولادة كان التعصب والتحيز واقفا له بالمرصاد وقيل عن الكلورفورم « إنه البركة التى اخترعها الشيطان ليريح النساء ، ولكن لكى يحول وجوههن عن الله فلا يصرخن طلباً للمعونة فى وقت الشدة » إن التعصب لعنة بغيضة تحرم صاحبها من كثير من البركات .

٢ — نسى **مركزه الكبير** : هل يأتى شخص مثله ، رئيس مجمع اليهود ، ليرتمى عند قدمى معلم متجول طالباً منه المعونه ؟ نعم لقد جاء ، ففى ساعات الحاجة ينسى الإنسان مركزه ومجده ليخلص حياته أو نفسه من الضائقات . ألم يفعل ذلك نعمان السريانى عندما جاء إلى أليشع طالباً منه الشفاء ؟ كان ينتظر من أليشع أن يستقبله ، ولكن ذلك لم يفعل ؛ وماذا وصف له للعلاج ؟ أن يغطس فى مياه الأردن العكرة ؟ أليس فى سوريا مياه أنقى من هذا النهر ؟ ولكن نعمان نسى عظمته فتركه البرص . هناك قصة مشهورة عن ديوجنيس الفيلسوف الساخر : فقد قيل إنه وقع أسيراً فى الحرب وبيع كعبد ، وبينما هو فى سوق النخاسة يعرض للبيع كان ينظر إلى السادة الذين جاءوا ليشتروا

العبيد ، فرأى رجلا واقفاً فقال لمن يمسك به « بعنى لهذا الرجل ، أنه يحتاج إلى معلم » واشتراه الرجل ثم سلمه إدارة منزله وتعليم أولاده . وكان الرجل يكرر القول « لقد كان يوماً حسناً عندما دخل ديوجينس بيتى لقد استفاد الرجل لأنه تنازل عن عظمته . ولكم تمسك إنسان بمركزه ولم يرد أن يتنازل عنه فحرم من بركات عظيمة .

٣ — نسى **كبريائه** : لقد بذل هذا الرئيس جهداً كبيراً ليدرب نفسه على أن يطلب المعونة من يسوع ويصبح مديوناً له . فكل إنسان يتمنى ألا يكون مديناً لأحد بشىء من أن يبقى دائماً سيد مصـــيره . ولكن الخطوة الأولى فى المسيحية هى أن نشعر بديننا الكبير لله .

٤ -- لقد نسى **اصدقائه** : قد نتخيل أن أصدقاءه قد عرفوا أنه سيذهب ليطلب المساعدة من ذلك الناصرى ، ونستطيع أن نتخيل أنهم عارضوه وحاولوا أن يثنوه عن عزمه . ونبى رأينا هذا على أمر غريب فعله وهو مجيئه بنفسه إلى يسوع وعدم إرسال رسول خاص يستدعيه فى وقت تحتاج ابنته إلى وجوده . أليس من المعقول أن أصدقاءه رفضوا أن يذهبوا إلى يسوع ؟ وعندما أحسوا أن الوقت يفوت بسرعة ألم يسرعوا إليه ويطلبوا منه ألا يتعب المعلم ؟ ولكنه كسر كل مشورة الأصدقاء ، بل ورأى كل الناس. ولعل أحكم الناس من ظن الآخرون أنه يتصرف بحماقة .

هنا إنسان نسى كل شىء ما عدا شيئاً واحداً هو أن يطلب المساعدة من يسوع ، ولأنه نسى ذلك فإنه سيذكر إلى الأبد أن يسوع هو المخلص .

الرجاء الأخير للمعذب

وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . وَقَدْ تَأَلَّمَتْ كَثِيرًا مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ تَنْتَفِعْ شَيْئًا بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ . لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءٍ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ . لِأَنَّهَا قَالَتْ إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ . فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ .

(مرقس ٥ : ٢٥ — ٢٩)

هذه قصة إمرأة كانت تعانى من مرض كان منتشراً بكثرة فى تلك الأيام وكان يسبب كثيراً من الألم والتعب : مرض النزيف . ولقد اهتم التلمود بهذا المرض وعلاجه فوضع له مالا يقل عن ١١ علاجا مثل الأدوية المقوية أو القابضة ، ولكن كانت هناك أنواعاً أخرى من العلاج تبنى على الخرافات : كحمل رماد بيضة نعامة فى خرقة من التيل صيفاً ، ومن القطن شتاءا ، أو حمل سنبلة من القمح تؤخذ من مزود أتان بيضاء . ولا بد أن هذه المرأة قد جربت كل هذه الأنواع سواء أكانت طبية أم خرافية ولكنها لم تستفيد شيئاً بل صارت إلى حال أردأ صحياً وطقسيا (لاويين ١٥ : ٢٥ — ٢٧) ولعل مرقس يتهكم على الأطباء عندما يذكر أنها انفقت كل ما عندها ولم تستفد شيئاً بل صارت إلى حال أردأ ، ولا عجب فقد كان الأطباء دائماً محل انتقاد وتهكم : فيذكر

أحدهم أنه ذهب إلى أطباء العيون وكانوا يدهنون عينيه بمراهم ، ولكن كلما أكثروا من علاجهم كلما ضاع نظر عينيه (طوبيت ٢ : ١٠) وفى المشنا ، وهى مجموعة التقاليد — نجد نصيحة إلى الوالدين عن نوع الحرف التى يستحسن أن يعلموها للأبناء تسير هكذا «قال الرباى يهوذا : إن أردأ الحرفيين هم سائقو الحمير ، وأكثرهم هدوءاً هم سائقو الجمال . وأكثرهم صلاحا هم اللاحون . ولكن أفضل الاحياء سيذهب الى الجحيم . وافضل الجزارين هم أبناء عماليق » .
ولكن إلى جانب ذلك يوجد هناك من يعطى الأطباء حقوقهم مثل كتاب يشوع بن سيراخ — وهو كتاب من كتب الابوكريفا — عندما يقول :

علم الطبيب التعليم اللائق بمهنته ، لأن الله أمامه لهذه الخدمة .
فمن الله يأخذ الحكمة ومن الملك يأخذ المكافأة
إن مهارة الطبيب ترفع رأسه وتوقفه فى حضرة العظماء
لقد خلق الله الدواء من الأرض فلا تدع إنساناً محتاجا يرفضه

بواسطة هذه الأدوية يخفف الطبيب الألم : كما يجهز صانع الأدوية الدهن حتى لا يتوقف عمل الأطباء ولا تنعدم الصحة من الأرض .

فلنعط مكاناً للطبيب ولا نبعده بعيداً لأننا فى حاجة إليه لأنه كثيراً ما تنجح مشورته وأعماله .

وهو أيضاً يصلى ويطلب من الله أن يجعل تشخيصه للمرض صحيحاً ودواءه الدواء المناسب للمرض .

ولكن الأطباء لم يستطيعوا أن يمنحوا هذه المسكينة الشفاء فذهبت إلى يسوع . ولكن فى تفكيرها قابلتها مشكلة عويصة : أنها لا تستطيع أن تواجه

يسوع فى وسط الجموع المزدحمة وتطلب منه أن يشفيها فماذا تعمل ؟ لقد فكرت واهتدت إلى التفكير لتذهب وتلمس هدب ثوبه . ولقد كان كل يهودى تقى يلبس الرداء ويعمل به أربعة أهداب فى كل نهاية من ثوبه هدب طويل وذلك إطاعة للوصية الموجودة فى عدد ١٥ : ٣٨ - ٤٠ وذلك لكى يعلن أنه عضو فى شعب الله المختار . وذهبت هذه المرأة ولمست هدب يسوع وأحست بالشفاء التام يسرى فى جسدها .

هذه قصة امرأة يأست من كل شىء وأخيراً جاءت إلى يسوع ، ولكم جاء الكثيرون مثلها إلى يسوع عندما فشلوا فى كل محاولة فعلوها . قد يفشل إنسان فى مقاومته للتجربة بعد الجهاد العنيف ، ولكن فى يأسه يصرخ « يارب.. نجنى إننى أهلك » قد يعمل ويعمل إلى أن يحطمه العمل ، ولكن عندما يجد أن قوته قد فنيت يصرخ طلباً لقوة الله ؛ قد يحاول أن يصل إلى الكمال ولكنه يجد نفسه وقد انحدر فى الهاوية أكثر من قبل فيصرخ إلى يسوع .

انه من الأفضل ألا نبقى بعيداً عن يسوع إلى أن ترغمنا الظروف على الإرتماء عند قدميه ، ولكن لو حدث ذلك لا تيأس فإنه سيقبلنا ، إنه لن يرسلنا فارغين .

ثمن الشفاء

فَلِلْوَقْتِ الْتَفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِرًا فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَالَ مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي . فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي . وَكَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي

فَعَلَتْ هٰـــذَا . وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ عَالِمَةً بِمَا حَصَـلَ لَهَا فَخَرّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ . فَقَـــالَ لَهَـا يَا ابْنَةَ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ . اذْهَبِي بِسَلَامٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ .

(مرقس ٥ : ٣٠ — ٣٤)

فى هذا الفصل تتمثل ثلاث شخصيات .

١ — نعرف شيئاً عن يسوع : فهو قد بذل الـكثير من نفسه عندما شفى هذه المرأة ، وهذا هو قانون الحياة ، فلن يستطيع المرء أن ينجح فى عمل ما لم يضع جزءاً من نفسه فيه . فالموسيقا لن يستطيع أن يخرج الموسيقى العالمية ما لم يضع نفسه فيها، والممثل لن يستطيع أن ينجح فى عمله ما لم يسكب فيه نفسه ، ولن يستطيع أن يصل إلى القمة إن كان يسير ميكانيكياً على القواعد الموضوعة له ، ينبغى أن تـكون دموعه دموعا حقيقية ، وشعوره لا بد أن يـكون نابعا من أعماقه . والواعظ الناجح هو الذى يشعر بعد أن ينزل من منبره أن جزءاً من نفسه قد أعطى للناس. يقول متى أر نولد الناقد الأدبى المشهور عن الطبقة الوسطى « أنظر إلى هؤلاء الناس ، إلى ملابسهم إلى كتبهم التى يقرأونها ، إلى تفـكيرهم . أليست خسارة لن تعوض بمال أن يكون الشخص واحداً منهم» ؟ قد تـكون هذه الـكلمات خيالية، ولـكنها تخرج من شعور الاحتقـــار والاشمئزاز ، وشخص ينظر إلى الناس هـكذا لن يستطيع أن يساعدهم ، ولـكن استمع إلى موسى وهو يتضرع إلى الله أن يمحوه من كتابه إن أصر على هلاك هذا الشعب (خروج ٣٢: ٣٠ـ ٣٢) إستمع إلى بولس وهو ينطق فى شعر ماير عندما نظر الى العالم الضائع :

عندئذ أحسست بالدافع الذى يملأ نفسى بالقوة
دافع قوى مثل صوت البوق
ماذا أعمل لخلاصهم ، ولو هلكت لحياتهم
أموت ليعيشوا هم . انفق لأجلهم أجمعين .

إن عظمة يسوع تكمن فى أنه كان مستعداً أن يدفع ثمن مساعدته للناس وهذا الثمن هو حياته نفسها . . فإن أردنا أن نقتفى آثاره فلا نكتفى بأن ندفع من أموالنا بل أن ننفق من نفوسنا فى سبيل الآخرين .

٢ — نرى شيئا عن التلاميذ : أنهم كانوا يهتمون كثيراً بما يدعى «الذوق العام ، لقد ظنوا أن يسوع متطرف فى سؤاله عمن لمسه ، لأنه محاط بالناس من كل ناحية ، وبهذا أظهروا أنهم كانوا يجهلون مقدار الثمن الباهظ الذى كان يسوع يدفعه فى سبيل خدمته للناس ، وهذا ما يحزن النفوس الحساسة : إن الناس لا تقدر ما يتألمون به ومنه ، قد لا نختبر شيئاً ما ، فلا نقدر احساسات أولئك الذين يجتازونه ، فنجرح فى مرات كثيرة شعور أولئك الذين نحبهم ، قد تصلى لأجل الذوق العام ، ولكن من الأفضل أن نصلى أن يعطينا الله الإحساس الرقيق حتى نعرف أعماق نفوس الناس .

٣ — يظهر شيئا عن المرأة : إنه يخبرنا عن التعزية التى ينالها الشخص بعد أن يعترف بما فعله، قد يكون من الصعوبة بمكان أن يعترف الإنسان ولكن ما أن يفعله يحس بالراحة . فقد زال الخوف من قلب هذه المرأة وأحست بالراحة ، وعندما اعترفت رأى الحنان يتدفق منه :

لا تدع ضميرك يعيقك عن التقدم إليه
لأنك غير مستحق فلن يقبلك
فكل الاستحقاقات التى يطلبها منك
هو أن تشعر بحاجتك إليه

أنه ليس من الصعب أن تعترف لشخص يستطيع أن يفهمك كيسوع

الرغبة والرجاء

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءُوا مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ ابْنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتْعِبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ. فَسَمِعَ يَسُوعُ لِوَقْتِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي قِيلَتْ فَقَالَ لِرَئِيسِ الْمَجْمَعِ لاَ تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ. وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَتْبَعُهُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ. فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ وَرَأَى ضَجِيجًا يَبْكُونَ وَيُوَلْوِلُونَ كَثِيرًا. فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تَضِجُّونَ وَتَبْكُونَ. لَمْ تَمُتِ الصَّبِيَّةُ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ.

(مرقس ٥ : ٣٥ ــ ٣٩)

إن عادات الجنازات اليهودية كانت قاسية ومروعة، فقد كان يغلب عليها طابع الهلع للفراق الأبدى، ولم يكن فيها أى نوع من الرجاء المسيحى.

فحالما يموت شخص ما ، كانت الصرخات العالية ترتفع فى البيت حتى تعلن هـذا الخبر ثم تعلو أيضاً بجانب القبر ، ثم يجلس الحزانى بجوار الميت يطلبون منه أن يكلمهم ، يقرعون الصدور ، ويجزون الشعر ويشقون الملابس . وكان شق الملابس يسير بحسب قواعد مرعية : فالملابس تشق قبل مواراة الجثة فى التراب بقليل ، ويجب أن يشق الثوب إلى حـد مكان القلب بحيث لا تنزل أسفل الصدر ، وإن كان الميت أباً أو أما شق الثوب من الناحيـة الشمال على القلب ، ولـكن فيما عدا ذلك فالناحية اليمنى أما المرأة فتشق ثوبها الخارجى فقط فى الخفاء بحيث تلبس ثوبها الأسفل مقلوباً حتى لا يظهر شىء من جسـدها . ويستمر الشخص لابسا ثوبه المشقوق سبعة أيام ثم يقفله كيفما اتفق ولـكن فى نهاية الثلاثين يوما يصلح الثوب .

وإلى جانب ذلك كان الضرب على النـاى ضرورة ملحة فى الجنازات ، ففى العالم القديم كله : اليهودية ، اليونان ، روما وغيرها كان الناى يرافق الجنازة وكان أفقر إنسان يستدعى إثنين من لاعبى الناى ليرافقا جنازة زوجته ، ويقول و . تايلر فى كتـابه « Dictionary of Christ and The gospel » إن لاعبى الناى ساروا فى جنـازة الإمبراطور كلوديوس قيصر ، وعندما وصلت الأخبـار إلى أورشليم عن سقـــوط يوتاباتا Jotapata فى يد الجيوش الرومانية استأجر معظم الناس لاعبى الناى ليقفوا فى وسط جموع الحزانى .

وهكذا كان أنين الناى وصراخ الحزانى ، ومخاطبـــة الجثة ، وتمزيق الملابس ، وجز الشعر كل هذه جعلت من البيت اليهودى فى وقت الجنازات مكاناً مروعاً مقبضاً

وفى أثناء الجنازة يمنع صاحب الميت من العمل ومن السفر . لا يلبس حذاء ولا يدهن نفسه . يجلس معصوب الرأس غير حليق ، يمنع من قراءة الشريعة أو الأنبياء ، لأن قراءة هذه الكتب يعد فرحا ، ولكن قد يقرأ أيوب أو إرميا أو المراثى ، لا يأكل إلا فى بيته ويمتنع عن أكل اللحوم وشرب الخمر .. لا يخرج من قريته إلا بعد ثلاثين يوما ، لا يستخدم مائدة بل يجلس على الأرض ، وكان يأكل بيضا مغموسا فى الرماد أو الملح وكانت هناك عادة غريبة وهى أن يخلى منزل الميت وثلاثة منازل على كل جانب من الماء حال حدوث الوفاة لأن الناس كانوا يعتقدون أن ملاك الموت كان يغسل سيفه من أقرب مكان للمياه . وإذا كان الميت صغيراً ولم يكن قد تزوج فإن خدمة زواج تجرى عند الدفن ، وطيلة مدة الجنازة لا يتبع الحزين الوصايا لأنه يعتبر مجنوناً من الحزن .

وكان يجب على الحزين أن يذهب إلى المجمع وعندما يقابله الناس كانوا يقولون « مبارك من يواسى الحزين » وتوجد صلاة تقال على اللحم فى بيت الحزن :

« مبارك أنت يا الله سيدنا ملك الكون ، إله أبائنا ، خالقنا ، فادينا ، مقدسنا ، قدوس يعقوب ، ملك الحياة ، الصالح ، أو عامل الصلاح ، إله الحق ، القاضى العادل الذى يحكم بالعدل ، الذى يأخذ النفس فى القضاء ويحكم لوحده فى الكون ، الذى يفعل ذلك بحسب مشيئته وحسب طرقه فى المحاكمة ، ونحن شعبه ، وعبيده ، وفى كل شىء يجب أن نحمده ونباركه ، الذى يحفظ شعبه فى كل مصائبه ويحفظنا فى هذه المصيبة . ومن هذا الصباح سيأتى بنا إلى الحياة

والسلام . عز يا الله سيدنا كل حزانى أورشليم ، عزهم فى حزنهم ، وفرحهم فى مصابهم كما تعزى الأم إبنها مبارك أنت يا الله معزى صهيون الذى تبنى أورشليم » .

ويعتقد أن هذه الصلاة كتبت بعد كتابة العهد الجديد ولكنها تصف بصدق ماذا كان يحدث فى بيت هذه الفتاة .

الاختلاف الذى يعمله الإيمان

فَضَحِكُوا عَلَيْهِ . أَمَّا هُوَ فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ وَأَخَذَ أَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَخَلَ حَيْثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضْطَجِعَةً . وَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا طَلِيثَا قُومِي. الَّذِى تَفْسِيرُهُ يَاصَبِيَّةُ لكِ أَقُولُ قُومِي . وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ . لِأَنَّهَا كَانَتِ ابْنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . فَبُهِتُوا بَهَتاً عَظِيماً . فَأَوْصَاهُمْ كَثِيرًا أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِذلِكَ . وَقَالَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ .

(مرقس ٥ : ٤٠ ــ ٤٣)

إن أحلى كلمة ترن فى الآذان فى هذا الفصل هى « طاليثا قومى » وهى كلمة آرامية معناها « أيتها الصبية قومى » والأمر العجيب هنا هو كيف تدخل هذه الكلمة الأرامية فى هذا الكتاب اليونانى ؟ لماذا تبقى هناك ؟ السبب واحد : وهو أن مرقس سمعها من بطرس ؛ وقد كان بطرس أحد الثلاثة الذين اختيروا ليدخلوا مع يسوع إلى الداخل ، وسمع بطرس يسوع يقول لهذه الفتاة : « طاليثا

فومى » ، وكان وقعها قوياً على مسامعه ؛ فلصقت فى ذاكرته ، ولم تستطع السنون أن تمحو منها تلك النغمة المحببة اللطيفة ، فأضحى لذلك يرددها فى نبرتها الأصلية ، فلم تستطع اللغة اليونانية أن تمحو ذكراها . وفى هذا الفصل نجد المتناقضات توضع بعضها بجانب البعض .

١ — فهناك اليأس بجانب الرجاء . . يأس الحزانى ورجاء يسوع . . أولئك يقولون « لا تتعب المعلم . . لا شئ يمكن عمله الآن » ويسوع يقول « لا تخف . . آمن فقط . ما أكبر الهوة بين نبرة اليأس والفشل ونبرة الرجاء والقوة .

٢ — هناك الحزن الجامح بجانب الثقة الهادئة : فهناك الصراخ والعويل وجز الشعر وشق الثياب وهنا الهدوء والثقة وضبط النفس .

ولكن ما سبب هذا الإختلاف الكبير ؟ سببه ثقة يسوع الكاملة فى الله ، فأقسى التجارب وأمر الضيقات نستطيع أن نقابلها ومعنا الله ، لقد ضحكوا عليه لأنهم ظنوا أن رجاءه لا أساس له ، ولكن الحياة المسيحية تعرف أين نصرتها فالغير مستطاع عند الناس هو مستطاع عند الله ، إن ما لا يستطيع أن يتخيله الناس يستطيع أن يحققه الله . لقد ضحكوا عليه ولكن ضحكهم تحول إلى إندهاش وتعجب عندما قامت الصبية ، ليس هناك موقف لا يستطيع الإنسان أن يواجهه — حتى ولو كان الموت — ما دام يواجه كل شئ وهو يشعر بمحبة الله فى المسيح يسوع ربنا .

اَلْأَصْحَاحُ السَّادِس

بلا كرامة فى وطنه

وَخَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى وَطَنِهِ وَتَبِعَهُ تَلاَمِيذُهُ . وَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ . وَكَثِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بُهِتُوا قَائِلِينَ مِنْ أَيْنَ لِهٰذَا هٰذِهِ . وَمَا هٰذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْلُ هٰذِهِ . أَلَيْسَ هٰذَا هُوَ النَّجَّارُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ . أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هٰهُنَا عِنْدَنَا . فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ . وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ . وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ . وَصَارَ يَطُوفُ الْقُرَى الْمُحِيطَةَ يُعَلِّمُ .

(مرقس ٦ : ١ — ٦)

عندما جاء يسوع إلى الناصرة وضع نفسه فى مأزق حرج ، فهو يأتى إلا المدنية التى تربى فيها . ولا يوجد هناك أقسى من المكان الذى نبت فيه الشخص

وعرفه الجميع . عرفوا أصله وفصله ومنبته ، ولم يأت ، كشخص عادى تغيب عن بلده ورجع إليها ، ولكنه رجع كمعلم يهودى كبير له مجموعة من تلاميذه ، كما كانت العادة فى ذلك العصر ، وعندما جاء دخل إلى المجمع وبدأ يعلم ،واستقبله الناس بالتهكم لا بالتعجب ، لأنهم كانوا يعرفون أهله ، وتعثروا فيه . . لقد ولدت معرفتهم له احتقاراً لتعاليمه .

ولقد رفضوا أن يصغوا إليه لسببين

١ — لقد جابهوه بالكلام أليس هذا النجار ؟ والكلمة المترجمة نجار هى تكتون : Teckton ومعناه الشخص الذى يعمل فى الخشب ، ليس فقط قاطع أخشاب بل رجل مهنته أن يحيل الخشب إلى شكل من الأشكال، وكان هؤلاء الناس منتشرين قديماً وخاصة فى القرى والمدن الصغيرة . يستطيع الواحد منهم أن يعمل كل شيء من حظيرة الفراخ إلى المنزل الكبير .. إنه يعمل بيديه بأشياء بسيطة وآلات قليلة كل الأشياء . لقد كان يسوع واحداً منهم . لكن الناس لم يحتقروا يسوع لكونه عاملا فى الخشب أونجاراً ولكن لكونه عاملا .. يعمل بيديه . . إنه من عامة الشعب .. رجل بسيط . قد نسمع عن ول كركس أحد قادة الحركة العمالية العظماء يذكر هو عن نفسه أنه عمل حداداً بأجر أسبوعى قدره خمسة شلنات أسبوعياً ،ولكنه برع وأصبح أمهر وأشجع العمال، ثمدخل الميدان السياسى وانتخب قائداً للعمال وعمدة الحى العمالى فى لندن وفى مرة كان يقف فى وسط جمع حاشد سمع سيدة تقول باحتقار « كيف ينتخبون رجلا كهذا عمدة ؟ إن شكله لا زال على شكل العمال » فالتفت إليها وقال نعم « يا سيدتى إننى لا زلت عاملا » وهكذا كان أهل الناصرة يحتقرون يسوع لأنه كان عاملا ، ولكننا نحن نرى فى ذلك قمة مجده ، لأننا نعرف أن الله

عندما زار أرضنا لم يفرق بين إنسان وآخر، لقد عاش حياة الناس الفقراء البسطاء، إن الأصل والعمل لا يؤثران فى رجولة الفرد كما قال بوب .

إن قيمة الإنسان فى شخصه واحتياج الناس إليه

أما باقى الأشياء فهى كالإطار الخارجى

لنحذر دائماً من أن نقدر قيمة الإنسان بالأمور الخارجية الظاهرية ونترك القيمة الأساسية الحقيقية التى هى شخصيته واحتياج الناس له .

٢ — قالوا : أليس هذا ابن مريم : « ألسنا نعرف إخوته وأخواته » . من هذا القول يتضح أن يوسف قد مات ، ونستطيع أن نعرف شيئاً عن حياة يسوع لقد كان ابن ثلاثين سنة عندما مات ، ولم يخرج إلى الخدمة إلا فى سن الثلاثين (لو ٣ : ٢٣) . وكثيراً ما كان المرء يتساءل : لماذا تأخر هكذا فى رسالته والعالم كله كان يحتاج إليه ؟ السبب لأنه أخذ على عاتقه مسئولية أسرته الصغيرة ، وظل يعمل ليعولهم إلى أن كبروا وتحملوا هم مسئولية المنزل وعندئذ خرج ليؤدى الرسالة . لقد كان أميناً فى الدائرة الصغيرة فأعطاه الآب المسئولية الكبرى . كان توماس كامبل الشاعر المشهور يعرف أن أباه لا يفهم شيئاً فى الشعر ، ولكنه لما أخرج أول ديوان له أرسله إلى أبيه ، فأمسك الوالد بالكتاب ولم يلتفت إلى ما بداخله بل إلى تجليده الفاخر وقال « من كان يظن أن توم يكتب هذا الكتاب ؟ » . ففى مرات تولد الصلة لا احتراما متزايداً بل عدم معرفة ، وقد نكون قريبين ممن لنا بدرجة ألا نعرف عظمتهم .

وكانت نتيجة كل هذا أن يسوع لم يستطع أن يعمل معجزة واحدة ، إن

الجو كان غير صالح لعمل المعجزات وهناك بعض الأشياء لا يمكن عملها فى الجو الغير صالح لها .

١ — إن من يرفض أن يشفى لا يمكن شفاؤه. تذكر مارجوت اسكويت عن موت ن . تشمبرلين الذى أدى فشل سياسته إلى انكسار قلبه ، وتقول إنها قابلت طبيبه الخاص لورد هوردر وقالت له « هل أنت طبيب حقا ؟ فلقد كان تشمبرلين أكبر من ونستون تشرشر قليلا وكان رجلا قويا . . فهل كنت تحبه ؟ » فأجاب هوردر « نعم كنت أحبه جداً ، وأحب كل من لا يحبهم الناس ، لقد رأيت كثيراً من الناس ، لقد كان تشمبرلين يقاسى من الشعور بالخجل ، وكان يود لو أنه مات ، وعندما يتمنى الموت لا يستطيع أى طبيب أن ينقذه من الموت » . قد نسميه إيمان ، قد نسميه إرادة الحياة أما الشىء المهم فيه فإنه بدون هذا الإحساس لا يستطيع الإنسان أن يعيش .

٢ — لا يمكن أن يثمر الوعظ فى الوسط الذى لا يرغب وعظا . لو عرف أعضاء الكنائس أن نصف نجاح العظة يتوقف عليهم لتغيرت كنائسنا ، إن موقف المستمعين الناقد البارد يضعف عزيمة أعظم الوعاظ ، أما إذا كان المستمعون فى حالة توقع وانتظار فإن أضعف الوعاظ سيكون له أعظم التأثير .

٣ — لا يمكن أن يكون هناك سلام فى مكان لا يريد السلام : من يريد أن يعيش بالكراهية يكره الناس ، ومن يريد أن يسىء فهم الناس يسهل عليه أن يفعل ذلك ، ومن يريد ألا يعرف غير وجهة نظره لا يسمع للآخرين ، ولكن اذا اتحد الناس فى محبة يسوع وفى محبة بعضهم البعض فإن أبعد الناس سيتحدون معا فى المسيح .

إن مسئولية ضخمة وضعت علينا ولا نستطيع أن نتخلص منها وهى إما أن نكون واسطة فى دفع العجلة إلى الأمام وامتداد ملكوت الله ، وإما أن نعطله ، إما أن نفتح الباب له وإما أن نوصده فى وجهه .

بشيروا الملك

وَدَعَا الاِثْنَيْ عَشَرَ وابْتَدَأَ يُرْسِلُهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ . وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ . وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَيَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ غَيْرَ عَصًا فَقَطْ . لاَ مِزْوَدًا وَلاَ خُبْزًا وَلاَ نُحَاسًا فِي الْمِنْطَقَةِ . بَلْ يَكُونُوا مَشْدُودِينَ بِنِعَالٍ ولاَ يَلْبَسُوا ثَوْبَيْنِ . وقَالَ لَهُمْ حَيْثُمَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا فَأَقِيمُوا فِيهِ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ . وكلُّ مَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ ولاَ يَسْمَعُ لكمْ فاخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ وانْفُضُوا التُّرَابَ الَّذِي تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ . الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ .

(مرقس ٦ : ٧ — ١١)

نستطيع أن نفهم هذا الفصل جيداً لو عرفناماذا كان يلبس اليهود،فاليهودى كان يلبس عادة خمس قطع من الملابس :

١ — القميص وهو اللباس الداخلى ، وهو عبارة عن قطعة من القماش حيكت من الجنب ، مثل الكيس الذى له فتحتان من الجانبين لدخول الذراعين وكان هذا القميص يباع بدون فتحة للرأس وذلك لسببين: لكى يظهر أنه لم يستعمل بعد ولأن الفتحات تختلف بين الرجال والنساء ، ففتحة الرأس عند النساء يجب أن تكون أكبر حتى تستطيع المرأة أن ترضع طفلها ، وقد يعمل لهذا القميص أكمام ، وقد يكون مفتوحان من الأمام ويقفل بواسطة أزرار .

٢ — الرداء الخارجى واسمه العباءة أو الشملة ، وكان يستخدم رداء فى النهار وغطاء بالليل إتساعه سبعة أقدام وطوله أربعة أقدام ونصف ، وأكمامه على الجانبين يقطع قطعاً عادة يصنع من قطعتين من القماش إتساع كل منها سبعة أقدام وارتفاعها أكبر قليلا من قدمين ، وتكون الحياكة من على الظهر ، أما الأردية الغالية الثمن فكانت تعمـــل من قطعة واحدة كرداء يسوع (يوحنا ١٩ : ٢٣) وقد كان الرداء اللباس الرئيسى .

الشىء الثالث هو المنطقة : وهى تربط على القميص والرداء معاً ويمكن أن يربط القميص تحت المنطقة إذا كان الشخص يعمل أو يجرى ، أو فوق المنطقة لكى يحمل شيئا ، وكانت المنطقة من طبقتين عرض كل منهما قدم ونصف وكانوا يحملون أموالهم بين الطبقتين .

٤ — لباس الرأس : عبارة عن قطعة من التيل أو القطن حوالى ياردة مربعة وقد تكون بيضاء أو زرقاء أو سوداء ، أحيانا تعمل من الحرير الملون ، وتلف حول الرأس بطريقة تحمى الرقبة والجبهة والعينين من حرارة الشمس ، وتربط على الرأس بحزام من الصوف المرن .

٥ — وأخيراً هناك الصندل . وهو عبـارة عن قطعة من الجلد المستطيلة أو الخشب ، أو الأعشاب القوية المجدولة وبها أمكنة تربط بها أشرطة من الجلد تربطها بالقدم .

أما الكيس فهو أحد شيئين :

(ا) ربما يكون حقيبة السفر العادية وهى مصنوعة من جلد الماعز ، وقد يسلخ جلد الجدى كما هو بأرجله الأمامية والخلفية ، ورقبته ، ويوضع شريط فى كل نهاية ويحمل على الكتف وفيه يضع المسافر أو الراعى أو الحاج زاده من جبن وزيتون وخبز بقدر يكفيه يوما أو يومين .

(ب) وربما كان يقصد شيئا آخر ، بالكلمة اليونانية المترجمة كيس هى بيرا Pira وهى نفس الكلمة التى تترجم « كيس الجمع » التى كان يحملها الكهنة وخدام الآلهة لكى يجمعوا فيها تقدمات للآلهة ومعابدها ، وكان الناس يسمونهم « اللصوص الأتقياء الذين يسعون من قرية إلى أخرى » . ويوجد رسم لأحد العبيد السوريين يقول إنه يجمع ملء سبعين كيسا من الفضة لآلهته

فإذا كان يسوع يقصد الأولى فإنه يعنى أنهم لا يثقلون أنفسهم بحمل الزاد، فالله سوف يعتنى بهم ، وإذا كان يقصد المعنى الثانى فهو إنما يحذرهم من تقليد غيرهم لئلا تفشل خدمتهم .

هناك أمران آخران .

١ — كان الناموس يوصى بأن كل من يدخل المكان المقدس يجب أن

يخلع عصاه وحذاءه ومنطقه ماله ، فكل الأشياء العادية يجب أن يتخلص منها المتعبد ، ولربما قصد يسوع بوصيته ألا يحملوا كيسا ولا مذودا أن يعتبروا البيوت التى يدخلونها بيوتا مقدسة يجب أن يدخلوها فى نفس الحالة التى يدخلون فيها الهيكل .

٢ — كانت الضيافة واجبا مقدسا فى الشرق ، فعندما يدخل رجل غريب إلى قرية ما فإنه لا يفتش عن مكان يستريح فيه ، لأن القرية تهتم به دون أن يسأل ذلك ولقد أخبر يسوع تلاميذه أن الناس قد يقفلون بيوتهم فلا يقبلونهم ويسدون آذانهم فلا يسمعون لهم ، ففى هذه الحالة ينبغى عليهم أن يتركوا المكان بعد أن ينفضوا غبار أرجلهم . ولعل هذه الوصية تشير إلى قول التقاليد أن تراب الأرض الأممية نجسة واليهودى الذى يدخل فلسطين من أى مكان آخر يجب عليه أن ينفض الغبار النجس الذى علق عليه من أرض الأمم ، وكأن يسوع يقول لهم إذا رفضوا أن يسمعوا لكم فافعلوا كما يفعل اليهودى المتمسك ، وبهذا لا تكون هناك صلة بينكم وبينهم .

ومما سبق نعلم أن العلامة المميزة للتلمذة المسيحية هى البساطة ، والثقة الكاملة والكرم الذى دائما يعطى دون أن يطالب .

رسالة الملك ورحمته

فَخَرَجُوا وصَارُوا يَكْرِزُونَ أَنْ يَتُوبُوا . وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ .

(مرقس ٦ : ١٢ و ١٣)

هنا مختصر لما قام به الإثنا عشر عندما أرسلهم يسوع :

١ — أعلنوا قدوم رسالة يسوع : إن الـكلمة التى استخـدمت هى نفس الكلمة التى يستخدمها البشير الذى يسبق الملك ، وعنـدما ذهبوا لم يبتدعوا رسالة بل قدموا رسالة ، إنها ليست رسالتهم بل رسالة الله ، إنها لم تبن على ما كانوا يعتقدون بل هى ما سمعوه من الله . . مثلهم فى ذلك مثـل نبى القديم عندما كان يفتتح رسالته بالقول « هـكذا قال الرب » . إن الرسالة المؤثرة هى التى تأتى من الرب أولا .

٢ — لقد حملوا للناس رسالة الملك : وتتلخص هـذه الرسالة فى الـكلمة « توبوا » ومعنى توبوا أى غيروا تفـكيركم واتجاهـكم وبالتالى سلوكـكم . . أى تغيير القلب والعمل . فالتوبة مؤلمة لأنها التحقق من خطأ ما نعمله . . إنها مزعجة لأنها تعنى تغيير الحياة كلية ، وهذا ما لا يريده الناس . تقول الليدى إسكويث عن جماعة « إنهم يتخبطون نحو الموت» . وهذا هو طبع الـكثيرين، إنهم يكرهون تغيير حياتهم ، فالحياة دائما تميل إلى الغروب فلا داع لتغييرها . . إنهم يكرهون الحركة . إن الخاطئ الذى اختار طريقه والذى حدد هدفه ساعيا إليه بكل قوته أفضل من هؤلاء السلبيين الواقفين الذين لا هدف لهم . فى رواية كوفاديس نقرأ عن فينسيس الرومانى الذى أحب فتاة مسيحية ، ولما لم تقبله زوجاً لأنه غير مسيحى ذهب وراءها إلى الاجتماع السرى للمسيحيين وهنـاك سمع بطرس يعظ ، وأحس أن شيئا ما يحدث فى داخله ، وعرف أنه لو تبع هذه التعاليم الجديدة لاحترقت حياته الأولى وضاعت ثم نبت مكانها حياة جديدة مملوءة بالحركة والحيوية . .

هذه هى التوبة . . والتغيير . . هى لـكل إنسان ، إن التغيير لا يقصـد به اللصوص والقتلة والزناة وغيرهم من الخطاة العتاة فقط بل يقصد بها أيضاً أولئك الـكسالى الأنانيين الذين لا يهتمون بغيرهم . . إن التغيير من عبادة النفس إلى عبادة الله شيء موجـع ولـكنه لازم . فى رواية البؤساء يقول الأسقف عن جماعة الـكسالى « إننى أرعبهـم دائماً ، لأن شيئاً غريبا يصطدمهم فى كلامى إن حضورى بينهم يشعرهم كأنما الباب قد ترك مفتوحاً والتيار الشديد يهب عليهم » . إن التوبة ليست شعوراً عاطفيا . . التوبة هى ثورة . . هى تغيير لـكل الحياة .

٣ – لقد قدموا للناس رحمـة الملك : إنهم لم يقدموا لهم طلبه المزعج بل معونته المستمرة ، لقد قدموا لهم شفاءً من الأرواح النجسة : فالمسيحية تهتم بشفاء الروح والجسد ، إنها تهتم بشفاء الأخلاق المنحلة والأجساد المحطمة . ولهذا فقد اهتموا بالدهن بالزيت ، لأن الزيت كان دواءً عاما لـكل الأمراض . فقد قال جالين الطبيب الإغريقى المشهور « إن الزيت هو أفضـل الأدوية للجسد المتألم » ولـكن الزيت فى يد خادم المسيح أضحى يحمل امتيازاً آخر . . إنه يساعد فى شفاء الجسد ولـكن مع هـذا الشفاء يعطى الروح القدس شفاء الروح . إن قوة الله أضحت معروفة حتى فى الأشياء العادية .

وهكذا حمل التلاميذ للناس رسالة الملك ورحمته .. وهذا العمل لا يزال العمل الأساسى والرئيسى للـكنيسة اليوم وإلى منتهى الأيام .

ثلاثة أحكام على يسوع

فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ . لِأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُورًا . وَقَالَ إِنَّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ . قَالَ آخَرُونَ إِنَّه إِيلِيَّا . وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ الأَنْبِيَاء

(مرقس ٦ : ١٤ و ١٥)

لقد انتشرت أخبار يسوع فى طول البلاد وعرضها حتى وصلت إلى أسماع هيرودس . ويلوح أن هيرودس قدسمع مؤخراً عنه لأنه كان يسكن طيباريوس، وهى مدينة أممية لم يذهب إليها يسوع ولا أحد من تلاميذه . ولكن بعد أن امتلأت البلاد بأخباره لم يكن من الممكن أن يستمر هيرودس فى جهله بقصته . وفى الفصل الذى أمامنا نجد أحكاماً ثلاثة على يسوع :

١ — حكم الضمير المعذب : لقد قتل هيرودس يوحنا المعمدان ، وحاول أن ينسى ، ولكنه لم يستطع فقد عاد ضميره يعذبه ، وهل يستطيع الرجل الشرير الذى عمل عملا شنيعاً كهذا أن يستريح ؟ إن المجرم يعتبر العالم كله ضداً له ، ولا يستطيع أن يتهرب من نفسه لأنه لا يستطيع أن يهرب من تفكيره فى جنايته التى عملها ، أما حياته الظاهرية فهى حياة المعذب . . لأنه يخاف لئلا تصل إليه يد العدالة أو يد الانتقام .

منذ سنوات هرب رجل من السجن ولكنه عاد إليه بعد ٤٨ ساعة فى حالة

مروعة من التعب والجوع والإرهاق ، وبدأ يصف هروبه بقوله « مطارداً . . مطارداً طيلة الوقت . . لا فرصة لى للأكل . . لافرصة لى للنوم ، لقد كنت هارباً كل الوقت لأنى كنت مطارداً » . هذه الكلمة مطرود أو مطارد هى الصفة الحقيقية لحياة المجرم . وهكذا كان هيرودس بعد أن قتل يوحنا المعمدان . . لقد طاردته أفكاره ولم يستطع أن يهرب منها . ما أبشع حياة الخطية إنها حياة مطاردة .

٢ – حكم المتعصب لوطنه كان معتقد أن يسوع هو إيليا . أما قصة مجىء إيليا فهى جزء لا يتجزأ من عقيدة اليهود عن المسيا . لقد تباين التفكير اليهودى فى حقيقة شخصية المسيا وموعد مجيئه ، ولكن الرأى الذى كان يتمسك به غالبيتهم هو أن المسيا سيكون ملكا جباراً فاتحاً ، سيأتى بسيفه ويخضع كل العالم لليهود فيحكمونه . ولكن قبل أن يجىء ذلك اليوم ، سيظهر إيليا ليعد الطريق له . ولقد بقى اليهود على هذه العقيدة إلى يومنا الحاضر ، ففى عشاء الفصح تراهم يتركون مقعداً خاليا اسمه « مقعد إيليا » ، ويضعون كأسا من الخمر أمامه ، إنه « كأس إيليا » ثم يفتحون الأبواب لعل إيليا يدخل بقوة معلنا مجىء المسيا المنتظر . . وعلى أساس هذه العقيدة ظن كثيرون من المتعصبين أن يسوع الناصرى هو بنفسه إيليا ، إنهم رأوا فيه تحقيقا لأطماعهم ، فبدلا من أن يتخذوا من يسوع سيداً يطيعونه ومعلماً يسمعون لكلمته ، أرادوا أن يروا فيه آلة لتحقيق مآربهم العالمية . إنهم لا يفكرون فى المسيح بقدر ما يفكرون فى أنفسهم .

٣ – حكم الشخص الذى كان ينتظر أن يسمع صوت الله . ذلك الذى ظن

أن يسوع هو النبي لقد كان اليهود يتوقون إلى سماع صـــوت الله كما كان في القديم .. ثلاثمائة عام كاملة سكت الله فيها ولم يسمعهم صوته . . لقد ملت آذانهم سماع المناقشات العقيمة والمحاضرات الأخلاقية ، إنهم يريدون أن يسمعوا صوت الله نفسه .. يتطلعون لسماع العبارة « هكذا قال الرب » . ولقد سمعوا هذا الصوت من يسوع ، فظنوه أنه النبي المنتظر .. لقد كان يسوع أكثر من نبي » لقد كان صوت الله ، لقد كان قوة الله ، لقد كان حياة الله نفسه . ولكن أولئك الذين ظنوه نبيا كانوا أكثر قربا إلى الحقيقة من هيرودس المعذب الضمير والوطني المتعصب ليهوديته .. لقد كانوا مستعدين أن يخطوا الخطوة الثانية حتى يروا أن يسوع هو ابن الله .

انتقام امرأة شريرة

وَلٰكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ هٰذَا هُوَ يُوحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ . إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ .

لِأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلِبُّسَ أَخِيهِ إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا . لِأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ . فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ . لِأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ

رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ وَكَانَ يَحْفَظُهُ . وَإِنْ سَمِعَهُ فَعَلَ كَثِيرًا وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ . وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوَافِقٌ لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ . دَخَلَتْ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ . فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ مَهْمَا أَرَدْتِ اطْلُبِي مِنِّي فَأُعْطِيكِ . وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي . فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا مَاذَا أَطْلُبُ . فَقَالَتْ رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ فَدَخَلَتْ لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالاً رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ عَلَى طَبَقٍ . فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدًّا . وَلأَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا . فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ . فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ . وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا . وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ .

(مرقس ٦ : ١٦ — ٢٩)

فى هذه القصة نجد البساطة الكاملة لدراما تاريخية هائلة :

١ — مكان الرواية : قلعة ماخيروس ، وهى قلعة موحشة مقامة على بقعة بعيدة عن العمران ومحاطة بنتوءات صخرية ضخمة جعلتها من أقسى وأقوى قلاع العالم ، ويستطيع الواقف فيها أن يرى الشاطىء الشرقى للبحر الميت ، وهناك يلاحظ الخطاطيف المثبتة فى الحوائط التى لا بد أن يوحنا المعمدان كان مربوطا فى واحد منها . فى هذه القلعة الموحشة جرى آخر فصل من فصول حياة يوحنا المعمدان .

٢ — شخصيات الرواية : كانت الروابط الزوجية فى بيت هيروس معقدة ومتشابكة لا يستطيع أى مؤرخ أن يفصلها على حقيقتها . فعندما ولد يسوع كان هيرودس الكبير ملكا ، وكان هـــو الذى أمر بقتل أطفال بيت لحم [متى ٢ : ١٦ — ١٨] وفى أوائل حياته تزوج عدة مرات ، ولكنه لما تقدم فى السن بدأ الشك ينتابه ويقلقه حتى صار الشك مرضه المستعصى حتى دفعه أن يقتل أسرته واحداً تلو الآخر ، مما جعل اليهود يتندرون بالقول « من الأفضل أن يكون الشخص خنزير هيرودس من أن يكون إبنه » . فقد قتل إبنه انتيباس من زوجته الأولى دوريس ، ثم قتل ابنيه الآخرين ، اسكندر وارستوبولس ، من زوجته الثانية مريم المكابية . ثم تزوج من إمرأة أخرى إسمها مريم وأنجب منها فيلبس وتزوج فيلبس من إبنة أخيه أرستوبولس الذى قتله أبوه وأنجب منها سالومى التى رقصت أمام هيرودس حاكم الجليل .

ولم يكتف هيرودس الكبير بذلك بل تزوج مرة رابعة من إمرأة اسمها ملثاكى وأنجب منها ولدين : أرخيلاوس ثم هيرودس انتيباس الذى رقصت أمامه سالومى .

أما فيلبس زوج هيروديا وأبو سالومى فلم يرث شيئا من ممتلكات أبيه ،

ولهذا عاش فى روما عيشة البذخ والترف كأى مواطن رومانى عادى . وفى أحد الأيام زاره أخوه هيرودس انتيباس حاكم الجليل فى روما ، وهناك أغرى زوجته هيروديا أن تهجره وتذهب معه إلى الجليل ففعلت : وكانت الفضيحة تكمن فى :

١ — أنها كانت إبنة أخيه غير الشقيق :

٢ — أنها كانت زوجة أخيه غير الشقيق .

أما قبل ذلك ، فكان قد تزوج من إبنة ملك من ملوك العرب ولما طلقها ثار أبوها لشرفها وحارب هيرودس وتغلب عليه .

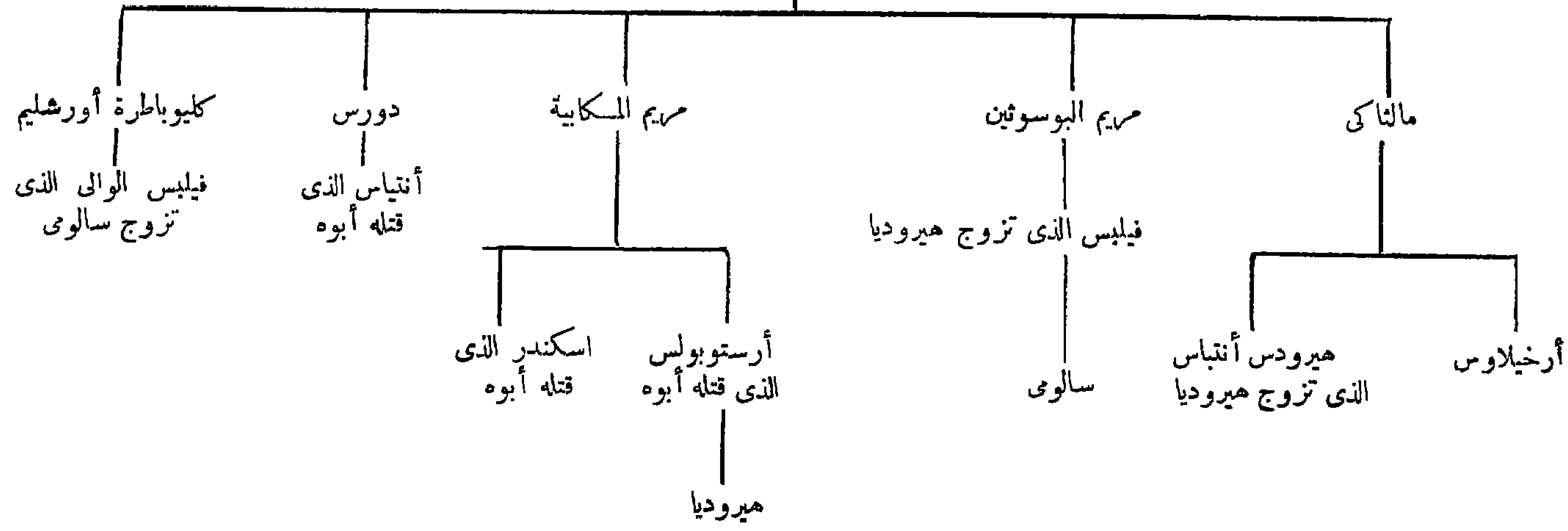
أما قصة زوجات هيردوس الكبير لم تنته إلى هذا الحد بل تزوج مرة خامسة من امرأة اسمها كليو باطرة من أورشليم وأنجب منها فيلبس الذى عين حاكما من قبل روما : فيلبس هذا تزوج من سالومى الآنفة الذكر التى كانت .

١ — إبنة أخيه غير الشقيق .

٢ — ابنة ابنة أخيه هيروديا [هيروديا ابنة أرستوبولس ابن هيرودس الكبير] فكان بذلك فى مقام جدها .

ولكى يسهل تتبع هذه الشجرة يحسن أن نضعها فى جـــدول هكذا فى الصفحة التالية : ـ

وهكذا يرى الدارس أن التاريخ لم يحفظ فى سجلاته أسماء أسرة كثيرة فيها هذه الزيجات المتداخلة كأسرة هيرودس، هذه الزيجات التى بدأها هيرودس بالزواج من هيروديا التى كانت ضد كل قانون وخاصة الناموس اليهودى .


هيروس الكبير
تزوج
مالثاكى
مريم البوسوثين
مريم المكابية
دورس
كليوباطرة أورشليم
أرخيلاوس
هيرودس أنتباس
الذى تزوج هيروديا
فيلبس الذى تزوج هيروديا
سالومى
أرستوبولس
الذى قتله أبوه
هيروديا
اسكندر الذى
قتله أبوه
أنتياس الذى
قتله أبوه
فيلبس الوالى الذى
تزوج سالومى

ولهذا السبب وقف يوحنا ضد هذه الدعارة العلنية ، ولم يخف وجه هيرودس ولا جبروته ، وبهذا استحق يوحنا أن يسجل فى ذكراه الصلاة الآتية .

« أيها الإله القوى يامن سندت عبدك يوحنا المعمدان وأرسلته ليمد الطريق» أمام ابنك الحبيب بالمناداة بالتوبة ، اجعلنا أن نتتبع كلامه وحياته المقدسة فنتوب حقاً كما نادى ، وقد تكلمت فيـــه تكلم فينا معلنا الحق موبخا الرذيلة ، ودعنا أن نتحمل الألم لأجل الحق مثله » .

ولم يستطع هيرودس أن يفعل شيئاً ضد يوحنا بالرغم من توبيخه إياه ، لأنه رأى فيه إنساناً مخلصا صالحاً ، ولـكن هيروديا كرهته وأرادت أن تنتقم منه ، وتربصت الفرصة حتى واتتها فى يوم ذكرى ميلاد هيرودس . ففى ذلك اليوم أقام هيرودس وليمة كبرى لعظمائه ، وفى وسط الفرح دخلت سالومى لترقص وحدها وكان الرقص الذى تؤديه عاراً على آية عائلة محترمة ، لأنه كان مهنة الزوانى فى ذلك الوقت ، ولـكنها لم تحترم مركزها كأميرة، ولم تحترم الضيوف الـكبار الذين حضروا الوليمة ودخلت لتقوم بهذا الخزى . . وسر هيرودس وأراد أن يجزل لها المـكافأة ، واستشارت أمها ، وانتهزت هذه الفرصة وطلبت رأس يوحنا ، وكان لها ما طلبت .

ونستطيع أن نتعلم بعض الدروس من هذه الشخصيات :

١ — لقد كشف هيرودس نفسه أمام الجميع :

(ا) لقد كان خليطاً من المتناقضات : كان يخاف يوحنا ويحترمه فى نفس

الوقت يرهب لسانه ولكنه يصغى إليه ، وهكذا تكون الطبيعة البشرية دائماً ؛ كما يذكر بوسل فى « يوميات لندن » إنه كان يجلس فى الكنيسة يستمتع بالعبادة وفى نفس الوقت يفكر فى كيف يقضى ليلة حمراء بعد العبادة ، وبهذا كان موزعا بين الرذيلة والفضيلة ، ويذكر أحد القضاةعن المجرمين الذين دافع عنهم والذين أدانهم « قد يحاولون أن يهربوا ولكنهم لا يستطيعون ، قد تجد فيهم شيئا من النبل ، كل حياتهم يحاولون أن يجربوا شيئاً من الفضيلة ولكنهم لا يقدرون » هكذا كان هيرودس : كان يخطىء وفى نفس الوقت يخاف من يوحنا ويحبه ، كان يكره رسالته ولكنه لم يستطع أن يخلص نفسه من سلطان تأثيرها . لقد كان هيرودس بشراً . . وهل يستطيع كثيرون أن يقولوا غير ذلك .

(ب) كان هيرودس رجلا يتصرف حسب عواطفه : لقد أعطى وعده لسالومى فى ساعة لم يكن يشعر بما يقول .. لعله كان تحت سلطان الخمر ، ولكن الرجل العاقل هو الذى يعد ويعرف ماذا يفعل ، هو الذى لا يندم أنه قال كلمة وهو فى حالة الغضب أو السكر يقول بعد أن يفكر ، ومتى قال كان جازما فى قوله .

(حـ) كان يخاف من أقوال الناس ، لقد حفظ كلمته ووعده لسالومى خوفا من تهكم الحاضرين عليه ، لم تكن عنده الشجاعة الكافية أن يعترف بخطأه ، وكم من أناس لم يستطيعوا أن يعترفوا أنهم أخطأوا ثم عملوا أعمالا أسفوا عليها بعد ذلك . إنهم يخافون الناس أكثر من الحق .

٢ — وفى هذه القصة تنكشف أمامنا طبيعة هيروديا . نعم يذكر لها

التاريخ قصة فيها بعض العظمة ، وهي أن زوجها هيرودس ذهب إلى روما ليطلب من الامبراطور أن يعطيه لقب ملك ، ولكن الامبراطور طرده ثم نفاه إلى غاله ، ويومئذ قيل لهروديا إنها تستطيع أن تبقى حيث تريد فلا داعي لنفيها هي ، ولكنها رفعت رأسها بكبرياء وقالت « أريد أن أكون حيث يكون زوجي » . ولكن رغم ذلك كانت امرأة شريرة . ويقول المثل اليهودي لا يوجد أشر من المرأة الشريرة ولا أبر من المرأة الطيبة ، ويؤكد أحد علماء اليهود أنه يفضل كثيراً أن يتزوج امرأة طيبة من رجل شرير عن أن يتزوج رجل طيب من امرأة شريرة . فالمرأة الطيبة ترفع الرجل الشرير من حمأته ، أما المرأة الشريرة فتجر الرجل الطيب إلى الرذيلة . إن مشكلة هيروديا أنها أرادت أن تزيل الرجل الذي واجهها بالحق من الوجود لكي تفعل خطيتها وهي مستريحة ، إنها تريد أن تخطىء بدون أن يعاقبها أحد . لقد تخلصت من يوحنا ولكن هل تستطيع أن تتخلص من الله ؟

٣ — وتتكشف شخصية يوحنا المعمدان : أنه رجل شجاع ، لقد كان رجل الخلاء والأماكن الفسيحة ، ولهذا فقد كان أقسى عقاب له هو السجن ، ولكن يوحنا فضل الموت عن الكذب ، عاش للحق وفضل أن يموت لأجله . إن الذي يتكلم بكلمة الله يخاطب ضمائر الناس : ولأن كثيرين قد أماتوا ضمائرهم ، فرجل الله الذي يوبخهم يكون مجازفاً بحياته ونفسه .

أشجان الجموع

وَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ كُلِّ مَا فَعَلُوا وَكُلِّ مَا عَلَّمُوا . فَقَالَ لَهُمْ تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ

خَلاَءٍ واسْتَرِيحُوا قَلِيلاً. لأَنَّ القَادِمِينَ والذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ. وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكلِ . فَمَضَوْا فِي السَّفِينَةِ إلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ مُنْفَرِدِينَ . فَرَآهُمُ الْجُمُوعُ مُنْطَلِقِينَ وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ فَتَرَاكَضُوا إلَى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُدُنِ مُشَاةً وَسَبَقُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لارَاعِيَ لَهَا فَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا .

(مرقس ٦ : ٣٠ — ٣٤)

عندما رجع التلاميذمن إرساليتهم أخبروا يسوع بكل ما صنعوا، ولكنهم لم يستطيعوا أن يختلوا بأنفسهم ولا بيسوع لأن الجموع كانت متقاطرة عليهم ، فأخذهم يسوع إلى موضع خلاء على الجانب الآخر من البحيرة ليستريحوا قليلا .

وفى هذا الفصل ، نستطيع أن نلمس التوازن الحقيقى للحياة المسيحية ، فالحياة المسيحية الحقيقية هى الدخول إلى المخادع لمقابلة الله ثم الخروج من هناك لمقابلة الناس ، ثم الدخول مرة أخرى والخروج ، إن الحياة الطبيعية دليل واضح على ذلك فهى التوازن بين العمل والنوم ، فلن يستطيع إنسان أن يعمل ما لم يأخذ كفايته من الراحة والنوم . ولن يذوق حلاوة النوم ما لم يعمل حتى التعب ، وهو فى هذا الأمر معرض إلى خطر مزدوج، فقد يعمل الإنسان إلى حد الإرهاق بدون أن يعطى نفسه قسطا من الراحة ، ومن الناحية الأخرى قد يستريح طويلا جداً فلا يتعب نفسه ولا يعمل . وهذا المسيحى : إن راحته فى الله وعمله مع الناس ، فعندما يدخل إلى مخدعه . يسمع صوت إلهه ويسمع الله صوته مجدداً

بذلك قواه الروحية وبذلك يستريح ، لأن لا راحة له بعيداً عن إله الحياة ، ولا قوة ثابتة إلا من رب القوة الذى يمنحها إياه فى ساعة الصمت والسكون . فالتعبد الحقيقى هو الذى تظهر ثماره فى الخدمة الحقيقية ، فالإنسان الذى يريد أن يختلى مع الله لكى يترك إخوته ولا يلبى صوت حاجتهم هو إنسان أنانى لم يعرف الله . . إن توازن الحياة المسيحية هى فى التبادل المستمر بين خدمة الله وخدمة الأخوة . . بين المخدع والسوق .

لكن الراحة التى كان يسوع ينشدها مع تلاميذه لم تتحقق له ، لأنه ذهب إلى الجانب الآخر من البحيرة فى السفينة ، ويلوح أن الهواء كان ساكنا فكانت السفينة بطيئة فلم تستطع أن تقطع الأميال الأربعة التى أمامها قبل أن يصل الناس إلى نفس المكان مع أنهم — أى الناس — ساروا مسافة عشرة أميال . وبهذا وجدوا يسوع قد وصل لتوه فلم يستطع أن يستريح . ولو كان يسوع شخصا نظير كل الناس لتضايق ، لأنهم قطعوا عليه خلوته مع إخوته ، وأنكروا عليه الراحة التى ينشدها ، ولكنه لم يتضايق بل رحب بهم ، ونظر إليهم فى إشفاق ومحبة ، رآهم متعبين مملوءين بالحاجة والشجن ، ففتح قلبه ليعطيهم ما يطلبون منه ولم يجدوه فى شخص سواه ، فقد رآهم كخراف لا راعى لها . .

١ — فالخراف بدون راعيها تضل الطريق وهكذا نحن لو تركنا لأنفسنا لضللنا طريقنا . . إنهم كما يقول لورد كايرنز « أطفال ضلوا فى يوم مطير » أو كما يعبر دانتى على لسان أحدهم « استيقظت فوجدت نفسى فى غابة فسيحة مظلمة لا طريق واضح فيها » نعم فالحياة متشعبة ولا نستطيع أن نطرقها بدون يسوع فإنه يرشدنا .

٢ — ولن تستطيع أن تجد المراعى . ونحن فى حاجة إلى تقييم نفوسنا لكى نستمر فى عملنا ، نريد الإرشاد الذى يخرجنا بعيداً عن نفوسنا وفق أتعابها ، وإذا فتشنا عن هذه الحاجة بعيداً عن يسوع فإننا نبقى فى جوعنا وعطشنا وضعفنا، ففى يسوع وحده نجد الطريق والمرعى .

٣ — الخراف بدون الراعى معرضة للأخطار . لا تستطيع أن تحمى نفسها من اللصوص أو من الوحوش الضارية ، والدرس الأعظم الذى نأخذه من الحياة هو أننا لا نستطيع أن نحيا وحدنا فلا طاقة لنا بمواجهة التجارب ولا العالم الشرير ، أما مع يسوع فنحن نحتفظ بنفوسنا فى حمايته وثيابنا بيضاء فى قداسته.

القليل الذى تكاثر فى يد يسوع

وَبَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ مَضَى . اِصْرِفْهُمْ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الضِّيَاعِ وَالْقُرَى حَوَالَيْنَا وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ خُبْزًا . لِأَنَّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا . فَقَالَ لَهُمْ أَنَمْضِي وَنَبْتَاعُ خُبْزًا بِمِائَتَيْ دِينَارٍ وَنُعْطِيَهُمْ لِيَأْكُلُوا . فَقَالَ لَهُمْ كَمْ رَغِيفًا عِنْدَكُمْ . اذْهَبُوا وَانْظُرُوا . وَلَمَّا عَلِمُوا قَالُوا خَمْسَةٌ وَسَمَكَتَانِ . فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا الْجَمِيعَ يَتَّكِئُونَ رِفَاقًا رِفَاقًا عَلَى الْعُشْبِ الأَخْضَرِ . فَاتَّكَأُوا صُفُوفًا صُفُوفًا مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ

خَمْسِينَ . فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ والسَّمَكَتَيْنِ وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَّرَ الأَرْغِفَةَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إِلَيْهِمْ . وَقَسَّمَ السَّمَكَتَيْنِ لِلْجَمِيعِ . فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا . ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوَّةً وَمِنَ السَّمَكِ . وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الأَرْغِفَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ .

(مرقس ٦ : ٣٥ — ٤٤)

يبدو أن تأثير هذه المعجزة كان كبيراً حتى أنها ذكرت فى الأناجيل الأربعة دون سائر المعجزات الأخرى ، ومن دراسة إنجيل مرقس يتضح أن هذه القصة جاءت على لسان شاهد عيان ، مما يؤيد أن مرقس نقلها رأسا عن لسان بطرس التلميذ . لنتأمل الآن بعض تفاصيلها الحية :

يذكر مرقس أن الآكلين جلسوا على الحشيش الأخضر ، وهذه ذكريات شاهد عيان وذكرى اخضرار الحشيش يوحى بأن المعجزة حدثت فى منتصف أبريل تقريبا ، فهذا الفصل هو موعد الاخضرار،ولا بد أنهاحدثت بعد منتصف النهار بكثير لأن الشمس كانت تغرب فى الساعة السادسة . وجلوسهم فى صفوف خمسين ومائة يذكر القارىء بصفوف الخضروات التى كانت تزرع ، فالكلمة التى يستخدمها هنا « براسيا » هى نفسها التى كانت تستخدم على صفوف الخضروات . . وعندما يذكر الكاتب أنهم أخذوا اثنى عشر قفة

يذكر القارىء بعادة كانت منتشرة عند اليهود، فقد كان على كل يهودى مسافر أن يحمل معه قفته ذات الفوهة الضيقة التى تتسع رويداً رويداً حتى تصل إلى أكبر اتساع لها عند قاعها . وهناك سببان لهذه القفة الأول : لكى يحمل فيها اليهودى خبزه وهو فى غربته ، حتى يتأكد أنه يأكل الخبز الطاهر طقسيا ، والثانى هو لكى يجمع فيها كثير من الشحاذين ما يأخذونه من الإحسان ، ولهذه الأسباب كانت هذه القفه موضع تندر من غير اليهود . فعندما يقول إنهم رفعوا اثنى عشرة قفة كان معنى ذلك أنها القفف التى كان يحملها التلاميذ معهم .

والشيء المهم فى هذه القصة أنها تحمل فى ثناياها مقارنة بين موقف يسوع وموقف التلاميذ يظهر فيما يأتى :

١ — موقفهم من الحاجة البشرية : عندما رأى التلاميذ أن النهار قد مال وأن الجموع كانت جائعة متعبة قالوا للمسيح « إصرف الجمع » بمعنى أنهم متعبون محتاجون دعهم يفتشون لأنفسهم عن طعام ومكان يبيعون فيه، ولكن يسوع قال لهم « أعطوهم أنتم ليأكلوا » كأنه يقول « هم متعبون محتاجون يجب أن نعتنى نحن بهم . هذان موقفان نجدهما كثيرا فى الحياة ، قد يقف إثنان أمام جماعة بائسة محتاجة إلى المعونة : فيقول الأول « لا شأن لى بهم دعهم يخدمون أنفسهم » ويقول الثانى « إنهم يحتاجون إلى دعنى أحاول خدمتهم ».

٢ — موقفهم من الطاقة البشرية : عندما قال لهم يسوع : أعطوهم أنتم ليأكلوا عمل فيلبس حسابه بسرعة وقال إنهم يحتاجون إلى مائتى دينار ، والدينار هو عملة فضية رومانية تساوى ما يقرب من ستة قروش الآن ، وكان الدينار ، يساوى أجر العامل الواحد يومياً . فكأن التلاميذ قالوا للمسيح ليس

لنا أى شيء .. إنهم يحتاجون إلى أجرة عمل لمدة ستة شهور كاملة حتى نعطيهم خبزاً فقط . أصرفهم . لقد أحسوا أنهم غير كفء لهذا العمل . ولكن يسوع يطلب مامعهم فقدموا له خمسة أرغفة ، وكانت الأرغفة صغيرة ، مصنوعة من الشعير الذى يعتبر أقل أنواع الخبز ؛ وقدموا له خمسة سمكات لا تزيد عن حجم السمك الصغير المملح — وقد كانت شواطىء البحيرة مشهورة بسمكها المملح الذى كان يغزو كل أسواق العالم . لكن يسوع أخذها وفى يديه صارت هذه الأشياء الصغيرة التافهة أشياء كبيرة تكفى لآلاف الأشخاص .

نعم وقد نظن أننا لا شىء والمواهب التى لنا لا تنفع شيئاً لأنها قليلة وضعيفة .. ولكن أعط هذا القليل ليسوع ، دعه يتسلمه فى يديه ، ولا تكن متشائماً كما كان التلاميذ ، ولسوف ترى أن القليل فى يد يسوع قد صار كثيراً ونافعاً . إن الإنسان لا يستطيع أن يتخيل كم يعمل الرب بنا وفينا لو سلمنا نفوسنا ومواهبنا فى يد يسوع .

التغلب على العاصفة

وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى الْعَبْرِ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ . وَبَعْدَ مَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ . وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ . وَرَآهُمْ مُعَذَّبِينَ فِي الْجَذْفِ . لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ . وَنَحْوَ الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ

اللَّيْلِ أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً فَصَرَخُوا . لِأَنَّ الْجَمِيعَ رَأَوْهُ واضْطَرَبُوا فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ وقَالَ لَهُمْ ثِقُوا أَنَا هُوَ لاَ تَخَافُوا . فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ إِلَى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ . فَبُهِتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ . لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بِالْأَرْغِفَةِ إِذْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ غَلِيظَةً .

(مرقس ٦ : ٤٥ — ٥٢)

بعد أن أشبع يسوع الجمع الجائع أرسل تلاميذه إلى عبر البحيرة قبل أن يصرفهم ولكن مرقس لم يذكر السبب الذى لأجله فعل يسوع . ولعل يوحنا يعطى جواباً على ذلك عندما يذكر أنه كانت هناك خطة لخطف يسوع وجعله ملكا . ولقد كان يسوع ضد هذه الفكرة ورفضها رفضاً قاطعاً فى تجربته فى البرية ، ولهذا فقد أرسل تلاميذه بعيداً عنه فى هذه الساعة الحرجة حتى يمنعهم من السقوط فى التجربة والاندفاع فى ذلك التيار . ولقد كانت الجليل مهداً لهذه الحركات العنيفة ، وكانت عيون الحكام مفتوحة ، فلو اشتموا رائحة حركة كهذه لانقضوا عليها ، وبهذا تنهار حركة يسوع . ولهذا السبب أرسل يسوع تلاميذه قدامه ، ثم سكن الجماهير وودعهم .

ثم ذهب إلى الجبل ليصلى ، كان محتاجا إلى الآب لأن مشكلات شديدة تواجهه . فهناك مشكلة اليهود المتعصبين الذين كرهوه بسبب وبدون سبب ، وهناك هيرودس الذى بدأ يشك فيه ، وهناك الغيورون السياسيون

المتعصبون الذين يريدونه مسيا سياسياً . إنها مشكلات عويصة ثقلت على كتفيه وقلبه .

ومكث يسوع بضع ساعات مع الآب . ثم قام من الصلاة ليذهب لمعونة أصدقائه . ولكن كيف ؟ قلنا إن ذلك اليوم كان ، غالباً ، فى منتصف أبريل ، أى فى موسم عيد الفصح ، وكان القمر بدراً ينير الكون ، وكانت الليالى تطول إلى ١٢ ساعة ، من الساعة السادسة مساءً إلى السادسة صباحا ، وكانت تقسم إلى أربعة أقسام ، يسمى كل قسم بالهزيع : الأول من ٦ — ٩ مساءً الثانى من ٩ — ١٢ منتصف الليل الثالث من ١٢ — ٣ صباحاً الرابع من ٣ — ٦ صباحاً . فنى الساعة الثالثة صباحاً قام يسوع من الصلاة ، ونظر إلى الجبل ثم إلى البحيرة التى كانت تبعد أربعة أميال ، ورأى تلاميذه فى السفينة معذبين يغالبون العاصفة الشديدة ، فلم يقف ، أنهى صلاته ، إن وقت العمل قد جاء .. أحباؤه فى خطر .. نسى نفسه .. نسى مشاكله وأسرع إلى البحيرة لينقذهم .. هذا هو مجد يسوع ..

ولكن ماذا حدث ؟ كيف هدّأ يسوع الموج ، إنه سر يفوق عقولنا ، إننا نعرف شيئاً واحداً أن العاصفة قد هدأت . . هكذا حينما يكون يسوع بجوارنا فإنه يسكن كل العواصف والأمواج الثائرة .

فى تفسير لهذه القصة يقول أغسطينوس « لقد جاء سائراً على الأمواج ، وهكذا يضع كل أمواج الحياة الثائرة تحت قدميه . . فيا أيها المسيحى لماذا تخاف ؟ » هذه حقيقة واضحة اختبرتها الأجيال الطويلة وعرفها عدد لا حصر له من الناس فعندما يرافقنا المسيح تهدأ العواصف . . يصبح العجيج سلاما . .

والمستحيل ممكناً ، والصعب سهلا ، والموت منهزما . إن السير مع المسيح معناه الإنتصار على العواصف .

الجموع الباحثة

فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَنِّيسَارَتَ وَأَرْسَوْا .

وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ عَرَفُوهُ . فَطَافُوا جَمِيعَ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ وَابْتَدَأُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى عَلَى أَسِرَّةٍ إِلَى حَيْثُ سَمِعُوا أَنَّهُ هُنَاكَ . وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قُرًى أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الْأَسْوَاقِ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ . وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ .

(مرقس ٦ : ٥٣ - ٥٦)

حالما وصل يسوع وتلاميذه الضفة الثانية للبحيرة رأى الجموع تحيط به مرة أخرى. وفي بعض الأحيان كان يسوع ينظر إلى الجموع نظرة تعجب ، ففي كل هذه الجموع لم يجد شخصاً واحداً جاء لكي يعطي.. كلهم جاءوا لكي يأخذوا ، لكي يستفيدوا منه .. وبعبارة أوضح .. لكي يستخدموه ؛ ولكن أما كنا نلمس الفارق الكبير لو كان هناك في وسط هذا الجمع الحاشد بعض الأفراد الذين جاءوا لكي يعطوا ؟ .. نعم إننا نحتاج إلى يسوع .. هناك بعض الأشياء التي لا نستطيع أن نجدها بعيداً عنه ، ولهذا فإننا نأتي إليه لنأخذ ، ولكن أليس من العار أن نأتي لكي نأخذ دون أن نعطي . . ولكنها الطبيعة البشرية .

١ — بعض الناس وخصوصاً الشباب ، يقفون هذا الموقف من بيوتهم . فيظنون أنها مكان للراحة .. للطعام والشراب . يأخذون منها كثيراً .. هذا حق ، ولكن البيوت أيضاً تحتاج إلى الكثير ، ويجب على كل شخص أن يخدم فى البيت .. أية خدمة .

٢ — وبعضهم يقف نفس الموقف من الأصدقاء . فهناك من لا يرسلون خطاباً لأصدقائهم ما لم يكونوا محتاجين لشيء ما . إنهم يظنون أن الناس خلقت فقط لكى تقدم لهم المساعدة عندما يحتاجون إليها ، وبعدئذ لا يفتكرون فى أى شخص سوى أنفسهم .

٣ — وبعضهم يقفه من الكنيسة : فالكنيسة هى المكان الذى يعمد فيه أولاده ويزوجهم ثم يصلى على موتاهم . فلا يرى هناك ما لم تكن له حاجة مثل هذه . وضميره فى ذلك يعترف أن الكنيسة قد أوجدت له . لخدمته .. أما ماذا يجب أن يقدمه هو للكنيسة فهذا شيء لا يفكر فيه .

٤ — بل هناك من يقف الموقف ذاته من الله نفسه .. فلا يذكرونه مالم يكونوا فى حاجة ملحة .. كل صلاتهم طلبات قد تتحول فى مرات كثيرة إلى أوامر ، كما قال أحدهم : إن الله عندهم مثل « صبى الجرس » فى الفنادق الأمريكية .. إنه يظهر فى الحال ليقضى كل طلباتك عندما تدق الجرس .. أليس هذا من العار .

وهنا إذا وقفنا هنيهة لكى نمتحن أنفسنا أفلا نشعر أننا جميعاً مذنبون؟ كم يكون فرح قلب يسوع عندما يجدنا مرة واحدة نأتى إليه مستعدين أن نقدم له محبتنا .. خدمتنا ، إخلاصنا .. بدلا من أن نقدم إليه طلباتنا وأوامرنا ..

ٱلْأَصْحَاحُ السَّابِع

الطاهر والنجس

وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ . وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضًا مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزًا بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ لاَمُوا . لِأَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ لاَ يَأْكُلُونَ مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ . وَمِنَ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لاَ يَأْكُلُونَ . وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا لِلتَّمَسُّكِ بِهَا مِنْ غَسْلِ كُؤُوسٍ وَأَبَارِيقَ وَآنِيَةِ نُحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ .

(مرقس ٧ : ١ — ٤)

هذا الفصل له أهمية قصوى لأنه يبين الخلاف الحقيقى بين يسوع وبين معلمى الناموس . ولقد بدأت المحاجة الفاصلة التى نراها فى هذا الفصل بسؤال هو .. لماذا لا يسلك تلاميذه بحسب تقليد الشيوخ ؟ . ولكى نبدأ هذه المناقشة وجب علينا أن نعرف شيئاً عن هذه التقاليد .

إن كلمة الناموس كانت تعنى أحد أمرين: الأول هو الوصايا العشر والثانى هو الكتب الخمسة الاوائل التى تسمى بكتب موسى . وكانت هذه الكتب الخمسة تحوى مبادىء عامة للسلوك يطبقها كل إنسان على حياته الخاصة كما يستطيع أن يفهمها . نعم يوجد فيها بعض الأحكام والقوانين التى كانت تحكم بعض أوجه الحياة بالتفصيل ، ولكنها — فى غالبيتها كانت مبادىء عامة . واستمر الإسرائيليون مكتفين بهذه المبادىء العامة إلى أن ظهر بينهم طبقة من الناس أسمها الكتبة — حوالى القرن الرابع قبل الميلاد — لم تكتف بهذه المبادىء ، فاخذت على عاتقها عملية شاقة تتضمن تفسير وتقنين هـــذه المبادئ لحولوها إلى بضعة آلاف من الأحكام المتشابكة التى تحكم كل حيـــاة الناس تقريباً ، فلم تعد حياة الناس تخضع لمبادىء يفسرها المرء كيفما أراد بل لقوانين وأحكام محددة مازمة . واستمرت هـــذه القوانين والأحكام فى صيغة شفوية غير مكتوبة إلى وقت طويل بعد الميلاد ، حتى جمعت فى كتاب إسمه المشنا . هذا عن معنى كلمة تقليد . أما كلمة شيوخ فهى لا تعنى هنا كبار رجال المجمع ورؤسائه بل تعنى القدماء أمثال هلليل وشماى الذين درسوا الناموس دراسة عميقة وكان لهم ضلع كبير فى التفقه والتقنين .

وفى هذا الفصل يظهر نوعان من الطقوس اليهودية المشهورة :

الأول وهو غسل اليدين قبل الأكل ، والغسل هنا لا يقصـــد به ناحية صحية بل هى إجراءات طقسية ، ولهذا فقد استخدموا لغسل اليدين كلمة يونانية لها تاريخ طويل هى كلمة « كوينس Koinos » . هذه الكلمة تعنى أصلا عام أو عمومى ثم تغيرت فصارت تعنى « شىء عمومى غير مقدس » أى أنه ليس مفرزاً لخدمة دينية ثم تغيرت هنا وصارت تطلق على « شىء غير طاهر طقسياً » .

فالأكل هنا هو بيد غير طاهرة طقسياً. وكانت هناك طريقة خاصة لغسل اليدين قبل وأثناء تناول الطعام. فالمياه التي تغسل بها الأيدي كانت موضوعة في أواني مخصوصة من الحجر حتى تكون طاهرة طقسياً — الأواني والمياه أيضاً. وكانت طريقة الغسل هكذا: يرفع الشخص يديه إلى أعلى ثم يصب عليها كمية مخصوصة من الميـاه تنزل على الأيدي على الأقل إلى المعصمين، وبعد أن يحك معصميه بكفتى اليدين على التوالى. يجب أن يتأكد أن كل اليد قد إبتلت بالمـاء. ولـكن إلى هذا الحد يكون الماء الذى صب على يديه نجساً، لأنه لامس يدين نجستين، ولهذا فيخفض المغتسل يديه إلى أسفل، ويصب كميـة محدودة من المـاء من على المعصمين، فينزل إلى الأصابع، وبذلك تـكون اليدان قد طهرتا طقسياً.

وكان كل من يرفض أن يقوم بهذا الطقس يعتبر مذنباً في عينى الله، إنه لا يوبخ لإهماله الصحى أو الأدبى بل إهماله الدينى، وكانوا يعتقدون أن كل من يهمل تطهير يديه يتعرض لأن يمتلكه روح نجس إسمه شيبتا، ثم يصاب بالفقر والهلاك، ويضحى الخبز الذى يأكله خبزاً عفناً. وكان هـذا الطقس مهماً فى عيونهم حتى أن أحد معلمى اليهود دفن فى مقابر المراطقة لأنه اعتبره طقسياً غير نافع وأهمله.. بل قيل إن أحد الربيين سجن فى سجن رومانى وكانوا يعطونه كمية محددة من الماء فـكان يفضل أن يستعمل هـذه الـكمية فى تطهير يديه ولا يبقى منها شيئاً ليشربه.. وأخيراً مات عطشاً.

هـذا هو جوهر الديانة فى نظر الفريسيين والـكتبة، إنها لا تزيد عن كونها طقوساً وأحـكاما متعددة.. أما الحياة السامية الأخلاقية.. والخدمة المقدسة فقد دفنت تحت أكوام من الوصايا.

والأعداد الأخيرة فى هذا الفصل تشرح معنى النجاسة الطقسية ، فالأشياء النجسة ليست بالضرورة قذرة ، بل قد تكون فى غاية النظافة ولكنها تعتبر غير طاهرة طقسياً : وفى سفر اللاويين ص ١١ — ١٥ وسفر العدد ١٩ يشرح موسى الأشياء الغير طاهرة : فبعض الحيوانات غير طاهرة (لاويين ١١) والمرأة بعد الولادة تستمر أربعين يوماً غير طاهرة ، والأبرص غير طاهر ، ومن يلمس جسد ميت يصبح نجسا . . ومن يصبح نجسا ينجس كل شيء يلمسه . . الأمى غير طاهر وطعامه نجس وكل ما يلمسه أو يملكه يعتبر نجساً . ولهذا فعندما كان يرجع اليهودى من السوق كان يغطس فى ماء طاهر ليتطهر .

ولهذا كانت الأوانى تتنجس عندما يلمسها شخص نجس أو إن وضع فيها طعام نجس ، وكانت تحتاج إلى التطهير ، وفى المشنا فصول كثيرة تشرح كيفية تطهير الأوانى ، وها كم أمثلة لذلك : الإناء الفخارى الفارغ قد يتنجس من الداخل ولكنه لا يتنجس من الخارج مهما حدث له ، وإذا تنجس يجب أن يكسر إلى قطع صغيرة جداً ويلقى إلى الخارج ، وإن بقى منه جزء يتسع لكمية من الزيت تكفى لدهن طرف إبهام اليد فإنها تعتبر نجسة . أما الطبق المسطح إذا كان بغير حافة فإنه لن يتنجس مهما حدث له ، ولكن إن كان له حافة فقد يتنجس . إذا كانت الأوانى الجلدية أو الزجاجية أو المصنوعة من العظام مسطحة فإنها لا تتنجس مطلقا ، أما إذا كانت مجوفة فإنها قد تتنجس داخلا وخارجا . وإن تنجست يجب أن تكسر إلى قطع قد تحوى رمانة متوسطة الحجم . الأوانى الفخارية النجسة يجب أن تكسر وغيرها قد يطهر بالماء أو الغلى أو النار ، أما الأوانى المعدنية فيجب أن تجلى . المائدة ذات الأرجل الثلاث قد تنجس أما إذا كسر فيها رجل أو إثنين فلا يمكن أن

تتنجس ، أما إذا كسرت الأرجل الثلاث فيمكن أن تتنجس فحينئذ يستخدم مثل لوح الخشب وهذا يمكن أن يتنجس . الأشياء المصنوعة من المعدن يمكن أن تتنجس ما عدا الباب أو الترباس أو القفل أو المفصلات أو مطرقة الباب . الخشب الذى يدخل فى الحديد يمكن أن يتنجس أما الحديد الذى يدخل فى الخشب فلا يتنجس، ولهذا فالمفتاح الحديدى بأسنان خشب قد يتنجس أما المفتاح الخشب بأسنان حديد لا يمكن أن يتنجس .

هذه هى التقاليد التى وقف يسوع ضدها ، فقد قدسها الكتبة والفريسيون، واعتبروها جوهر الديانة ، ومن يقوم بها يرضى الله ، ومن يكسرها فقد ارتكب خطية شنيعة ، ولهذا فقد اعتبروا أن يسوع رجلا شريراً لأنه لم يهتم بهذه الطقوس . ومن هنا يظهر الرأيان السائدان فى معنى الدين : فاليهود يقولون إن الدين هو الطقوس أما يسوع فيقول إن الدين هو محبة الله ومحبة القريب . قد ندرس هذا الأمر فى الفصل المقبل ، ولكن يحسن أن نقول هنا إن يسوع والفريسيين لا يتفقان أبداً فى مفهوم الديانة الحقيقية .

شرائع الله واحكام الناس

ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ بَلْ يَأْكُلُونَ خُبْزًا بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ . هٰذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا . وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ .

لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ . غَسْلَ الْأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ وَأُمُورًا أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هٰذِهِ تَفْعَلُونَ .

(مرقس ٧ : ٥ — ٨)

عندما اتهم الكتبة والفريسيون تلاميذ المسيح بامتهان التقاليد وكسر الأحكام ثم تساءلوا عن سبب ذلك . كان رد يسوع عليهم هو نفس قول إشعياء فى (إش ٢٩ : ١٣) عندما اتهم الشعب بأنه يكرم الرب بشفتيه أما قلبه فمبتعد عنه بعيداً وبهذا القول يوجه يسوع إليهم تهمتين :

١ — إتهمهم بالرياء : والكلمة « هو بوكريتيس » hupokritos المترجمة إلى رياء لها تاريخ طويل .. فهى جاءت من فعل يعنى « يجاوب » ثم تطورت إلى أن تعنى شخص يجاوب « إجابة مكتوبة » أى يمثل أو يقول شيئا ليس له . وأخيراً تطورت فأضحت تعنى شخصا يعيش حياة التمثيل .. ليس القول فقط بل كل الحياة . وهذا الوصف ينطبق على الشخص الذى يعتقد أن الديانة ما هى إلا أحكام وفرائض ، فمتى ظن أنه عندما يحفظ مجموعة من الفرائض ويعمل مجموعة من الطقوس يكون متدينا ومرضيا لله فقد أضحى مرائيا ، لأنه يفعل ذلك ظاهريا فقط ولكن قلبه وحياته فهى بعيدة عن الله — عن الحق والحياة . فالفريسى فى أيام المسيح : قد تجد قلبه مملوءا بالحقد على جاره ، قد تجده مملوءا بالغيرة والمرارة والكبرياء ، ولكن هذا لا يهم عنده ما دام يداوم على تطهير يديه ويحافظ على طقوس الناموس . فالطقوس تهتم بالمظاهر ولا صلة لها بالقلب والحياة . . تخدم الرب ظاهريا وتعصاه داخليا ، فكم من إنسان يصلى فى كل حين ولكن حياته

مملوءة بالدم . . مثل ذلك الإنسان الذى كان يطارد عدوه بسكين حادة ليقتله ، وعند ما حل وقت الصلاة ، وقف وصلى صلاة سريعة ، ثم قام من صلاته وأخذ فى مطاردة عدوه . . وبذلك كانت الصلاة جملة عارضة فى عمل هذا الرجل وهو محاولة القتل . هذا هو الرياء . نعم ولا توجد هناك خطية أبشع ولا أكثر انتشارا من خطية الاعتقاد بأن الديانة هى الأعمال الخارجية ولاشىء غير ذلك . هل تذهب إلى الكنيسة ؟ هل تقرأ الكتاب المقدس ؟ هل تشترك فى كل المشروعات المالية . . هل تهتم بكل لجان الكنيسة ؟ هذا حسن ولكنها ليست المسيحية ، إن المسيحية تتلخص فى الإجابة على هذا السؤال : ماهو موقفك من الله ومن جارك ؟ فإن كان قلبك مملوءاً بالحقد والحسد والغيرة والمرارة والكبرياء ، ثق أن كل فرائض وطقوس العالم لا تنفعك شيئاً سوى أن تدمغك بأنك مرائى :

٢ — أما الاتهام الثانى الذى تضمنه قول المسيح هو أنهم استبدلوا صوت الله بمجموعة من الفرائض والطقوس والأحكام . إن الذى يرشدهم فى حياتهم ليس صوت الله بل هذه المناقشات والمباحثات العقيمة التى تكثر حول استنباط الأحكام والتقاليد . إن المباحثات الاجتهادية ليست هى الأساس للديانة الحقيقة . الديانة ليست وليدة العقل البشرى . . الديانة تأتى لا من سماع صوت العقل المجتهد فى القوانين والأحكام بل من سماع صوت الله الهادىء الخفيف والاصغاء إليه . . هذه هى الديانة .

الفريضة الآثمة

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حَسَنًا رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ. لِأَنَّ مُوسَى قَالَ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ. وَمَنْ يَشْتُمْ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ قُرْبَانٌ أَيْ هَدِيَّةٌ هُوَ الَّذِى تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّى. فَلَا تَدَعُونَهُ فِيمَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئًا لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. مُبْطِلِينَ كَلَامَ اللهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِى سَلَّمْتُمُوهُ وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هٰذِهِ تَفْعَلُونَ.

(مرقس ٧ : ٩ — ١٣)

يعتبر هذا الجزء من الفصول الصعبة فى تفسيرها ، ومصدر هذه الصعوبة يكمن فى معنى الكلمة : قربان ، ويلوح أنها كلمة لها تاريخ يتكون على الأقل من مرحلتين :

١ — فالكلمة تعنى عطية وخاصة تلك التى تقدم إلى الله — أو بمعنى آخر توضع على المذبح . وكل قربان يقدم إلى الله يفرز تماما عن كل شىء ولا يمكن أن يستخدم فى أى غرض آخر غير هذا الغرض المقدس . إنه مال حرم على الاستخدام العالمى وأفرز لكى يكون لله . هذا هو القربان . ولو كان الأمر قد توقف إلى هذا الحد لكان للقربان غرض سام ، لكن الناس استخدموا القربان فى غرض أنانى مكير . فعندنا يعلن إنسان ما أن ما عنده قد أوقف لله وأصبح قربانا فلا يستطيع أى إنسان أن يستخدمه لغرض آخر ، وبذلك تهرب

كثيرون من دفع ديونهم ، فإنهـم يعلنون أن أموالهم قد أضحت قربانا ولا يمكنهم أن يتصرفوا فيها ولو لدفع دين إنسانى ، عليهم دين إلهى وهو ألزم وأقوى ، ولكن المديون يستطيع أن يدفع شيئاً بسيطاً من ماله لله ويتصرف هو فى الباقى . وبذلك استخدم القربان فى ابتزاز أموال الغير وعدم دفع الديون المستحقة . بل لقد أضحى القربان عاملا أساسيا فى كسر وصية الله تجاه الوالدين : فقد يستطيع أن يوقف ماله لله ويطلق عليه لقب « قربان » وعند ما يطلب منه والداه مساعدة يعيشان منها : يعتذر بأنه أوقف ماله لله . . وهكذا كان القربان واسطة لكسر الوصية التى هى بوعد .

٢ — ولكن الكلمة قربان تطورت فأضحت نذرا عاماً لا يمكن الرجوع فيه ، فإن أعلن شخص ما أن شيئا من ممتلكاته قد صار قربانا ، فإنه لا يمكن أن يتصرف فيه بعد ذلك . وإن قال شخص ما إلى آخر إن هذا المال الذى آخذه منك أو أعطيه لك قد صار قربانا فإن أحدهما لا يستطيع أن يتصرف فيه . وإن أعلن ابن ما أن ماله قد أضحى قربانا فلن يستطيع أن يساعد والديه فإنه لن يستطيع الرجوع فى هذا الكلام مهما تاب وتراجع . . لقد انتهى كل شىء ومهما احتاج الوالدان ، إن الأمر أضحى لا فى يد الابن بل فى يد تقاليد الشيوخ القاسية التى لا ترحم .

ولهذا السبب فقد هاجم يسوع هذا التقليد : إن الكتبة والفريسيين وضعوه فى المرتبة الأولى ووضعوا الحاجة البشرية فى المرتبة الثانية ، وهذه هى كارثة الديانة التقليدية . إن تقاليد الآباء أولا ، ولكن يسوع يعلن أن محبة الله ومحبة الإخوة يجب أن تكون قبل كل شىء ، إنها القانون والناموس الإلهى ، فلا يجب أن نفضل عليها التقليد البشرى .

النجاسة الحقيقية

ثمَّ دعا كلَّ الجمعِ وقال لهم اسمعوا منّي كلكم وافهموا . ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجّسه . لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجّس الإنسان . إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع . ولمّا دخل من عند الجمع إلى البيت سأله تلاميذه عن المثل . فقال لهم أفأنتم أيضاً هكذا غير فاهمين . أما تفهمون أنّ كلَّ ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجّسه . لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء وذلك يطهّر كل الأطعمة . ثم قال إنّ الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجّس الإنسان . لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشرّيرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شرّيرة تجديف كبرياء جهل . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجّس الإنسان .

(مرقس ٧ : ١٤ — ٢٣)

لعل هذا الفصل يعد أعظم ثورة قادها شخص فى التاريخ وإن كان لا يظهر لنا كذلك :

فبعد أن أعلن يسوع أن غسل الأيدى لا ينفع شيئاً . . بل إن التمسك بتقاليد الآباء يبطل وصية الله ويهملها . . يتقدم فينطق بما هو أغرب وأعجب. . إنه يقول « إن ما يدخل جوف الإنسان لا ينجس الإنسان ، لأنه يدخل إلى الداخل ثم يتخلص منه الجسم فى طريقه الطبيعية ، ولعلنا نمر على هـذا القول مروراً دون أن نعرف ماذا كان يعنى لليهودى . . فلم يوجد يهودى استطاع أن يصدق أو أن يتصور هذا القول . إنه يقرأ فى لاويين ١١ عن الحيوانات النجسة التى يجب ألا يلمسها أو يأكل منها ولا يستطيع أن يحيد عن هـذه الوصية الصريحة ، ويتمسك بها تمسكا لا نستطيع أن نتخيله إلا بإيراد بعض الأمثلة عليه: ففى الفترة التى تسمى ما بين العهدين «حاول أنطيوخيوس ابيفانس» الملك السورى أن يمحو اليهودية كدين ، وكان من ضمن ما عمله أنه حاول أن يجبر اليهود على أن يأكلوا لحم الخنزير ، ولـكنهم بذلوا أنفسهم بالمئات للموت ولم يخضعوا لهذا الأمر « ولـكن كثيرين من اليهود تمسكوا بوصية الههم ولم يأكلوا نجسا ، إنهم فضلوا أن يموتوا على أن يأكلوا لحما نجسا فينقضوا العهد المقدس ولذلك ماتوا » (١ مكابين ١ : ٦١ و ٦٢) وفى سفر للمكابيين الرابع (ص ٤) نقرأ قصة مروعة عن سيدة عجوز كان لها سبعة أبناء رفضوا جميعاً أن يأكلوا لحم الخنزير . فحاول العتاة أن يجبروهم على ذلك فقطعوا لسان الإبن الأول وأصابعه ولـكنه لم يرضخ لهم فأماتوه، ثم جزوا شعر الإبن الثانى وسلخوا جلد رأسه ولـكنه أبى أيضاً أن يأكل فأماتوه . . وهـكذا حتى قتلوا الأبناء

السبعة تحت عينى أمهم ، ولكنها لم تتحرك ولم ترد أن تأكل فقتلوها آخر الكل . .

هذا هو مقدار تمسك اليهود بناموسهم ، وفى وجه هذا التزمت القاسى وقف يسوع وبكلمة واحدة من فمه حكم على أن هذه التقاليد لا تنفع الإنسان ولو أكل الإنسان لحم الخنزير فإنه لن يتنجس . . ولا عجب أن ذهل التلاميذ وصعقوا .

وعلى هذا الأساس أعلن يسوع أن الأشياء لا يمكن أن تكون نجسة أو طاهرة بالمعنى الطقسى ، ولكن النجاسة الحقيقية والطهارة الحقيقية تكون فى الإنسان ، ونجاسة الإنسان وطهارته لا تأتى لأسباب طقسية كأكل لحوم الخنزير مثلا ، ولكنها تتولد من أعماله . . من قلبه . . من تفكيره .فالإنسان لا الشيء هو المعرض للنجاسة والطهارة . ولقد كان هذا التعليم جديداً ومزعجاً لكل يهودى . .

دعنا الآن نعدد الأشياء التى حسبها المسيح نجسة وتنجس الإنسان

الشيء الأول هو الأفكار الشريرة « ديالوجيز ماى (dialogiso moi)
فكل عمل ردىء يعمله الإنسان لابد وأن يسبقه فكر شرير يتحول إلى دافع شرير .

ثم الزنى « بورناياى Porneiai هذه كلمة متسعة تعنى كل المغامرات الجنسية ثم السرقة : كلوبتاى kloptai هناك كلمة أخرى يونانية تستعمل للسرقة وهى ليستيس وهى رئيس عصابة مثل باراباس (يوحنا ١٨ : ٤٠) وقد يكون

رئيس العصابة رجل فائق الشجاعة مع أنه خارج عن القانون . أما الكلمة هنا فتعنى شخص سارق مخادع لا شرف له كيهوذا (يوحنا ١٢ : ٦) .

ثم الطمع بليونكسياى Pleonexiai وهى كلمة مركبة من مقطعين تعنى « يريد أكثر » وقد وصفت بأنها « لعنة الإمتلاك » أو أنها الروح التى تحب أن تمتلك ما ليس لها . . الشهوة الرديئة لمال الغير ، إنها الشهوة لامتلاك الأشياء لا لحفظها بل لتبديدها فى الملذات الشريرة . ويقول عنها كولى « إنها الرغبة للربح لا لقصد الربح بل لتبذيره فى مظاهر كاذبة مخادعة » فالطمع ليس الرغبة فى امتلاك المال فقط بل امتلاك المال لمحاولة التفوق على الآخرين واستعبادهم . وهى رغبة لا تنتهى كما يقول أفلاطون « إنها كالإناء المثقوب لا يمتلىء أبداً » وهذا حق متى كانت رغبة الإنسان موجهة للأشياء لا لله .

ثم هناك **اعمال شريرة** (وهى المترجمة خبث فى الترجمة العربية) هناك كلمتان فى اليونانية تترجمان « شرير » الأولى وهى كاكوس kakos وهى تعنى الشخص الشرير فى طبيعته . أما الثانية فهى بونيروس Poneros وهى تعنى الشخص الشرير شراً إيجابياً بمعنى أنه يؤذى غيره ، ويقول عنه بنغال « إنه الشخص المتدرب فى عمل ما هو ضار فيعرف كيف يؤذى الناس » ويصفه جيرمى تايلور « إنه الخبيث ، هو الشخص الماهر الذى يفرح فى المصائب ويسر عندما يؤذى جيرانه إنها الدهاء والأذية » فهو الشخص الشرير الذى يحاول أن يحول الآخرين إلى أشرار ، ولهذا فقد أطلق هذا اللقب على الشيطان نفسه .

ثم **مكر** إن هذه الكلمة تشتق من كلمة تعنى أوقع فى الفخ ،أى أن الإنسان يسلك بمكر حتى يصطاد شخصاً أو شيئاً آخر ، كما فعل اليونانيون قديماً عندما

عجزوا عن قهر طرواده أرسلوا لها هدية عبارة عن حصان أبيض ضخم جداً علامة على حسن النية ، وفتح أهل طروادة الأبواب وأخذوا الحصان ، وفى أثناء الليل نجح جماعة من جنود اليونان كانوا مختبئين داخل الحصان فى كسر جوانبه وبدأ فى القتل والنهب فى مدينة الطرواديين . هذا هو المكر .

ثم **عهارة** أسبليجيا وهى تعنى حالة النفس عندما ترفض كل نظام ولا تخضع لأية قواعد اجتماعية أو أخلاقية . فإن الإنسان الذى يتصف بهذه الصفة هو شخص قد فقد كل الإحساس بالخجل ولا يتردد فى عمل أى شر دون أن يشعر بأى وازع اجتماعى مثله فى ذلك مثل ايزابل التى بنت مذبحا ضخماً للأصنام فى أورشليم دون ما خجل . . إن الشرير قد يخفى خطيته أما العاهر فيخطىء علنا.

ثم العين **الشريرة** أى أنها العين التى تنظر إلى نجاح وسعادة الآخرين وتود أن تحولها إلى فشل وسقوط .

ثم **تجديف** إذا استخدمت هذه الكلمة ضد إنسان فهى تعنى إفتراء أما إذا استخدمت ضد الله فهى تعنى تجديف . . إنها السب ضد الله أو إنسان .

ثم **الكبرياء** : هو يبرافانيا huperephania وهى تعنى حرفياً إظهار علو الإنسان فهى تصف الإنسان الذى يحتقر كل شخص ما عدا نفسه . أما الشىء المهم فى هذه الكلمة فهو أن الكبرياء قد لا تكون ظاهرة بمعنى أن الإنسان يحتقر الآخرين فى قلبه ظاناً أنه أعظم منهم بينما هو يسلك بتواضع أمام عيونهم، وتقول الأسطورة اليونانية أن العمالقة من أبناء تارتاروس وجى أرادوا أن يثيروا الأعاصير فاسقطتهم العاصفة هيرقوليس . إن الكبرياء تعنى التدخل فى

شئون الله ومحاولته الوقوف ضده ولهذا قيل « يقاوم الله المستكبرين (يعقوب ٤ : ٦) إنها رأس كل الرذائل .

وأخيراً **الجهل** : أفروزونى aphrosune » إنها لا تعنى الجهل عقليا بل الجهل الخلقى . إنها تصف الرجل الذى يتصرف بحماقة .

إنها قائمة مرعبة حقاً هذه التى يذكرها يسوع ، وأنها هى التى تنجس الإنسان حقا ، ولكن يسوع يذكرها هنا لنا لا ليديننا بل لكى يدعنا نفحص أنفسنا فحصاً دقيقاً ، لعل أحد منا مصاب بأحد هذه الأمراض الروحية فيذهب إلى الطبيب الروحى لكى يشفيه .

الاعلان أن العالم للمسيح

ثُمَّ قَامَ منْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ . وَدَخَلَ بَيْتاً وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ . فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْتَفِيَ . لِأَنَّ امْرَأَةً كَانَ بابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ فَأَتَتْ وخَرَّتْ عندَ قَدمَيْهِ. وَكَانَتِ الإمرْأه أُمَمِيَّةً وَفِي جِنْسهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّة . فسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ من ابْنَتِهَا . وَأَمَّا يسُوعُ فقَالَ لهَا دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلا يَشْبَعُونَ . لِأَنه لَيْسَ حَسَنا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ . فأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ يَا سيِّدْ . والْكِلاَبُ أَيْضا تَحْتَ الْمَائِدَةِ تأْكُلُ منْ فُتَاتِ الْبَنِينَ . فقَالَ لَهَا : لِأَجْلِ هٰذِهِ

الْـكلِـمَةِ اذْهَـبِي قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنِ ابْنَتِكِ . فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَـا وَوَجَـدَتِ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ والإِبْنَـةَ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاش .

(مرقس ٧ : ٢٤ — ٣٠)

هذه الحادثة تعتبر من أكثر حوادث حياة المسيح إثارة لما يكتنفها من ظروف وللمكان الذى حدثت فيه .

مكان الحادثة : صور وصيدا مدينتان فينيقيتان فى سوريا ، ويحد فينيقية من الجنوب جبل الكرمل ومن الشرق الجليل ومن الغرب البحر . وكانت صور تبتعد ٤٠ ميلا جنوب غرب كفر ناحوم ومعنى اسمها الصخرة وذلك لأنها تقع عند صخرتين عظيمتين على شاطىء البحر يبلغ ارتفاع الصخرة حوالى ٣٠٠٠ قدم ، وهاتان الصخرتان خلقتا من صور ميناء شهيرمن قديم الأزمنة، وكذلك مدينة حصينة ليس من السهل الاستيلاء عليها . ولقد كان سكانها من البحارين المهرة الذين كانوا أول من عرف مواقع النجوم فاستخدموها فى معرفة الطريق فى وسط البحر ولذلك تمكنوا من الإبحار نهاراً وليلا فى وسط البحور ، فوصلوا فى سفنهم إلى شواطىء انجلترا ثم ساروا حول شواطى افريقيا .

أما صيدون فكانت تبعد ٢٦ ميلا شمال صور و ٦٠ ميلاً شمال غرب كفرناحوم : وكانت لصور ميناء مهم على البحر الابيض المتوسط . ومع أن المدينتين كانتا فى سوريا ألا أنهما كانتا مستقلتين لكل منهما ملكها وعملتها وآلهتها . . وكانتا متنافستين فى كل شىء وعلى العموم فقد زاعت شهرتهما

قديماً .. ولكن بمرور الأيام بدأ نجم صيدون يأفل للانحلال الخلق الذى ملأها وبدأت صور تتفوق عليها . . ولكن استمرت شهرة بحارة المدينتين واسعة وسمعتهما لا يدانيهما سمعة كثير من بحارة العالم .

١ — إن أمجد وأروع ما يقابلنا هنا أن يسوع ذهب إلى الأمم ، وهذه الحادثة لم تأت عفوا بل لابد أن يسوع قد قصدها ؛ فإذ نراه فى الفصل السابق يعلن أنه لايوجد شئ إسمه نجس وطاهر طقسيا ، هكذا يعلن فى هذه الحادثة أنه لايوجد شعب نجس أو طاهر طقسياً وكل إنسان وكل شعب له مكان فى ملكوت الله ، وبذلك صفع التقاليد اليهودية صفعة مميتة : هذه التقاليد التى حرمت على اليهودى أكل كثير من الأطعمة والاتصال بكافة الأمم . لأنهم نجسون . ولا بد أن يسوع خرج إلى الأمم ليستريح بعض الوقت من عداوة اليهود : فالكتبة والفريسيون اتهموه بأنه خاطىء ، وهيرودس بدأ يشك فيه ، وأهل الناصرة حاولوا أن يقتلوه ؛ ولم يشأ أن يواجه المصير المحتوم لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد فذهب إلى الأمم . وبذلك تم ما هو معلوم فى مشيئته هو أن رفض اليهود هو قبول الأمم .

٢ — ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك : فهذه المنطقة — منطقة صور وصيدا — تنتمى فرضا إلى أرض إسرائيل ولقد حاول سبط أشير أن يخضعها ولكنه فشل فى ذلك (يشوع ١٩ : ٢٨ — ٢٩) فبقيت بعد ذلك كأنها لهم وهى غير خاضعة لحكمهم . ولكن لنتأمل هنا ، أن ما عجزت عنه الأذرع القوية والأسلحة الفتاكة عملته المحبة ، فهذه البلاد التى لم يستطع أن يخضعها إسرائيل الأرضى : فتحها إسرائيل الروحى فى شخص يسوع فهى إذن ليست منطقة غريبة . . إنها من ضمن ممتلكات شعب الله فامتلكها يسوع الممثل الحقيقى لهذا الشعب . . لقد امتلكها بالمحبة .

٣ — أما القصة نفسها فتحتاج الى بصيرة نفاذة لفهمها : فعند ماجاءت المرأة الفينيقية تطلب من يسوع أن يشفى ابنتها أجابها يسوع « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » . يبدو هذا القول للوهلة الأولى قاسياً . . فالكلاب لم تكن محبوبة ، كما نحبها نحن الآن . . لم تكن الحارس الأمين ، بل كانت مخلوقات بائسة تدل على الإهانة . وكان اليونانيون يعتبرون المرأة الفاسدة التى تتصرف بدون خجل أنها « كلبة » وبهذا المعنى استخدمها اليهود أيضاً إذ قيل « لا تعطوا القدس للكلاب » (متى ٧ : ٦ فيلبى ٣:٢،رؤ ٢٢: ١٥) ولهذا فقد أطلقوها على الأمم . ويقولون إن الربای يشوع ابن لاوى عندما رأى النعم والبركات عند الأمم قال « إذ كان الأمم يتمتعون بهذه النعم : فكم يكون نصيب شعب الله ؟ إن هذا يشبه ملكا دعا جماعة إلى وليمة عظيمة ، ولما جاؤا دخلوا ووقفوا على باب بيت الوليمة فرأوا كلابا كثيرة تخرج من الداخل وأفواهها مملوءة برؤوس الطير ولحم المعجول وغير ذلك فقال بعضهم لبعض : إذا كانت الكلاب قد استولت على كل هذا النصيب فكم تكون أنصبة المدعوين أنفسهم ؟ هكذا الأمم الكلاب قد أخذوا شيئاً كثيراً ولا بد أن شعب الله سيأخذ أكثر بمالا يقاس » (إش ٥٦ : ١١) ومهما حاولنا أن نخفف من وقع الكلمة فلا ننسى أن الكلاب كانت تستخدم فى السب ، فكيف نفسر كلام يسوع للمرأة ؟

(١) إن يسوع لم يستخدم الكلمة المعتادة التى تطلق على الكلاب المتوحشة المنطلقة فى الشوارع بل استخدم الكلمة التى تعنى الكلاب الصغيرة الموجودة فى البيوت التى تتخذ كلعبة محبوبة . . وبهذا خفف وقع الكلمة كثيراً .

(ب) ونفس نبرة صوته : لقد كانت الطريقة التي تكلم بها مهذبة مرحة غير جارحة . ونبرة الصوت قد تزيل سموم الكلمة إن قيلت هكذا ، ولكنك لو وصفت إنسانا بأنه « شجاع » ولكن نطقتها بلهجة الاحتقار لأضحت هذه الكلمة سباً مفزعاً .

(حـ) وفي كل حوادث حياته لم يغلق يسوع الأبواب نهائياً : فقد قال أولا : إن البنين يجب أن يطعموا أولا ولابد أن الطعام الباقي يعطى للكلاب المحبوبة . وبهذا يعلن أن اسرائيل له الأولوية في تقديم الإنجيل له ، ولكنه ليس الوحيد في ذلك ، فالإنجيل للجميع يهـــودا وأمما . ولقد كانت للمرأة يونانية لهـا قوة الإدراك ورأت ابتسامة على وجه يسوع . . وعرفت أنه لم يغلق البـــاب في وجهها ، بل بالعكس — إنه يفتحه رويداً رويداً ، فقالت نعم أنا أعلم أن الأطفال يأكلون أولا ، أفلا تعطيني من الفتات الساقط ؟ وقد كان الفتات يتساقط لأن الناس تعودوا أن يأكلوا بأيديهم لا بالشوك والسكاكين . ونظر إليها يسوع وعطف عليها ، لقد كان إيمانها منيراً لم يستطع مرض إبنتها والبيت ، وامتحان إيمانها على يدى يسوع أن يطفئا الابتسامة التي على وجهها ، والنور الذى في قلبها فنالت ما أرادت ، ألا يشبه عملها هـذا بالأمم الذين قبلوا من يدى المسيح الخبز الحي النازل من السماء الذى رفضه اليهود في قساوتهم ؟ لقد كانت قصة حقيقية ولكنها في الوقت نفسه ترمز إلى موقف عالم الأمم الذى قبل الإنجيل .

يعمل كل شيء حسناً

ثُمَّ خَرَجَ أَيْضًا مِنْ تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ

الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمُدنِ الْعَشْرِ . وجاءوا إِلَيْهِ بِأَصَمَّ أَعْقَدَ وَطَلبوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ . فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ ووضَع أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وتَفَلَ ولمَسَ لِسانَهُ . ورَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وأَنَّ وقَالَ لهُ إِفَّثَا أَي انفَتِحْ . وللْوقْتِ انفَتَحَت أُذنَاهُ وانحَلَّ رِبَاطُ لِسانِهِ وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيما . فأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَقُولوا لِأَحَدٍ . وَلٰكِنْ عَلَى قَدْرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيرًا وَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ إِنَّهُ عَمِلَ كلَّ شَيْءٍ حَسَنًا . جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ والْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ .

(مرقس ٧ : ٣١ — ٣٧)

تعتبر هذه الرحلة — لدى القراءة الأولى — رحلة غريبة ، فقد أراد يسوع أن يذهب إلى الجليل فبدلا من أن يسير من صور إلى الجنوب سار إلى الشمال إلى صيدون ، ولقد اندهش كثير من علماء الكتاب لذلك فظنوا أن هناك خطأ فى العدد ، وصيدون يجب أن تخرج من هذا العدد ، ولكننا نؤمن أن العدد صحيح ، ونعتقد أن الرحلة ، كما ذكر أحد العلماء ، كانت طويلة جداً بحيث استغرقت ثمانية شهور كاملة . ولقد كانت رحلة السكون الذى يسبق العاصفة ، وفيها اختلى يسوع بتلاميذه ولابد أنه كشف ذاته لهم فى تعاليمه وحياته ، ولا عجب أن اعترف بطرس اعترافه العظيم حالا بعد هذا الأصحاح .

(مرقس ٨ : ٢٧ — ٢٩) . أن يسوع يبقى مع الناس مدة طويلة يعلمهم ويفتح عيونهم .

وعندما وصل يسوع إلى ديكابوليس أو المدن العشر احضروا له إنسانا أصم أخرس ، والخرس هنا يعنى النطق بصعوبة ، ولابد أن الإثنين يسيران معاً ، فعدم السمع يجعل الكلام صعباً غير مفهوم . وفى هذه المعجزة نرى حلاوة يسوع وهو يعامل المرضى الذين يأتون إليه :

١ — لقد أخذه بعيداً عن الجماهير وهو بذلك يظهر إحساسه وعطفه على جل أصم . إن المرض عموما ، والصم خاصة ، يضطربون كثيراً فى كثير من المواقف . ولعل الأصم أكثر حساسية من الأعمى لأنه عندما يرى انساناً يتكلم إليه ويحس أنه لا يسمعه يزداد اضطرابا ، ولهذا فقد أخذه يسوع على جانب لكى لا يجرح إحساساته .

٢ — وتصرف يسوع معه كما يتصرف مع شخص أصم . فلقد وضع يديه فى أذنيه ، وكان الناس يعتقدون آنئذ أن البصق يشفى من بعض الأمراض ، ويذكر أحد مؤرخى الرومان : أن رجلين أحدهما أعمى والآخر أعرج جاءا إلى القيصر فسبسيان طالبين منه أن يبصق فى عينى الأعمى وعلى رجل الأعرج ، لأنهما رأيا فى الحلم أنه لو فعل ذلك فسيشفيان . وفعل الإمبراطور بعد تردد وشفى الإثنان (سوينوبناس : حياة فسبسيان ٧) .

ثم نظر يسوع إلى السماء ليعلن للناس أنها قوة الله التى تشفى . إن القصة كلها تظهر بوضوح أن يسوع لم يعتبر المرض حالة أمامه بل إنساناً ، وهـــذا

الإنسان له احتياج خاص ومشكلة بعينها . . وفى شعور فياض ومحبة غامرة تصرف معه بحيث لم يجرح شعوره ولا إحساساته .

وعندما انتهى من شفاء هذا الرجل اعترف الناس أنه فعل كل شىء حسناً وهذه هى نفس الكلمة التى قيلت عن الله أثناء الخليقة (تك ١ : ٣١) وهذا حق فعندما جاء يسوع وهو يحمل الشفاء لأجساد الناس والخلاص لأزواجهم . لقد كان يخلق من جديد . فى البدء كان كل شىء حسنا ، لكن الخطية شوهت الإنسان ، وهنا يجىء يسوع ليرجع الجمال الذى وضعه الله فى العالم بعد أن أفسدته الخطية .

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ

حنان وتحدٍ

فِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ كَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا جِدًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ دَعَا يَسُوعُ تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ . وَإِنْ صَرَفْتُهُمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ صَائِمِينَ يُخَوِّرُونَ فِي الطَّرِيقِ . لأَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ . فَأَجَابَهُ تَلاَمِيذُهُ . مِنْ أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُشْبِعَ هٰؤُلاَءِ خُبْزًا هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ . فَسَأَلَهُمْ كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ . فَقَالُوا سَبْعَةٌ . فَأَمَرَ الْجَمْعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ . وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا فَقَدَّمُوا إِلَى الْجَمْعِ . وَكَانَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ . فَبَارَكَ وَقَالَ أَنْ يُقَدِّمُوا هٰذِهِ أَيْضًا . فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا ثُمَّ رَفَعُوا فَضَلاَتِ الْكِسَرِ سَبْعَةَ سِلاَلٍ . وَكَانَ الآكِلُونَ نَحْوَ

أَرْبَعَةِ آلاَفٍ ثُمَّ صَرَفَهُمْ . وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ السَّفِينَةَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَاءَ إِلَى نَوَاحِي دَلْمَانُوثَةَ .

(مرقس ٨ : ١ — ١٠)

هناك أمران مهمان يتصلان بهذه الحادثة :

١ — الأول هو تحنن يسوع على الجموع . . إن الشيء المذهل فى يسوع هو اهتمامه الكبير بالناس ، وهذا الاهتمام لا ينسى أقل الاحتياجات ، لقد مكثت الجموع أياما ثلاثة معه ، وتذكر أنهم سيرجعون إلى بيوتهم وأنهم سيسيرون طويلا ولابد أنهم سيجوعون وهذا أمر مذهل فى يسوع ، إن الناس يظنون أن من يهتم بالروح لا وقت لديه للاهتمام بالجسد ، إن من يعلم الناس الحق ومحبة الله والقريب لايهتم بما سيحدث لهم فى رجوعهم ، ولكن يسوع لم يفعل ذلك إن جسد الناس مهم مثل أرواحهم ، وإشباعهم بالخبز لا يقل أهمية عن إشباعهم بالكلمة المقدسة . إنه ليس كالبشر الذين لا يهتمون بالمساعدة مثل ذلك الصديق الذى قابلته فى أحد المؤتمرات ، وكان يقص على مسامعى أخطار الطريق التى سنذهب فيها وذكر أنه قابل وهو آت إلى هنا عربة مغروزة فى الأرض . فلما سألته عما فعله وهل ساعد السائق ؟ أجاب « أنا ؟ أنا لا أساعد هؤلاء . . إننى مشغول» هذه هى الطبيعة البشرية إنها تتجنب متاعب مساعدة الناس لكن الطبيعة الإلهية دائمة المساعدة .

٢ — هناك التحدى : عندما طلب يسوع من تلاميذه أن يعينوا الجموع ويعطوهم ليأكلوا . حالا ذكروه أنهم فى صحراء ولا يوجد هناك مكان قريب

لشراء طعام لهم ، وعندئذ سألهم يسوع « ماذا عندكم حتى يمكنكم أن تساعدوا به ؟ » وبهذا تحول حنان يسوع على الجموع إلى تحد لتلاميذه الذين أرادوا أن يلقوا بالمسئولية عن أكتافهم . كأنما يقول لهم لا تقل فى نفسك أنك تستطيع أن تساعد لو عندك ما تساعد به ، فلابد أن لديك شيئاً . . قدمه لمعونة الغير وانظر ماذا سيحدث لك . من أمتع الأعياد اليهودية عيد الفوريم الذى بدأ فى سفر أستير ، فى هذا العيد يحاول الناس أن يساعدوا بعضهم البعض ، حتى الشخص الفقير فإنه يتقاسم ماعنده مع شخص أفقر منه « هكذا يسوع إنه لا ينتظر حتى تتحسن الأحوال فيقدم المساعدة . . إنه يقدمها ويطلب منا أن نقدمها الآن ولكل الناس .

هناك شيئاً مهما وراء هذه القصة .

الأول : هو أن هذه الحادثة حدثت فى محيط المدن العشر ، فما الذى دفع هذا الجمع الغفير أن يلتف حول يسوع ؟ أربعة آلاف شخص ؟ لماذا ؟ قد تظن أن شفاء هذا الرجل الأصم الأخرس قد دفع الجموع أن يأتوا إلى يسوع ، وهذا حق، ولكن أحد المفسرين ذكر شيئاً جميلا فقال إن يسوع فى ص ٥ : ١ — ٢٠ شفى الرجل المجنون الذى كان به اللجئون ، وحاول الرجل أن يتبعه ولكنه أمره أن يذهب إلى عشيرته لينادى كم صنع به الرب ورحمه ، ويلوح أن مناداة الرجل قد أتت ثمارها ، فبينما طلب الناس من يسوع من قبل أن يترك تخومهم إذ بهم الآن يتجمعون من حوله ويزحمونه طالبين أن يسمعوا منه ، ولا بد أن كثيرين وجدوا نفوسهم عندما جاءوا إلى يسوع بمناداة هذا الرجل . . هل عرفنا الآن كم تعمل شهادة هادفة تخرج من فم رجل قد اختبر فعل يسوع ؟ يقول يوحنا بنيان إنه تجدد بعد أن سمع أربعة سيدات يذكرن كيف افتقدهن الرب وأعطاهن الميلاد الجديد . هذا هو ثمر المناداة الحقيقية .

أما الأمر الثانى هو أن الـكلمة التى ترجمت سلة هنا تختلف عن الـكلمة التى ترجمت قفة فى ٦:٤٤ . الـكلمة فى الإصحاح السابق تعنى القفة التى كان يستخدمها اليهود فى حمل طعامهم وهى ضيقة من أعلى متسعة من أسفل ، أما السلة هنا فهى التى كان يستخدمها الأمم وهى مثل « السبت » وهى نفس السلة التى أنزل فيها بولس ليهرب من دمشق (أعمال ٩ : ٢٥) كما قلنا إن هـذه الحادثة حدثت فى المدن العشرة وغالبية سكانها من الأمم : أفلا يرمز هذا إلى أن المسيح أشبع فى هذه المعجزة الأمم كما أشبع بالمعجزة الأولى اليهود ؟ وإذا وضعنا القصتين جنبا إلى جنب أفلا نستطيع أن نميز محبة الله واهتمام الله بالجميع : يهوداً وأمما . . فى كل شىء روحاً وجسداً ؟ أفلا تشير هذه الحادثة إلى أن الله فتح الباب أمام الأمم كما فتحه أمام اليهود من قبل ؟ إنه يمد يديه فيشبع الجميع غير ناظر إلى أجناسهم .. إنه يحبهم جميعا .. فى اليهودية .. أو فى المدن العشر .

العميان الذين يطلبون آية

فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ . فَتَنَهَّدَ بِرُوحِهِ وقَالَ لِمَاذَا يَطْلُبُ هٰذَا الْجِيلُ آيَةً . الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَنْ يُعْطَى هٰذَا الْجِيلُ آيَةً .

ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَدَخَلَ أَيْضًا السَّفِينَةَ وَمَضَى إِلَى الْعَبْرِ .

(مرقس ٨ : ١١ — ١٣)

كان طابع العصر الذى عاش فيه المسيح أيمانه بالأعمال الخارقة للطبيعة ومحاولة رؤية الله فى الأشياء الغير عادية ، وكانوا يظنون أن المسيا عندما يأتى سيقوم بحوادث إعجازية — سنرى بعضها فيما بعد .

ولقد نجح المسحاء الكذبة فى اجتذاب الناس إليهم إذ وعدوهم بأنهم سيعملون معجزات هائلة ، فبعضهم وعد الناس بأنه سيشق مياه الاردن ، وآخر وعدهم بأنه سيسقط أسوار المدينة بكلمة واحدة . ولقد طلب الفريسيون معجزة كهذه من يسوع . . معجـــزة تشق الأفق وتبهر الناس شرقاً وغرباً — مثل هذه المعجزات لا يقر بها يسوع .. إن طالبى هذه المعجزات هم جماعة من العميان الذين لا يستطيعون رؤية يد الله فيما حولهم .. فالمفتوح العينين يستطيع أن يراها فى نبات الحقل وفى خميرة الخبز وفى الزرع التى تكسو جوانب التل . . إن الله لا يغزو العالم من الخارج إنه فى داخـله . . إنه صانعه وهو يعمل فيه كل شىء .. إن المؤمن لا يرى الله فى الكنيسة فقط بل يراه فى كل مكان . . إنه لا يجده فى الأمكنة المقدسة فقط بل فى كل مكان . . وهذا ما عبر عنه الشعراء .

تقول اليزابيث بارت :

« السماء والأرض معا هما عليقة فيها النار الإلهية المقدسة » .

« والمفتوح العينين وحده هو الذى يرى .. أما غيره فجالس فى الظلام » .

ت ى ادوارد يقول :

« الحديقة هى مكان لله ينمو فيها الزهور . إنها مكان الراحة والسلام » .

« يسألون عن آية وكل يوم تشرق الشمس .. وتبزغ النجوم فى الليل » .

« وكل صباح يسقى الندى الزهور . . والقمح ينضج فى وقت الحصاد . . هذه هى الآية » .

فكل من له عينان ينظر بهما وكل من له قلب فهيم يرى الآية فى إشراق الصباح ومجىء الليل .. إن الحوادث اليومية التى نراها أمامنا هى العلامة الحقيقية لوجود الله وجوده .

الفشل فى التعلم من الاختبار

وَنَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزًا وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ إِلاَّ رَغِيفٌ وَاحِدٌ . وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَخَمِيرِ هِيرُودُسَ . فَفَكَّرُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَيْسَ عِنْدَنَا خُبْزٌ . فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ خُبْزٌ . أَلاَ تَشْعُرُونَ بَعْدُ وَلاَ تَفْهَمُونَ . أَحَتَّى الآنَ قُلُوبُكُمْ غَلِيظَةٌ . أَلَكُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُونَ وَلَكُمْ آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَذْكُرُونَ . حِينَ كَسَّرْتُ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ لِلْخَمْسَةِ الآلاَفِ كَمْ قُفَّةً مَمْلُوَّةً كِسَرًا رَفَعْتُمْ . قَالُوا لَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ . وَحِينَ السَّبْعَةِ لِلأَرْبَعَةِ الآلاَفِ كَمْ سَلَّ كِسَرٍ مَمْلُوًّا رَفَعْتُمْ قَالُوا سَبْعَةً . فَقَالَ لَهُمْ كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ .

(مرقس ٨ : ١٤ — ٢١)

هذا الفصل يلقى أضواء كاشفة على تفكير التلاميذ وفى طريقهم قال لهم يسوع « تحرزوا من خمير هيرودس والفريسيين . ولقد اندهش التلاميذ من كلام المسيح إذ ظنوه أنه يتكلم عن الخبز وتذكروا أنهم لم يحملوا معهم خبزا مع أن يسوع لم يقصد ذلك . إن كلمة خميرة عند اليهود كانت تدل على الشر فهى جزء من الدقيق المختمر الذى يستطيع أن يحول الدقيق كله إلى خمير . وهى تمثل العدوى المنتقلة ، وهى تعنى عند اليهود ما نقصده نحن عندما نقول لاهوتيا «الخطية الأصلية» أو « الطبيعة الشريرة » . كما يصلى الربای الكساندر « إن إرادتك المعلنة هى أن نعمل إرادتك . ولكن الذى يمنع هو الخميرة التى فى الدقيق والعبودية التى فى ممالك العالم لعلك تخلصنا من كل هذا » فكأن يسوع يقول لهم : تحرزوا من تأثير الفريسيين وتأثير هيرودس ، إنه تأثير شرير . فما هو قصده فى ذلك ؟

رأينا فيما سبق أن الفريسيين كانوا يطلبون آية : أى عملا جباراً ، وكانوا فى قوميتهم المتعصبة التى تسكر الجميع ينتظرون المسيا الذى يشهر سلاحه . وهكذا كان يفعل هيرودس : إنه أراد أن يبنى حكمه على القوة والسلاح . فكأنما ملكوت الله فى عرف الاثنين هو ملكوت القوة والجبروت . ويلوح أن يسوع كان يؤهل التلاميذ للاعلان العظيم الذى كان سيعلنه .

إنه هو مسيح الرب . . أو المسيا . فعندما يعرفون ذلك ينبغى عليهم ألا يفكروا كما يفكر الفريسيون وهيرودس .

ولكن هذه الحقيقة لم يستطع التلاميذ أن يفهموها ، لم يكن تفكيرهم واهتمامهم ينحصر فى تلك الأمور السامية بل فى الخبز . . إنهم لم يحضروا معهم

خبزاً . . وهل يمكن أن يبقوا هكذا جائعين ؟ ولكن يسوع سألهم سؤال الأب الذى يرى طفله جاهلا لشىء ما : سألهم عما أخذوه من الخبز عندما أشبع الجمع الكثير بالأرغفة القليلة كأنه يقول لماذا تقلقون لأجل هذه الأمور التافهة ؟

إن الامر المؤلم هو أننا لا نعرف إلا نصف الحقيقة من اختبارنا ، فننظر إلى الحياة حولنا ونجد فيها ما فيها وإذ بنا نمتلئ من التشاؤم . ولكن هناك اختبارات أخرى نواجهها فكم من مرة جزنا فى الأحزان ولكن تعزينا ، وصادمتنا التجارب ولم نسقط ، ودهمنا المرض ولكن شفينا ، وقابلتنا المشاكل ولكنها حلت ، ووصلنا إلى نقطة الفشل ولكننا انتصرنا ، وكدنا أن نتحطم ولكن أنقذنا . فلو تعلمنا الدرس حقيقة لعرفنا أنه لا مكان هناك للتشاؤم إن الله هو الذى يقودنا فى كل الطريق إلى المكان الأمين . . إن دروس الماضى تظهر لنا الله القوى الأمين الصالح .

رجل أعمى يتعلم كيف يرى

وَجاءَ إلَى بَيْتِ صَيْدَا . فَقَدَّمُوا إلَيْهِ أعْمَى وطَلَبُوا إلَيْهِ أنْ يَلْمِسَهُ . فأخَذَ بِيَدِ الأعْمَى وأخْرَجَهُ إلى خَارِجِ الْقَرْيَةِ وتَفَلَ فِى عَيْنَيْهِ ووضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وسَألَهُ هَلْ أبْصَرَ شَيْئًا فَتَطَلَّعَ وَقَالَ أبْصِرُ النَّاسَ كَأشْجَارٍ يَمْشُونَ . ثمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أيْضًا عَلَى عَيْنَيْهِ وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعَ فَعَادَ صَحِيحًا وَأبْصَرَ كلَّ إنسَانٍ جَلِيًّا .

فَأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ قَائِلاً لاَ تَدْخُلِ الْقَرْيَةَ وَلاَ تَقُلْ لِأَحَدٍ فِي الْقَرْيَةِ .

(مرقس ٨ : ٢٢ — ٢٦)

كان العمى ولا يزال لعنــة الشرق الـكبرى . نظراً للأمراض المنتشرة ولضوء الشمس الساطع ، ولما كان الناس يجهلون قواعد الصحة والطب فقد كانت لعنته أشد وأفتك أيام المسيح ، وما أكثر ما ترى الشخص وقد تـكاثر الذباب على عينيه المريضتين فينقل بذلك العدوى إلى الـكثيرين . وهذه القصة لم ترد إلا فى مرقس ولـكننا نجد فيها أشياء فى غاية الأهمية :

١ — نلاحظ هنا أيضاً تقدير يسوع للمواقف ، لقد أخذ هذا الأعمى بعيداً عن الناس خارج قريته ، لماذا ؟ لأن هذا الرجل قد ولد أعمى لم يألف وجوه الناس ولا الألوان ولا أى شىء يرى ، وكم تـكون شدة إنفعاله حينما يجد نفسه فجأة يرى أشياء لا يعرفها ؟ إنها خبرة قاسية ، فالأفضل له أن يعطى بصره بعيداً عن الناس حتى تـكون إنفعالاته أقل شدة . وهكذا يفعل كل طبيب عظيم وكل معلم عظيم .. إن الطبيب العظيم يقدر موقف المريض الذى يعالجه .. يدخل إلى عقله وينظر بعينيه ويتقمص شخصيته فيقدر مواقفه .. وكذلك المعلم العظيم : إنه يدخل عقل تلميذه ، يقدر ظروفه ومشاكله ، وبذلك يستطيع أن يقدم له المعونة المناسبة فى الوقت المناسب .. هذا هو سر عظمة يسوع . ليت الله يعطينا نعمة تقدير المواقف والظروف هذه .

٢ — لقد استخدم يسوع طريقة يستطيع أن يفهمها هذا المريض . فاستخدم

البصق الذى كان يعتقد الناس أنه عامل كبير على الشفاء ، إن هذا ليس بغريب علينا فإننا كثيراً ما نضع إصبعنا المجروح أو المحروق فى فمنا ، لقد كان يسوع حكيما فى ذلك إذ يحاول أن يدخل عقول ما يريده بالطريقة التى يفهمونها ، لقد كانت العظمة قديماً فى أن يتكلم الإنسان أو يعمل شيئاً لا يفهمه الناس ولكن يسوع كان أعظم من العظمة إذ تصرف بطريقة بسيطة يفهمها الرجل البسيط .

٣ — تنفرد هذه المعجزة عن بقية معجزات المسيح بالتدرج ، فكل معجزاته حدثت فجأة وعلى دفعة واحدة ، أما هذه فقد حدثت تدريجياً . وفى هذا الأمر رمز إلى معرفة حق الله .. إننا لا نستطيع أن نعرف حق الله دفعة واحدة عندما تنفتح أعيننا الروحية بل نعرفه بالتدريج .

وهذا خطأ الكثيرين من الخدام فى حقل الله إذ يعتقدون أن الإنسان متى نال نعمة المسيح أو متى صار عضواً فى الكنيسة فقد عرف كل الحق ، هناك فرق بين اكتشاف غنى المسيح وبين التمتع بذلك الغنى . إننا لو مكثنا مئات وألوف وملايين السنين فإننا لا نستطيع أن نفهم ونختبر إلى التمام محبة المسيح وجماله . ويعبر ف . و . مايرز على لسان بولس قائلا :

لا يفتكرن إنسان أنه فجأة فى لحظة ينتهى كل العمل .

فمع أنك تبدأه فى فجر حياتك لكنك لن تنهيه فى آخر أيامك .

إن التجديد الفجائى ممكن ، ولكن فى كل يوم يجب أن يتجدد الإنسان . ففى مجد الله ونعمته ينمو المؤمن يوماً بعد يوم .

الاكتشاف العظيم

ثمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وتلاَمِيذُهُ إلى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ . وفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلامِيذَهُ قائلاً لهُمْ مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إنِّي أنَا . فأجَابُوا يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ وآخَرُونَ إيلِيَّا وآخَرُونَ واحِدٌ منَ الأنْبِيَاءِ . فَقَالَ لهُمْ وأَنْتُمْ مَنْ تَقُولونَ إِنِّي أنَا : فأجَابَ بُطْرُسُ وقَالَ لَهُ أنْتَ الْمَسِيحُ . فانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولوا لِأحَدٍ عَنْهُ .

(مرقس ٨ : ٢٧ — ٣٠)

كانت قيصرية فيلبس خارجا عن الجليل في مقاطعة فيلبس ، وكانت مدينة لها تاريخ طويل : فاسمها الأول كان بعولة لأنها كانت مركزاً لعبادة البعل ، وإلى الآن يطلق عليها إسم بانياس لأنها شهدت مولد الإله الإغريقى . . إله الطبيعة بان . ومن بطن كهف على جانب التل الذى تقع عليه ينساب مجرى يقال عنه إنه منبع نهر الأردن ، وهناك أيضا يظهر هيكل عظيم أبيض بناه فيلبس على اسم قيصر إمبراطور روما وإله ذلك العالم فى هذا المكان بعينه عرف بطرس أن هذا النجار الجليلى هو مسيح الله الآتى إلى العالم . نعم فى هذا المكان الذى تربع فيه البعل أجيالا طويلا معبوداً من الجميع فى هذا المكان الذى يتلألأ فيه معبد القيصر فعبده الناس كإله . فى هذا المكان الذى يحكى قصة المدينة اليونانية والقوة الرومانية . . وفيه يحكى الأردن تاريخ إسرائيل الطويل .. فى هذا المكان اكتشف بطرس أن معلمه هو ابن الله القدوس

وهذا كله يظهر مدى سيطرة شخصية يسوع إذ فاقت كل تلك التيارات التى تحيط بهم ولم تظهر فى نو ه سوى ظلام وظلال .

جاءت هذه الحادثة فى منتصف إنجيل مرقس حيث تظهر أزمة حياة المسيح على الأقل أمام عينيه هو ، فهو يرى الصليب يمتد أمامه ، والساعة قد قربت . . ولكن قد نجح فى عمله ؟ هل لقيت رسالته قبولا بعد كل ذلك التعب ؟ إن نجاح رسالته هو أن يرى الناس الله فيه فيعرفونه من هو ؟ إنه يتوقف على كتابة رسالته على قلوب حية فينطبع فيها الهدف الذى ينظر إليه ؛ ولهذا فنى هذه الساعة الفاصلة وضع يسوع كل عمله ورسالته تحت الإمتحان فى سؤال سأله للتلاميذ : من يقول الناس إنى أنا ؟ وهنا أجاب التلاميذ بترديد الإشاعات التى يذكرها الناس عنه . . إيليا أو يوحنا أو أحد الأنبياء أو النبى. وبعد فترة صمت رهيبة يوجه يسوع السؤال إلى تلاميذه : وأنتم من تقولون ؟ وفجأة تنبلج الحقيقة فى عقل بطرس ويعرف ماذا كان يعتمل فى داخله ، وماذا كان يحس به ولا يستطيع أن يعبر عنه . . فجأة يعرف أن هذا الرجل ما هو إلا مسيا . . المسيح . . مختار الله وابنه . . وفى هــذا الجواب رأى يسوع أن رسالته قد نجحت .

وهنا نقف أمام نقطة غريبة مرت فى حيـاة التلاميذ من قبل ولم نجد عنها جوابا وهى أمر يسوع إلى التلاميذ ألا يخبروا أحداً .. لماذا هل هناك من داع ؟ لو لم نجد عنها جوابا لأضحى الإنجيل غامضا غير معقول . ولكن الجواب يتوقف على مفهوم يسوع للمسيا ، وإن أردنا أن نعرف عمق هذا المفهوم فما علينا إلا أن ندرس مفهوم المسيا فى الأوساط اليهودية المختلفة وبذلك نعرف السبب الذى لأجله يأمر السيد تلاميذه بإخفاء حقيقته :

التفكير اليهودى عن المسيا

لم يكف اليهود يوما من الأيام عن الاعتقاد فى أنهم شعب الله المختار ، وأنهم كشعب لهم مكانتهم المختارة بين الأمم ، ومجدهم الذى يفوق كل مجد ، ولقد ظنوا أولا أنهم يستطيعون أن ينالوا ذلك المركز السامى بالوسائل المادية ، فقد كان لهم ملك عظيم رفعهم فى مجد : هذا الملك هو داود ، وقد انتظروا أن الله يرسل لهم ابنا لداود يقودهم من نصرة إلى نصرة سياسيا وعسكريا وروحيا (اشعياء ٩ : ٧ و ١١ : ١ ، إرميا ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٥ ، ٣٠ : ٩) . ولكن الأيام تمر وقدرتهم العسكرية تضعف وتنكسر تحت أقدام القوى العالمية الجبارة : أشور تسبى الأسباط العشرة وتحطم قوميتهم ، وبابل تسبى يهوذا وتحطم قدرتها .. بعدذلك يتبادل الفرس واليونان والرومان السيادة عليهم ، وظل اليهود قرونا طويلة لا يعرفون طعم الملك ولا حتى الاستقلال أو الحرية الكاملة ، فبدأوا ينظرون إلى أعلى ، إلى تدخل الله بطريقة معجزية لكى يرفع الشعب .. نعم إنهم لم ينسوا أن داود ملكهم سيملك عليهم ولكن بطريقة فائقة فوق الطبيعة . ولقد ظهر هذا الرأى بالأخص فى الفترة التى تسمى : « ما بين العهدين » حيث ظهرت مجموعة من الكتابات تدعى « الكتابات الرؤية » . والرؤية تعنى « كشف المستقبل » وفى هذه الكتب أعلن مفكرو اليهود كثيراً من الآراء عن المسيا ، وقد تأثر العصر الذى عاش فيه يسوع بها ، ولهذا فعلينا أن ندرس هذه الآراء والأحلام ونضع فى مقابلها رأى يسوع فى عمل المسيا .

فى هذه الكتب تظهر هذه الأفكار الرؤية التى نرتبها هنا حسب الترتيب الذى عمله شـــورر مؤلف الكتاب المشهور « تاريخ الشعب اليهودى فى أيام المسيح »

١ — قبل ظهور المسيا ستأتى على العالم ضيقة عظيمة مثلها مثل المخاض الذى لا تنجو منه أى امرأة قبل ولادة الطفل . هذا هو مخاض ولادة عصر جديد ، فى هذه الضيقة سيرى العالم آلام وتحطيم لم ير مثله من قبل . « ستتحول الكرامة إلى عار والقــوة إلى ضعف والمنظر يقبح والجمال يذبل ، وتتملك الأنانية على كل فرد ، ويغطى الألم من كانوا يعيشون فى ســلام ، ويغضب الكثيرون فيؤذون الآخرين ، ويقودون الجيوش لإراقة الدماء ، ثم يفنى الجميع معاً » [٢ باروخ ٢٧] . « سيصبح هناك زلازل ، وحروب ، وكرب أمم ، وبلبلة فى القادة ، واضطراب فى الرؤساء » [٤ عزرا ٩ : ٣] .

« وينطلق سيف نار من السماء إلى الأرض وتسقط الصواعق الجوية على الناس ، وتهتز الأرض أم كل الكون تحت يدى الأزلى . ويصعق سمك البحر وحيوانات البر وطيور السماء وأرواح الناس من رؤيته . وتنهدم قمم الجبال والتلال وتصبح الهاوية منظورة للجميع ، وستمتلىء الكهوف بالموتى وتسبح الصخور فى الدماء التى تملأ الوادى ، وسيدين الله بالحرب والسيف والصواعق الجوية والأحجار والأمطار والموت سيقتلع كل حيوانات البر ، وسترتوى الأرض من دماء القتــلى وتشبع حيــوانات البر منهم » « . The Scbylline oracle : 3 :363] وتعدد المشنا علامات مجيء المسيا فى القول « يزداد التسلط ويكثر الطمع ، حتى أن الكرمة تعطى ثمرها ولكن لا يكون خمر ، وتضل الحكومات ولا يكون هناك تعليم ، ويصبح المجمع بيتا للدعارة ، يبيد الجليل ، ويذهب السكان من مكان إلى مكان فلا يجدون مأوى لهم . . تحتقر حكمة الحكماء ، ويزدرى صلاح الصالحين ، ويختفى الحق ، يسب الغلمان

الشيوخ ، ويحتقر الابن أباه والإبنة تثور ضد أمها والـكنة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيتـه »

هكذا يصبح العالم قبل مجيء المسيا فى تفـكك وهلاك وثورات .

٢ — فى وسط هذا الخراب الشامل يظهر إيليا النبي ليعد الطريق للمسيا فيرد قلب الآباء على الأبناء ويضمد كل جرح ويزيل كل خصام ويرد كل مسلوب إلى أصحابه وبذلك يأتى وقت مجيء المسيا

٣ — وأخيراً يظهر المسيا : إن كلة المسيا هى نفسها المسيح : الأولى عبرية والثانية يونانية وكلاهما تعنى مسيح الله الذى يملـكه الله ملـكا . إن كلة مسيح هى لقب وليست اسم عـلم . وقد بقى الناس يعتقدون أنه يأتى من نسل داود ولـكن الأغلبية كانت تتمسك بالقول إنه رجل جبار سيأتى من السماء ليخلص شعب الله .

٤ — تتحد كلة الأمم ضد المسيا « يقوم الملوك ضد هذه الأرض لهلاك أنفسهم ، يحاولون إبادة مقدس العلى ورؤسائه ، ويحاصر الملوك الملعونون وجيوشهم المكان المقدس، ولـكن الله سيتكلم مع هؤلاء الضالين الجهلاء بصوت راعد وسيدينهم ويهلك بيـد قوية [Scbylline Oracle 3 : 363-372] . « وعنـدما تسمع الأمم صوت المسيا يتركون بلادهم وحروبهم ويجتمعون ليحاربوه » . . [٤ عزرا ١٣ : ٣٣ ـ ٣٥]

٥ — والنتيجة خراب شامل لهؤلاء الأعداء ويقول فيلو « إن المسيا سيسود المعركة ويحطم كل الأمم » ويقول كاتب أخنوخ « يوبخ الناس على فسادهم

وعدم صلاحهم ، يوبخهم فى وجوههم على خيانتهم ، وبعد ذلك يبيدهم ... ولن ينجو أحد فى تلك الأيام ، ولا يستطيع واحد أن يهرب ، ولن يكون لهم سيف فى الحرب ، ولا درع ولا حديد ولا نحاس ولا صفيح ولا رصاص فكلها تبيد من وجه الأرض [أخنوخ ٥٢ : ٧ - ٩]

سيكون المسيا أعظم فاتح مخرب فى التاريخ إذ يبيد أعداءه جميعاً

٦ — يتبع ذلك تجديد أورشليم.. إما بالتطهير أو بنزول أورشليم الجديدة من السماء ، أى أن المنازل القديمة ستطوى وتوضع فى الجديدة « وتجدد الأعمدة وتصبح أكبر من الأولى » [أخنوخ ٩٠ : ٢٨ و ٢٩]

٧ – ويجتمع كل اليهود المشتتين إلى أورشليم الجديدة . ولا زال اليهود يصلون إلى هذا اليوم « إرفع يدك واجمع شعبك المشتت من أقاصى الأرض » ومزامير سليمان تقول « اضرب بوقك فى صهيون لتجمع قديسيك ، وسمع أورشليم مناداة المبشر ، إن الرب رحم أورشليم ارتفعى يا أورشليم وانظرى إلى أبنائك من الغرب والشرق يجتمعون اليك . من الشمال والجنوب يأتون إلى الرب بفرح . من الجزر البعيدة يأتون والجبال تصير سهولا فى طريقهم وتكثر الممرات فى التلال والأشجار تظللهم ، وتعطيهم رائحتها الطيبة . حتى يمر اسرائيل فيها . البسى عزك يا أورشليم لأنك رحمت . ليتم الرب وعده لإسرائيل ويمجد أورشليم . رحمة الله على اسرائيل » [مزمور سليمان ١١] إنه عالم جديد لاسرائيل .

٨ - تكون فلسطين مركزاً للعالم وتخضع الشعوب لها . أحيانا يكون

خضوع سلام » وتقول الجزر والمدن كم أحب الله هذا الشعب لأن كل شيء يعمل لخيرهم ، هيا بنا نذهب لنخضع لذلك الملك القوى الاله الأبدى .. لنذهب فى موكب إلى هيكله » [Scdy. Orac. 3:690 FF]

ولكن كثيرون يعتقدون أن الأمم ستبيد وبذلك تفرح اسرائيل .

« يظهر ليعاقب الأمم ويبيد أصنامهم . وستسعدين يا اسرائيل وترتفعين فوق أجنحة النسور . بمعنى أن نسر روما سيزول وتزول الأمم والرب يبقى . ستنظرين من على وترين أعداءك فى الجحيم وستعرفينهم وتفرحين » [ادعاءات موسى ١٠ : ٨ - ١٠] إنها صورة قاتمة .. الأمم تبيد واسرائيل تفرح . حتى موتاهم سيقومون ليشاركوا فى العالم الجديد .

٩ - أخيراً تأتى الأبدية وهى السلام والصلاح الأبديان .

هذا هو تفكير معاصرى المسيح عن المسيا . . إنه تفكير قاس متعصب . هدام منتقم . نعم إنه ينتهى بملك الله ولكن ملكه يبنى على دماء الناس . والآن ضع تفكير يسوع فى مقابل هذا التفكير ؟ فلا عجب إذن إن كان عليه أن يعلم تلاميذه من جديد معنى المسيا . ولا عجب إن صلبوه أخيرا بتهمة الهرطقة . . لا مكان للصليب عند اليهود .. والمحبة المضحية لا يعرفونها .

المجرب يتكلم بلسان صديق

وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِى أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ .

وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ : وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً . فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْـهِ وابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ . فالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ فانْتَهَرَ بُطْرُسَ قائِلاً اذْهَبْ عَنِّى يا شَيْطَانُ . لِأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لِلّٰهِ لٰكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ .

(مرقس ٨ : ٣١ — ٣٣)

إذا ذكرنا ما قيل سابقا نستطيع أن نفهم هذه الحادثة .. لقد فهم التلاميذ منذ طفولتهم معنى المسيا .. إنه الفاتح العظيم الذى لا يقهر .. فكيف يواجههم يسوع بهذا المعنى الغامض الغير معقول؟ هل يتألم المسيا ؟ لاعجب إن انفجر بطرس معترضاً ... !

ولكن لماذا وبخ السيد بطرس بشدة ؟ لأن المسيح كان فى تلك الفرصة يحارب الشيطان لاوجها لوجه كما حدثت فى تجربة البرية بل فى شخصية صديق.. لقد جاءه المجرب مرة أخرى يغريه أمام الموت أن يتخذ طريقه لا طريق الله طريق التضحية والموت ..

إنه لمن الغرابة والفظاعة بمكان أن يتقمص المجرب شخصية صديق محبوب قد نسلك طريقاً مستقيماً صالحا ولكنه صعب وقاسى يتطلب التضحية ، فنجد فى لحظة العزم صديقاً مخلصاً يتدخل ، وبنية مخلصه يحاول جهده أن يثنينا عن هذا الطريق الصالح . أعرف شخصا سلك هذا الطريق فأتاه صديقه قائلا «أذكر أنك زوج وأب مسئول .. فلن تستطيع أن تفعل ذلك» قد يحبنا الأصدقاء ويحاولون أن يمنعونا عن ارتكاب الصعاب .

فى رواية « جارت ولينيت » يذكر تينسون قصة الابن الأصغر للوط وبليسنت ، حينما أراد أن يختار الطريق الصعب ، جاءته أمه قائلة :

« ألا ترحم وحدتى .. إن أباك عجوز ينام كقطعة من الخشب لا يتحرك.. إن أخويك فى بلاط الملك أرثر . فامكث معنا لأنك مازلت ولداً . وإذا مكثت فسأسعدك وأزوجك أميره » وكلما حاول الابن أن يعدد لها الأسباب التى لأجلها عزم أن يكون فارساً فى بلاط أرثر ردت عليه أمه بكل قوة . . ولكنه قال لها :

أماه .. كيف تبقيننى ملتصقا بك .. إنه عار . لقد أصبحت رجلا وسأعمل عمل الرجال .. سأتبع الشيء الرفيع .. سأتبع المسيح الملك ..

سأتكلم الصدق وأعيش الطهر .. سأصلح المعوج .. سأتبع الملك . وإلا لما ولدت ؟ لقد عزم جاريت ورأى الرؤيا المجيدة :

إن أقسى هجوم للمجرب هو عندما يأتى على لسان صديق يريد خيرنا .. وهذا ما حدث ليسوع فى ذلك اليوم .. ولهذا إنتهر بطرس بشدة . لنحذر من الصوت الحنون الصدوق إذا أراد أن ينسينا صوت الله .

طريق التلمذة

وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وقَالَ لَهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وِرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي . فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا . وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي ومِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا .

(مرقس ٨ : ٣٤ و ٣٥)

هذه الأعداد القليلة الباقية فى هذا الإصحاح هى قلب الحياة المسيحية .. ولو وضع الإنسان فى قلبه عدداً من هذه الأعداد بحيث تمتلك عليه حياته لكان كافيا له فى الطريق .. ولهذا فسوف ندرسها عدداً عدداً .

شيئان واضحان للوهلة الأولى فى هذا الفصل :

١ — أمانة يسوع المطلقة : فعندما دعا تلاميذه ليتبعوه لم يغرهم بشىء عالى .. لقد أنار لهم الطريق الذى ينتظرهم . . لم يفرشه بالورود . . لم يعدهم بالسلام ولا بالمجد . بل طلب منهم أن يستعدوا لحمل الصليب وانكار النفس .. وعدهم بالألم ونظرة الإزدراء التى تلقى عليهم — وهذه هى أمانة القادة العظام . عندما تسلم ونستون تشرشل قيادة الأمة أثناء الحرب العالمية الثانية ، لم يكن لديه ما يعد به الأمة سوى العرق والدم والدموع . وبعد أن سقطت روما فى يد اعدائها سنة ١٨٤٩ قال غاريبالدى الجندى الايطالى الشهير لجنوده « أيها الجنود لقد فشلت كل جهودنا وليس لدى ما أهبه لكم سوى الجوع والعطش والصعاب والموت . ولكنى مع ذلك أدعو كل من يحب أمته أن يتبعنى » وهكذا كان موقف يسوع : لم يحاول أن يستجدى تلمذة الناس له بالمواعيد التى لا تصدق .. بل حاول أن يثير فيهم الرجولة والقوة والجهاد .. إنه وعدهم بالعمل والجهاد فى طريق صعب ولكنه سام . إنه جاء لا لكى يجعل الحياة سهلة بل ليخلق رجالا عظماء .

٢ — إن يسوع لم يطلب من الناس أن يعملوا ما لم يعمله هو بنفسه ، وهذه أيضاً إحدى خصال القائد الحكيم القدير . قيل عن اسكندر الأكبر إنه استطاع أن يقطع حوالى ثلاثة الآف وثلاثمائة غلوة فى أحدى عشر يوماً ، عندما كان

يطارد داريوس الفارسى ، وهذا مالم يفعله قائد مثله فى التاريخ . ولـكنه مع رجاله كانوا فى حالة من العطش القاتل ، ويقول بلوتارك « إنه الاسكندر وجنوده رأوا قافلة من المـكدونيين تحمل قربا مملوءة بالمياه ، فسألهم لمن يحملونها ، فأجابوا إنهم يحملونها لأطفالهم وعائلاتهم ، ولـكنهم أضافوا وأننا لانهتم بمن لنا قدر اهتمامنا بك وبحياتك ، وملأ أحدهم آنية من الماء ليعطيها له ، ولـكنه عندما حمل الآنية ونظر حوله ورأى الجنود يتطلعون إلى نقطة مياه ، قال لهم « لا » خذوا هذه المياه ، فلماذا أحيا أنا وهم يموتون ، ورفض أن يشرب وهو فى شدة اللهفة على الماء ، وحالما سمع جنوده ذلك قفزوا على جيادهم وصرخوا هيا بنا .. سنغلب العطش والتعب أيضاً » . نعم ما أسهل أن يتبع الجنود قائداً لا يفعل ما يطلب من جنوده ألا يفعلوه . وفى إحدى المناقشات : قال القائد الرومانى المشهور كوينتس فابيوس كونا كتيتور لأحد القواد « تقول إن هذه العملية الصعبة لاتتكلف إلا حياة قليل من الناس : فهل أنت مستعد لأن تـكون أحد هؤلاء القلائل » وهكذا يسوع إنه لم يجلس هناك فى مكانه الأمين يتلاعب بحياة الناس ولـكنه طلب منهم ما جاء ليواجهه هو بنفسه .. إنه طلب منهم أن يحملوا الصليب ، لأنه هو حمل الصليب .

٣ — وطلب يسوع ممن يريد أن يتبعوه أن ينكروا أنفسهم. وقد نفهم معنى هذه الجملة إذ وضعناها حرفياً « قل لا لنفسك » قل لا لنفسك و « نعم » للمسيح يجب أن يقول « لا » للرغبة الطبيعية فى الراحة والاسترخاء ، ولمحبة النفس ، وللرغبات النفسية التى تدفعه أن يحس ويمس ويذوق ماليس له ؛ ثم يقول « نعم » لصوت يسوع المسيح وأمره . يجب أن يقول مع بولس : فأحيا لا أنا

المسيح يحيا فى لا يعيش لذاته ولا ليتبع رغباته ولـكن ليتبع يسوع . وفى ذلك الاتباع سيجد الحرية الـكاملة .

من يضيع حياته يجدها

لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ .

(مرقس ٨ : ٣٦)

الوزنات ، والحياة كلها هى إحدى الأشياء التى يمكن حفظها وتوسيع مداها باستخدامها ، ولـكن إن تركت بغير عمل صدئت وانتهت . والتاريخ مملوء بالرجال الذين بذلوا حياتهم فنالوا الحياة الأبدية ، ومن أمثلة ذلك الراهب الشرقى الفقير تلماخوس . فقد أحس ذلك الرب أنه يشتاق أن يعتزل العالم ، ينبغى أن يذهب إلا الصحراء ليجد الله فى الصلاة والصوم والعبادة المستمرة ، وذهب إلى الصحراء واستمرت عبادته . ولـكن يوماً ما بينما كان ينتهى من صلاته المعتادة أحس بشعور مفاجىء غريب .. شعر أنه مخطىء .. إن محبته لله هى محبة أنانية .. إنه لم يتجرد من أنانيته . وعرف أنه إن أراد أن يخدم الله فليخدم إخوته ؛ فـكم من المدن المملوءة بالناس ، وكم من الناس الخطاة المحتاجين إلى المسيح .. هؤلاء كلهم يحتاجون إلى معونته وإلى عمله . وهنا اقتنع وودع صحراءه وذهب إلى أعظم مدينة فى ذلك العصر .. إلى روما بعد مسيرة طويلة . وتصادف أن كان ذلك اليوم يوم دخول القائد العظيم استيلخو آيتا من هزيمة المغول ، وكان لابد أن يسير الموكب .. موكب الفاتحين وذهب الموكب يتقدمه استلخو

وبجانبه الإمبراطور إلى ساحة الألعاب ، وتبع تلماخوس هذا الموكب حتى يرى ماذا يحدث في روما المسيحية. وجلست حوالى ثمانين ألفا من الناس يلاحظون السباق ولما أنتهى بدأ الشيء المثير الذى ورثته روما المسيحية من روما الوثنية .. بدأت لعبة الدم . ولكن بدلا من أن يلقى بالمسيحيين للوحوش ، كان الأسرى الأشداء يحاربون بعضهم البعض وبدأ اللعب الخطير المتوحش ، ورأى الراهب النفوس التى مات المسيح من أجلها تقتتل ، ورأى أتباع المسيح يهتزون طربا لمرأى الدم ، واهتزت نفسه حزنا ، ولم ينتظر بل قفز من على السور إلى ساحة الألعاب ووقف بين المتصاعين تزجر الجمهور ، فدفعوه بعيداً ، ولكنه دخل مرة أخرى بينهم ، فطلب الجمهور من المتصارعين أن يقتلوه ، وخضع القائد وأمر أحدهم ، فرفع سيفه وهوى به على رأس تلماخوس فسقط ميتاً .. وعندئذ ساد صمت رهيب على الجموع .. وانبلج تفكير جماعى رهيب .. كيف يقتل هذا الرجل المقدس بهذه الكيفية ، وحدث توبيخ نفسى قاتل وانتهى اللعب فجأه .. وانتهى إلى الأبد . ويختم جبون قصته بقوله « إن موت تلماخوس كان أقوى من حياته » لقد اضاع نفسه عن اخوته فوجدها لحياة أبدية .

لقد أعطانا الله حياتنا لننفقها لا لنحتفظها ، فلو فكرنا قبل كل شىء فى ملذاتنا ، فى راحتنا ، فى ضمان حياتنا .. لو حاولنا أن نخلى حياتنا من الأتعاب على قدر المستطاع ،لو أوقفنا مجهودنا على أنفسنا فقط .. لو فعلنا ذلك إننا نفقد أنفسنا بهذا العمل ، ولكن لو أوقفنا حياتنا وانفقناها على خدمة الآخرين لو نسينا الصحة والراحة فى سبيل خدمة يسوع وشعب يسوع إننا بذلك نربح أنفسنا . ماذا كان يحدث للعالم لو أحجم العلماء والأطباء المخترعون عن المخاطرة ؟ ماذا كان يحدث للحياة لو رفض كل الناس أن يعيشوا للاخرين بل لأنفسهم ؟ فإذا

يحدث لو رفضت السيدات أن ينجبن أطفالا ؟ ماذا يحدث لو أنفق كل واحد ماله على نفسه ؟ إن جوهر الحياة هو انفاقها إنه من الأفضل جداً للانسان أن يحترق لا أن يصدأ ، فهذه هى طريق الله .

القيمة العظمى فى الحياة

أَوْ مَاذَا يُعْطِى الْإِنسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ .

(مرقس ٨ : ٣٧)

قد يعتقد إنسان ما أنه قد نجح نجاحاً كبيراً فى الحياة ولكنه يكتشف أخيراً أن حياته كانت تافهة .. إن حياتنا وقيمتها تتوقف على تقديرنا للقيم المختلفة ، وبقدر ما يختلف تقديرنا للقيم بقدر ما تختلف حياتنا .

١ — فبعضهم يضحى بشرفه لأجل المال ، فى سبيل المال يضحى بنفسه ، كما يذكر جورج مكدونالد عن أحد التجار الذى كان يستخدم إبهام يده فى سرقة جزء من القماش إذ يقول عنه « إنه يأخذ من نفسه ليضع فى كيس نقوده » إن السؤال الحقيقى الذى يجب أن نواجهه إن آجلا أم عاجلا هو : ما هو تقدير الله لحياتنا ؟ إن الله هو الذى يجب أن نواجه موقفنا قدامه .

٢ — قد يضحى رجل بالمبدأ فى سبيل كسب شعبية : قد يحاول إنسان ما أن يتجنب الكثير من المتاعب بأن يكون مرنا فى كل موقف ، وقد يجد الإنسان نفسه فى مأزق عندما يثبت على مبدأه : كما يصف شكسبير الكاردنيال وولسى الذى خدم هنرى الثامن عندما قال على لسانه « لو خدمت إلهى بنصف

الغيرة والحماس التى خدمت بها ملكى لما تركنى هكذا فى شيخوختى عاريا فى يد أعدائى » .

إن السؤال الأخير الذى يجب أن يواجهه كل إنسان ليس « ماذا يظن الناس فى ذلك » بل « ماذا يظن الله فى ذلك .. » ليست الشعبية بل حق الله وحده هو الحكم الأصح لحياتنا .

٣ — قد يضحى إنسان بالأبدى فى سبيل الزائل : يريد إنسان أن ينجح ، ولكنه يتبع طريق النجاح الرخيص .. قد ينكب الكاتب على كتابة التوافه ويترك الجلل من الأعمال ، قد يؤلف الموسيقى الرخيص من الموسيقى ويترك السيمفونيات ، قد يختار إنسان عملا سهلا ويترك الخدمة المضحية ، قد تسير المرأة فى سبيل الحرية الكاذبة وتترك السبيل الصعب فى تربية أولادها .. قد يصرف الإنسان حياته فى الأشياء الصغيرة ويترك الأمور العظيمة كل ذلك لأجل الشهرة والمال .. ولكن ذلك سوف يزول وينمحى .

٤ — ونلخص كل ما سبق فى القول : قد يضحى إنسان بالحياة الأبدية فى سبيل الحياة الفانية . إننا نجنب أنفسنا الطريق الأعوج لو عرفنا أننا لله . هناك أشياء مفرحة ولكنها وقتية .. إن الأبدية هى المحك الذى يجب أن نختبر به كل الأشياء والأعمال

إن الرجل الذى ينظر إلى الأشياء كما ينظر إليها الله لا يمكن أن يعمل أعمالا يفقد فيها نفسه وحياته .

عندما يأتى الملك إلى خاصته

لِأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلَامِي فِي هٰذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقِدِّيسِينَ .

وَقَالَ لَهُمُ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هٰهُنَا قَوماً لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ .

(مرقس ٨ : ٣٨ ـ ٩ : ١)

أول ما يقابلنا فى هذا الفصل هو ثقة يسوع المطلقة بالإنتصار . . فمع أنه كان يتكلم عن الموت . . ومع أنه كان يضع الصليب أمام عينيه ، لأنه هنا يتكلم بلغة الانتصار . . يتكلم كمن انتصر فعلا على كل قوات الجحيم .

وفى الجزء الأول من هذا الفصل يظهر أمراً طبيعياً يتحكم فى الحياة : فعندما يأتى الملك فى ملكوت سيجزل العطاء لمن أخلصوا له ، وهذا حق . . فلا يحق لإنسان لم يتعب ولم يزرع أن ينتظر حصاداً ـ لا يمكن لإنسان لم يشارك فى معسكر العمل أن يشارك فى موكب النصرة . وكأنما يسوع يقول هنا « إن المسيحية ستكون فى عالم صعب قاسى فى مواجهته لها ، فمن يخجل منى ومن كونه مسيحى ومن مسلكه كمسيحى فلن يتوقع أن يشارك فى أمجاد ملكوت الله »

أما الجزء الثانى من هذا الفصل [٩ : ١] فقد سبب للناس حيرة شديدة :

لقد قال : إن من القيام ههنا قوماً « لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله آتيا بقوة » . وظن كثيرون أنه يقصد بذلك مجيئه الثانى . . وإن كان كذلك فلابد أنه قد أخطأ فى ذلك ، وهذا ما يستكثرونه على يسوع . لكنهم هم فى ذلك مخطئون . إنه لم يقصد مجيئه الثانى ؛ بل يقصد شيئاً آخر نستطيع أن نعرفه لو عرفنا تفكير يسوع وظروفه . لقد وصل يسوع حالا من الأراضى الأممية المتسعة ، وفى ذلك الوقت لم يكن قد سمع فى فلسطين عن رسالته إلا عدد قليل نسبيا من اليهود ، فإذا قسنا فلسطين . التى لا تزيد عن ١٢٠ ميلا طولا وأربعين ميلا عرضا وعدد سكانها يتراوح ما بين ٣ أو أربعة ملايين نسمة ـ إذا قسناها بالعالم الخارجى نقول إن المسيحية تعتبر لا شىء بالمرة فى ذلك العالم . . زد على ذلك . . تلك المعارضة القاسية التى واجهها يسوع فى فلسطين نفسها من جانب الفريسيين والكهنة ورجال السلطة . . إن موقفا كهذا لا يشجع أكثر الناس تفاؤلا على أن يرى أى نجاح للمسيحية فى هذا العالم ، بل لا بد أن تزول وتنتهى من العالم . إن هذا المنطق من الوجهة الانسانية منطق صحيح حق . لكن لنلق نظرة واحدة على ما حدث . . لم تمض ثلاثون عاما حتى رأينا المسيحية تكتسح فلسطين وسوريا وتغزو مصر وخاصة الاسكندرية . . وتدخل آسيا الصغرى واليونان وتتربع فى قلب روما حتى أسبانيا . . لقد انسعت كمد لا يمكن أن يوقف . كل ذلك حدث فى حياة الكثيرين الذى رأوا المسيح . . فلم يكن يسوع بذلك مخطئا لقد كان كلامه الحق المطلق .

إن الأمر المذهل فى حياة يسوع أنه لم يعرف اليأس مطلقا . . فى وجه غباوة الناس ، فى وجه المعارضة الشديدة . فى وجه الموت والصليب لم يعرف اليأس ولا الاستسلام ، إنه كان واثقاً أن الغير مستطاع عند الناس مستطاع عند الله .

الأَصْحَاحُ التَّاسِعُ

المجد فى قمة الجبل

وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحْدَهُمْ . وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ . وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذٰلِكَ . وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى . وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ . فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ يَا سَيِّدِي جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هٰهُنَا . فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ . لَكَ وَاحِدَةً وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً . لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَعِبِينَ . وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ . فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً هٰذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ . لَهُ اسْمَعُوا . فَنَظَرُوا حَوْلَهُمْ بَغْتَةً وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا غَيْرَ يَسُوعَ وَحْدَهُ مَعَهُمْ .

(مرقس ٩ : ٢ – ٨)

نحن الآن أمام حادثة مغلفة بالأسرار فلنحاول أن نتلمس طريقنا فيها . يقول

مرقس إنها حدثت بعد ستة أيام من حادثة قيصرية فيلبي ، أما لوقا فيقول بعد ثمانية أيام . . لا يوجد اختلاف بين الاثنين . لأن كليهما يعنيان « أسبوعا » ولهذا لم تختلف الكنيستان الشرقية والغربية على جعل يوم ٦ أغسطس هو يوم ذكر التجلي . أما من جهة مكان الحادثة فقد ذكر التقليد أنها حدثت على جبل تابور حتى أن الكنيسة الشرقية أسمته حادثة التجلي « الطابورى » ولكننا نعتقد أن هناك خطأ في ذكر هذا المكان لأن تابور في جنوب الجليل وقيصرية فيلبي بعيدا في الشمال عن الجليل ولم يكن جبل التابور سوى ١٠٠٠ قدم ارتفاعا تعلوه قلعة ضخمة فهو لا يصلح لمثل هذه الحادثة المقدسة . . إن جبل حرمون الذى يشمخ إلى ٩٢٠٠ قدم والقريب من قيصرية هو المكان المعقول لهذا الحدث العظيم .

وإننا إن كنا لا نستطيع أن نذكر بالتفصيل ماذا حدث فى ذلك الوقت ، ولكننا بكل خشوع وإجلال نتقدم لنفهم شيئا منه .

يذكر مرقس أن ثياب يسوع كانت تلمع ، وقد استخدم الكلمة «ستلباين Stilbein » التى تعنى اللمعان الذى يصدر من نحاس مجلو أو من الذهب أو من أشعة الشمس الذهبية . وعندما انتهت الحادثة يذكر أن سحابة ظللتهم ، والسحابة تشير ، فى العهد القديم ، إلى حضور الله . ففى السحابة قابل الله موسى ، وحضر إلى خيمة الشهادة ، وحل فى هيكل سليمان بعد تدشينه .. وكان اليهود يعتقدون أن المسيا سيأتى فى السحابة إلى هيكله. [خروج ١٦: ١٠، ١٩ : ٩، ٣٣ : ٩ ، ١ ملوك ٨ : ١٠ ، ٢ مكابيين ٢ : ٨] . فنزول السحابة هى التعبير الرسمى عند اليهود أن المسيا قد جاء .

وللتجلى أهميتان :

١ — لقد كان التجلى مهما بالنسبة ليسوع ، فهو الختم الأبوى على القرار الذى اتخذه وهو أن يثبت وجهه لكى ينطلق إلى أورشليم ليواجه الصليب . وهذا الختم جاء فى صورتين :

(أ) مجىء موسى وإيليا اليه . وكان موسى ممثلا للناموس لأنه تسلمه من الله أما إيليا فكان أول الأنبياء وأعظمهم ، وكان اليهود يتطلعون إليه ليسمعهم صوت الله . ومجىء الإثنين بهذه الصفة معناه الموافقة على عمله . . معناه أن فى يسوع تحقيق كل رجاء الماضى . معناه تحقيق التاريخ واكتماله فيه ، معناه أن يسوع هو الذى يقود الحق إلى النصرة

(ب) مخاطبة الآب له : وكما كانت عادة يسوع ذهب إلى الآب وقال له لتكن « إرادتك » فإنه فوق جبل التجلى نال هذه الموافقة والتشجيع على الذهاب . . إن يسوع فوق جبل التجلى عرف أنه يسير ويعمل الصلاح المطلق .

٢ — وكان مهما بالنسبة للتلاميذ :

(أ) لقد هزهم تصريح المسيح أنه ذاهب إلى أورشليم ليموت ، وكان هذا الإعلان إنكاراً بكل ما يعرفونه عن المسيا ، فاضطرب تفكيرهم ، وبدأ رجاؤهم ينطفىء ، وقلوبهم تنكسر . . ولكن حادثة جبل التجلى تعطيهم الرجاء حتى ولو لم يفهموا ماذا حدث . سواء أصلب أو لم يصلب فهاهم يسمعون صوت الله يعلن أنه ابنه الحبيب .

(ب) جعلتهم شهوداً للمسيح ، والشاهد هو الذى يرى ثم يعلن . وهنا على جبل التجلى يشاهدون مجده وعندئذ تمتلأ هذه الحادثة حياتهم وذاكرتهم وقلوبهم وبذلك يشهدون للناس . . لقد شاهدوا فشهدوا

مصير النذير [يوحنا المعمدان]

وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُحَدِّثُوا أَحَداً بِمَا أَبْصَرُوا إِلاَّ مَتَى قَامَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ . فَحَفِظُوا الْكَلِمَةَ لأَنْفُسِهِمْ يَتَسَاءَلُونَ مَا هُوَ الْقِيَامُ مِنَ الأَمْوَاتِ . فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ وَكَيْفَ هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْذَلَ . لَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِيلِيَّا أَيْضاً قَدْ أَتَى وَعَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ .

(مرقس ٩ : ٩ ــ ١٣)

لابد وأن التلاميذ الثلاثة كانوا غارقين فى التفكير وهم نازلون من على الجبل . ولكن يسوع بدأ كل شيء بوصية وجهها للتلاميذ ألا يقولوا لأحد عنه . فيسوع كان يعرف أن عقل التلاميذ كان لا زال مملوءاً بالتفكير اليهودى عن المسيا ، فلو أخبروا الناس عما رأوا من مجد وبهاء ، لو أخبروا عن ظهور

مجد الله على السحابة ، لو أخبروا عن ظهور إيليا وموسى . . لو فعلوا ذلك ماذا كان يكون تأثيره على التفكير الشعبي ؟ ألا يدل ذلك ـ بحسب عقلية الشعب ـ على أن هذه مقدمة على ظهور مجد الله فى الانتقام من الأمم ورفعه شعب اليهود ؟ إن التلاميذ يحتاجون أن يتعلموا من هو المسيا ، ولا شيء يعلمهم ذلك حقيقة ، ويكشف لهم عن عمق هذا المعنى سوى الصليب والقيامة .. عندما يرونه يصلب ثم يقوم ، عندئذ يعرفون أن مجد التجلى لم يكن مقدمة لإظهار مجد إله منتقم ، بل مجد الآب المحب فى شخص إبنه يسوع المسيح .

وعندما تكلم يسوع عن القيامة ظهروا أنهم لا يستطيعون أن يفهموا معنى القيامة هذه ، والدليل على ذلك هو أنهم عندما رأوا يسوع معلقا على الصليب ظنوا أن نهاية كل شيء قد أتت. ونحن نعذر التلاميذ لأن يسوع عندما علمهم عن المسيا كان يعلمهم شيئا لم يسمعوا عنه ولم يتخيلوا أن شيئا كهذا ممكن الحدوث

وهنا بدأ التلاميذ يسألون سؤالا ظل محيراً لهم : إن كان يسوع هو المسيا : فأين إذن إيليا الذى يسبق مجيئه ؟ [ملاخى ٣ : ٥ و ٦] . إن شخصية إيليا كان لها أهمية خاصة عند اليهود . فإنهم يعتقدون أنه لا زال عاملا فى السماء والأرض من أجلهم ، ويقول أحد الأحاديث التقليدية إن إيليا سيظهر قبل مجيء المسيا بثلاثة أيام .. يقف فى اليوم الأول على أحد الجبال رافعا مرثاه على الأرض المهجورة ، وعندئذ ينادى بصوت عال يسمع فى أقاصى الأرض قائلا « سلام يأتى على الأرض . . سلام يأتى على الأرض » ثم ينادى فى اليوم الثانى « خير يأتى على الأرض . . خير يأتى على الأرض » ثم ينادى فى اليوم الثالث

« خلاص يأتى إلى الأرض . . خلاص يأتى الى الأرض » ثم يرد كل شىء . . يقيم المعوجات ويطهر الأمة ويصحح الطقوس ويقضى للمظلومين . هذا هو إيليا فهل جاء؟ ماذا حدث له ؟

وكان جواب يسوع مفهوما لكل يهودى . « لقد جاء إيليا وعمل به الناس ما أرادوا لا ما كان الله يريده » وكان يسوع يقصد يوحنا وكيف سجن وقتل . ومن هنا واجههم مرة أخرى بالمصير الذى ينتظره وينتظرهم « فإذا كانوا فعلوا ذلك بالنذير فماذا يفعلون بالمسيا . « لقد قلب يسوع موازين تفكيرهم : كانوا ينتظرون التدخل الإلهى القوى . . مجىء إيليا ، ظهور المسيا ، وانتصار اليهود ، ولكنه يواجههم بموت إيليا وقتله ، وبموت المسيا على الصليب . ولكنهم لم يفهموا ، وعدم فهمهم راجع إلى نفس السبب الذى لأجله يفشل كل إنسان عندما يتمسك بتفكيره وطريقه ولا يريد أن يعرف طريق الله الصحيح . إنهم تمسكوا برغبتهم وإرادتهم لا بإرادة الله ومشيئته . إن خطأ تفكير البشر أعماهم عن معرفة إعلانات الله .

النزول من الجبل

ولَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا حَوْلَهُمْ وكَتَبَةً يُحَاوِرُونَهمْ . ولِلْوَقْتِ كلُّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا ورَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ . فَسَأَلَ الْكَتَبَةَ بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ فَأَجَابَ وَاحِدٌ منَ الْجَمْعِ وَقَالَ يَا مُعَلِّمُ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسُ .

وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيُصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ . فَقُلْتُ لِتَلَامِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا .

(مرقس ٩ : ١٤ ــ ١٨) .

إن النزول من على الجبل هو العمل الذى لا يريده بطرس . لقد استحسن البقاء . هناك مجد وبهاء . . قرب من الله لماذا لا يبقون هناك وليعملوا المظال الثلاث ليسوع ولموسى ولإيليا ؟ ولكن جوهر الحياة الحقيقى ليس هو المكوث المستديم على الجبل ، «ليس الوحدة مع الله بل الاتصال بالناس» فلو قفل الإنسان مخدعه على نفسه ، ثم قفل أذنيه عن صراخ المحتاجين ثم قفل قلبه عن كل العالم الخارجى .. لو فعل ذلك لفقد معنى الشركة الحقيقية مع الله . إن الشركة مع الله تخلق منا شخصيات أكثر فائدة ومنفعة لإخوتنا .

لقد جاء يسوع من الجبل ليرى موقفا دقيقاً قدامه ، شخص أحضر ابنه المصاب بالصرع إلى التلاميذ لكى يشفوه ، ولكنهم عجزوا عن ذلك ، وعجزهم هذا أعطى الكتبة والفريسيين فرصة لكى يجادلوهم ويحقروا من شأنهم وشأن معلمهم أيضا ، وهذا ما يجعل الموقف أكثر حساسية . وهذا ما يواجهنا فى الحياة . . إن فشلنا فى حياتنا المسيحية . . وفشلنا فى إظهار قوة الحياة الجديدة التى نلناها لا يحقرنا نحن فقط بل يحقر المسيح أيضاً ، وفى هذا يقول ا . ف موري فى كتابه « التعليم المسيحى » إن بعض الناس يظنون أن الكنيسة هى المجتمع الفائق الطبيعة ، جسد المسيح ، العروس التى بلا غضن . . حاملة إنجيل المسيح . محفل المفدين المقدس . . وإلى غير ذلك من الألقاب الرومانتيكية ولا يريدون أن يعرفوا «أن الكنيسة هى أنت وأنا الذين نعمل فى غمار العالم »

إن مركز الشخص لا يهم ، إن المهم فى أعين الناس هو سلوكه بهذا يحكمون عليه وعلى سيده . ولهذا فقد رأى الكتبة فى هذه الحادثة أنها فرصة ذهبية للنيل من مركز يسوع .

ووصل يسوع . وعندما رآه الناس اندهشوا . . بالطبع لم يكن ذلك للمجد الذى احتواه على جبل التجلى ، فذلك قد انتهى وقته ، وإلا فما فائدة تحذيره لتلاميذه ألا يقولوا لأحد عن التجلى وهو يبقى آثاره ؟ بل لأن الناس لم يروه مقبلا .ظنوه بعيداً وانغمسوا فى مناقشاتهم،ولكنهم وجدوه فجأة بينهم فاندهشوا. وهذا يعلمنا أمرين :

١ ــ أن يسوع واجه المواقف الصغيرة بنفس الثقة والشجاعة التى بها واجه المواقف الهائلة ، لقد واجه الصليب بثقة واطمئنان وواجه هذا الموقف تحت الجبل بنفس الحالة ، إن من خصائص الطبع البشرى أن يواجه شدائد الحياة بشجاعة . ومرات كثيرة بتحد ، ولكن فى مرات كثيرة يقابل صغائر الأمور بقلق وغضب ، ولكم واجه شخص ما كارثة صعبة بثبات ورباطة جأش ، وفى الوقت نفسه فقد أعصابه لأن قطاراً فاته أو تأخرت وجبة الطعام عن موعدها . أما يسوع فقد كان ثابتاً فى أية حالة وأى موقف والسبب فى ذلك لأنه كان يرى الله فى كل موقف من الأوقات كما فى المواقف اليومية الروتينية ، بعكس ما نفعل نحن إذ نحاول أن نرافق الله فى أوقات الحياة بينما نواجه المواقف الصغيرة بقوتنا نحن وبذلك نفقد صوابنا فى مواجهتها

٢ ــ إنه كان يحمل نفس الحب والتضحية للفرد الواحد كما للعالم كله . . لقد جاء ليخلص العالم ، ومع ذلك فقد أعطى نفسه كلية للفرد الواحد ، وهذا

بعكس الكثيرين الذين يمتلئون غيرة وحماسة لخلاص البشرية ولكنهم يغضبون إذا وقف فرد واحد فى طريقهم يحتاج إلى المعونة والمساعدة ؛ يحاولون أن يبشروا العالم ويستنكفون أن يحملوا البشارة إلى شخصية تسكن بجوارهم .ولكن الحب الأصيل الحقيقى هو الذى يوجه للفرد بنفس السهولة والاهتمام اللذين يوجه بهما إلى العالم .

صرخة الإيمان

فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ . إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ . قَدِّمُوهُ إِلَيَّ . فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَآهُ لِلْوَقْتِ صَرَعَهُ الرُّوحُ فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزْبِدُ . فَسَأَلَ أَبَاهُ كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هٰذَا . فَقَالَ مُنْذُ صِباه . وَكَثِيرًا مَا أَلْقَاهُ فِى النَّارِ وَفِى الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ . لٰكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئًا فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ إِنْ كُنتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ . فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ أُومِنُ يَا سَيِّدُ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِى .

(مرقس ٩ : ١٩ — ٢٤)

يبدأ هذا الفصل بصرخة ألم تخرج من قلب يسوع « أيها الجيل المعوج ...» لقد كان على الجبل ونزل وهو مملوء بالعزم والقوة على مواجهة تحدى قوات الشر

الفداء العالم ، ولكنه يرى هؤلاء التلاميذ الذين اختارهم ، التلاميذ الذين صرف الليالى الطوال يعدهم ويعلمهم ليكونوا خاصة له ليحملوا رسالته . هؤلاء التلاميذ الذين يعتمد عليهم فى مستقبل العمل . . يراهم واقفين مضطربين عاجزين أمام موقف بسيط ! ! هل شعر فى تلك اللحظة بشعور الشخص الذى يئس من محاولة رفع الناس وتغييرهم إلى ما هو أحسن ؟ هل رأى أن عمل السنين والأيام الطويلة قد فشل ولم يأت بثمر ؟ لماذا يقفون هكذا وكأنهم لم يكونوا معه ، ولم يتعلموا منه كيف يواجهون المواقف ؟ هذا الموقف المحزن . . كيف يقابله يسوع ؟ لقد صاح « قدموا إلى الولد » نعم عندما نيأس من تغيير العالم دعنا لا نقف يائسين مضطربين بل لنقم ونعمل العمل الصغير الذى أمامنا . . لقد فعل يسوع هكذا ، إنه رأى مستقبل الرسالة فى يدى جماعة كهؤلاء ولم يقف ساكنا بل عرف أنه يجب أن يعمل هذا العمل الصغير الذى أمامه . . فقال « قدموا إلى الولد » إن لم تستطع أن تخلص العالم فحاول أن تقود جارك إلى المسيح . . إن لم تستطع أن تبنى السور كله فلا تيأس بل إبن أمام بيتك كما يقول كنجسلى :

اعمل أقرب عمل إليك حتى وإن رأيت أن من الغباء ان تعمله

ساعد الكلاب العرجاء إن قابلتها لتنال نصيبها

إن أسلم طريقة لمواجهة اليأس والفشل هى أن تفعل ما تجده يدك

وهناك أمر آخر مهم وهو كلمة يسوع لوالد المريض عندما وضع له قواعد حدوث المعجزة « إن كنت تؤمن . . » ليست هذه الكلمة حقيقة لاهوتية فقط ، إنها حق عام ، فان تقابل أمراً ما بروح الفشل وعدم الرجاء فالأمر لابد

وأن يفشل ، ولكن إن قابلت الموقف بروح الإيمان والثقة فإنك تخلق الجو الصالح لنجاحه . . يقول كافور إن الرجل السياسى يحتاج فوق كل شىء الى « الإحساس بأن كل شىء ممكن » . إن اللعنة التى أصبنا بها هو إحساسنا « بأن أشياء كثيرة جداً مستحيلة » ولهذا فالمعجزات لا تحدث بيننا الآن .

إن موقف الوالد يعلمنا درساً مفيداً فى حياتنا؛ لقد جاء إلى يسوع، ولكنه لم يجده لأنه كان على الجبل ، فالتجأ إلى تلاميذه، ولكن التلاميذ فشلوا فى أن يساعدوه فاهتز إيمانه فى التلاميذ وفى يسوع نفسه ، حتى أنه عندما جاء يسوع من الجبل قال له « أعنا إن كنت تستطيع » ولكنه عندما وقف أمامه وجها لوجه انفجر لهيب الإيمان مرة أخرى وصاح « أؤمن ياسيد . . ولكنى أشعر ببعض الشكوك فأزلها من قلبى ومن حياتى ». مرات كثيرة نيأس من الكنيسة فلا نجد فيها ما كنا نطلبه منها و نيأس من الخادم لأننا لم نره بالصورة التى ننتظرها دعنا لا نيأس . . إن فشلت الكنيسة فسيدها باق . . وإن لم يعجبنا الخادم فلننظر إلى يسوع نفسه . . إن نظرنا الى يسوع نفسه هو الذى يجعلنا نكسب المعركة . . فالإيمان يجب أن يتجه اليه هو .

سبب الفشل

فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ الْجَمعَ يَتَرَاكَضُونَ انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلاً لَهُ أَيُّهَا الرُّوحُ الأَخْرَسُ الأَصَمُّ أَنَا آمُرُكَ . اُخْرُجْ مِنْهُ وَلاَ تَدْخُلْهُ أَيْضًا . فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ شَدِيدًا وخَرَجَ . فَصَارَ

كَمَيْتٍ حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ إِنَّهُ مَاتَ. فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ فَقَامَ. وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتًا سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ.

(مرقس ٩ : ١٤ — ٢٩)

يلوح أن يسوع قد أخذ الوالد وابنه بعيداً عن الجمهور، ولكن الجمهور عندما سمع صياح الوالد والولد، جرى اليهما، وعندئذ قال يسوع كلمته وشفى الولد بعد أن سقط مصروعاً.

وعندما اختلى التلاميذ بيسوع سألوه عن سبب فشلهم أمام هذا المريض بالذات. انهم يذكرون نجاحهم الباهر في ارساليتهم، ويذكرون كم من الأرواح النجسة قد خرجت من المرضى بأمرهم وعلى كلمتهم (مرقس ٣ : ١٤ — ١٥)، فلماذا يفشلون الآن؟ ولقد جاء اليهم جواب يسوع بسيطاً قاطعاً: إن هذا الشفاء يحتاج الى الصلاة. وكأنه يقول لهم «لقد منحتم القوة، ولكنكم لم تستطيعوا أن تحافظوا عليها لأنكم لستم في شركة مع أبيكم السماوي. بالصلاة».

وهنا نجد لأنفسنا درساً خطيراً: فقد يهبنا الله بعض الوزنات، وقد تكون وزنات لها ثقلها وجلالها. ولكن هذه الوزنات الضخمة تزول وتنتهي ما لم يكن هناك صلة عميقة بيننا وبين الله. فقد يمنح الله أحدنا موهبة الوعظ، فإن لم تكن له شركة بالله، يصبح هذا الواعظ مجرد خطيب ماهر، لا أكثر ولا أقل. وقد يمنح آخر موهبة الترنيم ولكن المرنم يصبح مجرد مغنى محترف ما لم

يدعم موهبته بالصلاة لله . . إن كل صاحب وزنة ولو كان يكسب معيشته فيها لابد وأن يخضعها لله ، ولابد له ، وهو يؤدى دوره فى الحياة ، أن يعرف أنه يخدم بها الله . لقد اعتادت مغنية الأوبرا جنى لند أن تصلى لله قبل أى حفلة قائلة « إلهى ساعدنى أن أخدمك هذه الليلة » .

وبدون الشركة مع الله يفقد المرء شيئين ضروريين مهما كانت وزنته عظيمة :

١ — يفقد الحيوية . . يفقد القوة الحية التى تضفى العظمة على كل عمل . . فيصبح العمل بدونها جسداً جميلا ولكن بدون روح ، يصبح عملا فنيا وليس تقدمة شكر لله .

٢ — يفقد التواضع .. فبدلا من أن يستخدم الإنسان موهبته لمجد الله يستخدمها لمجد نفسه فتفقد فضيلتها ، وبدلا من أن يقدم الله . . يقدم نفسه فتفقد روح الجمال .

لنحذر . . إن التلاميذ أخذوا القوة من المسيح ولكنهم لم يغذوها بالصلاة فضاعت منهم هذه القوة . فعندما يعطينا الله الموهبة تضيع منا ، لو استخدمناها لأنفسنا فلنحفظها حية فعالة عاملة ، وذلك بالصلاة لله الذى وهبها لنا .

مواجهة النهاية

وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا الْجَلِيلَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ . لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى

أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَه . وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ .

(مر ٩ : ٣٠ — ٣١

هذان العددان يعتبران حدا فاصلا لمرحلة فى حياة يسوع ، لقد ترك الجليل حيث الأمان والنجاة وأخذ يصعد إلى أورشليم حيث العداوة والصليب. ولذلك أراد يسوع أن يختلى بتلاميذه بعيداً عن الجمهور ، لأنه أراد أن يترك رسالته فى يدى جماعة يعدهم ويكتب هذه الرسالة على قلوبهم . لقد كان من السهل عليه أن يترك وراءه تعاليما وفلسفة ، ولكنه يعلم أن التعاليم لا تؤثر ما لم تكتب على قلب جماعة يفهمونها، ولو إلى درجة قليلة،حتى يستطيعوا حملها إلى الآخرين ليس بكلامهم فقط بل فى حياتهم أيضاً .

وهنا يعطيهم يسوع تحذيراً أشد ، لأنه يضيف عليه كلمة مؤلمة « لأن ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الناس ». فلأول مرةهنا يعلن أن هناك خائناً فى وسطهم سيسلمه إلى أيدى الناس . لقد عرف يسوع اتجاه تفكير يهوذا ، وعرف أين يقوده هذا التفكير . . ربما لم يكن يهوذا فاهما لنفسه قدر ما كان يفهمه يسوع . ولذلك فكلمات يسوع لم تكن تحذيراً لهم ، وتقرير الحقيقة فقط ، ولكنها كانت تحمل دعوة خفية ليهوذا أن يترك المنحدر الذى ينحدر اليه تدريجيا ويثوب إلى رشده .

ومع ذلك استمر التلاميذ فى عدم فهمهم . . إن العقبة الكأداء فى سبيل فهمهم هو القيامة . . لقد عرفوا من تحذيره أن شيئاً ما خطيراً لابد وأن يحدث.. ولكن القيامة فقد كانت صعبة على أفهامهم . . كانت معجزة تفوق خيالهم . .

فاستمروا الى النهاية لا يفهمون عنها شيئاً ، ولم يهضموها إلا بعد أن حدثت أمام عيونهم .

ولما لم يفهموا صمتوا عن السؤال والاستفهام .. إنهم يشابهون فى ذلك رجلا عرف أمراً ما ، ولما خاف منه كف عن معرفة التفاصيل . كالمريض الذى يسمع تقرير الطبيب عنه ويعرف أنه خطير ، هذا المريض يكف عن السؤال ومعرفة التفاصيل لسبب واحد بسيط وهو أنه يخاف أن يعرف أكثر .. هذا كان حال التلاميذ فى تلك اللحظة

قد ندهش نحن لعدم قدرة التلاميذ على فهم الإعلانات الواضحة هذه ، ولكن لا ندهش لأننا لسنا أحسن حالاً منهم ، فالعقل البشرى فيه المقدرة الغريبة على رفض ما لا يريده . فلقد سمعنا ، كما سمع غيرنا ، الرسالة المسيحية ، وعرفنا كما عرف غيرنا ، المصير المؤلم الذى يؤدى بنا لعدم قبولها ، ولكننا مع ذلك نعرف ونفرح لقبول الأشياء التى توافقنا فيها ، أما مالا يوافق حياتنا ومزاجنا فعقولنا تغلق دونه ، ونبقى فى تجاهل تام يقود إلى جهل مطبق .

الطموح الحقيقى

وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا الْقَوْلَ وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ .

وَجَاءَ إِلَى كَفْرِ نَاحُومَ . وَإِذْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُمْ بِمَاذَا كُنْتُمْ تَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فِي الطَّرِيقِ . فَسَكَتُوا . لِأَنَّهُمْ تَحَاجُّوا فِي الطَّرِيقِ بَعْضُهُمْ مَعْ بَعْضٍ فِي مَنْ هُوَ أَعْظَمُ . فَجَلَسَ وَنَادَى

الاِثْنَي عَشَرَ وقَالَ لَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ .

(مرقس ٩ : ٣٢ ـ ٣٥)

لا يوجد فى انجيل مرقس ما يظهر أن التلاميذ لا زالوا يجهلون الخدمة العظمى التى لأجلها جاء يسوع .. ولا شىء فى إنجيل مرقس أحزن قلب يسوع، قدر هذه المناقشة والمجادلة التى جرت بين التلاميذ فى الطريق إلى كفر ناحوم . إلى الآن هم فى أحلامهم الأرضية يفكرون فى ملكوت يسوع تفكيرا أرضيا.. هم رؤساء الدولة معه وهو ملك فوق الممالك الأرضية . ولكن رغم كل هذه المناقشة فقد كانوا فى أعمق أعماق قلوبهم مقتنعين بخطأ تفكيرهم . حتى عندما سألهم عما كانوا يجادلون سكتوا وأحسوا بالخجل ولم يجدوا ما يدافعون به عن أنفسهم . بل لعلهم عندما عرضت كل أفكارهم أمام ناظرى يسوع أحسوا أنها تافهة ؛ فكم من مرة تشاجروا فيما بينهم على من هو الأعظم فى ملكوت السموات ، ولكن عندما بدأ يسوع يناقشها معهم ، عرفوا فى قلوبهم أن تفكيرهم تافه لا يعقل أن يفكروا هم فيه . وهل هذا هو موقفنا فى حياتنا ؟ إننا نفكر فى أمور كثيرة قد تكون تافهة وليست مستقيمة مع الحياة المسيحية الحقة ، ولكن عندما نعرضها على يسوع نحس بتفاهتها وعدم جدواها . فلو استطعنا أن نتساءل قبل أن نقدم على عمل ما ، هل أستطيع أن أفعل هذا وهاهو يسوع يرافقنى ؟ لو فعلنا ذلك لاختلفت حياتنا وسلوكنا كثيرا عما هى عليه .

وكان على يسوع أن يأخذهم بالحزم فى هذه المسألة ، فجلس كما يفعل كل معلم يهودى يريد أن يعطى لتلاميذه درسا، ثم ناداهم إليه ، وأراهم أن العظمة الحقيقية

فى ملكوت السموات ليست فى أن تكون سيدا بل فى أن تكون خادما أمينا. وفى هذا الإعلان لم يمح يسوع الطموح بل رقاه وجعله إلى هدف أسمى ، فبدلا من طموح السيادة وضع طموح الخدمة ، وبدلا من طموح الإمتلاك والخوف على كل شىء وضع طموح مساعدة الآخرين والعمل على إسعادهم .

يظن البعض أن ما يضعه يسوع أمام تلاميذه ما هو إلا مثل أعلى يستحيل تحقيقه فى الحياة ، ولكنهم فى ذلك مخطئون ؛ فلو فتشنا التاريخ عن عظماء الرجال الذين حفظ اسمهم فى سجل المجد لوجدناهم أولئك الذين خدموا الإنسانية ممثلة فى رعيتهم أو جيرانهم أو إخوتهم أو غير ذلك ؛ أولئك ضحوا بأنفسهم لأجل الجميع . وعندما وقف بلدوين رئيس وزراء انجلترا ليرثى أحد كبار رجال الدولة قال « إننى كرئيس وزراء أستطيع أن أكتشف فى بعض المواقف الحساسة أعماق الطبيعة البشرية ، وقد عرفتها فى هذا الراحل لقد عرفت حقيقته فى موقفين يعتبران ضربة قاسية له ، الأول عندما فضلت أنا عنه لرئاسة الوزارة ، والثانى عندما أخبرته أنه يجب أن يوضع فى عمل خاص لا يريده هو ومع ذلك فلم أجد منه أى تعبير عن عدم الرضا لا فى القول أو العمل . . لم يشك ولم يتذمر ، بل ذهب إلى عمله وهو يعرف أنه يجب أن يخدم أمته فى أى مكان يختار فيه » . وهناك قصة عن رجل من اسبارطة كان فى غاية الحكمة وكان مرشحاً ليكون أحد ثلاثمائة يحكمون أسبارطة . . ولكن لما أعلنت الأسماء لم يكن إسمه بينهم . . فقال له صديقه « إننى آسف . . كان يجب أن يعرف الناس مقدرتك فى حكم البلاد . . ولكنه رد على صديقه قائلا « إننى مسرور أن أجد فى اسبارطة ثلاثمائة رجل أفضل منى يستطيعون أن يحكموها » . إن إنكار الذات نادر ولكنه مجيد وعظيم فى أعين الجميع .

وإننى أعتقد أن أعقد مشكلات الاقتصاد تحل ، وأكثر آلام السياسة تزول وأمر انقسامات الكنيسة التى تهدد وحدتها وروحانياتها تختفى لو نظر الناس لا إلى ما لأنفسهم بل إلى ما لغيرهم ، ولو وضعوا فى اعتبارهم أن خدمة الغير أهم من الأنانية والطموح للسيادة والتحكم فى الآخرين .

وبهذا وضع يسوع أعظم وأمجد حقيقة فى التاريخ عندما أعلن أن العظمة الحقيقية فى الخدمة لا فى السيطرة .

مساعدة المحتاجين هى خدمة للمسيح نفسه

فَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَهُمْ . مَنْ قَبِلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلَادٍ مِثْلَ هٰذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي.

(مرقس ٩ : ٣٦ و ٣٧)

لا زال يسوع هنا يعالج مشكلة الطموح ويبين النافع من الضار فيه . دعا ولداً وأقامه فى وسطهم : إن الولد يمثل الشخص الذى يحتاج إلى من يعطيه شيئا . إنه لا يستطيع أن يمنح الآخرين ما يحتاجون اليه . إنه يعتمد على الغير ، وعندئذ قال يسوع « إنكم إذا رحبتم بالفقراء المعوزين .. الذين ليس لهم المقدرة الاجتماعية أو المادية ، بل هم المحتاجون اليكم دائما .. إذا رحبتم بهؤلاء وقبلتموهم فإنكم إنما تقبلوننى أنا بل وتقبلون الله نفسه » إن الطفل يمثل المجتمع الذى يحتاج إلينا وإلى خدمتنا .

وبهذا يحذرنا يسوع من موقف ، كثيراً جداً ما نقع فيه وهو أننا نسعى لإقامة علاقتنا مع الأغنياء الموسرين الذين لهم النفوذ والسيطرة ونترك أولئك المحتاجين الينا الذين يعتمدون على خدمتنا وعملنا .. نسعى إلى المجتمعات التى تأخذ منها لا المجتمعات التى يجب أن نعطيها ، ولهذا فهو يشدد على أن نفتش على من نعطيه لا من نستفيد ونأخذ منه ، وبذلك نخدم المسيح نفسه . أليس هذا تكراراً لما قاله مرة أخرى « فكلما فعلتم بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » ؟ .

درس فى عدم التعصب

فَأَجَابَهُ يُوحَنَّا قَائِلاً يَامُعَلِّمُ رَأَيْنَا وَاحِدًا يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ وَهُوَ لَيْسَ يَتْبَعُنَا . فَمَنَعْنَاهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعنَا . فَقَالَ يَسُوعُ لا تَمْنَعُوهُ . لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعاً أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا . لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا .

(مرقس ٩ : ٣٨ — ٤٠)

كان الناس فى أيام المسيح يصابون كثيراً بأرواح نجسة ، وكان بعض الناس يحاولون إخراج هذه الأرواح بواسطة إسم روح من الأرواح القوية. وبينما كان التلاميذ فى رحلتهم التبشيرية رأوا جماعة من اليهود يستخدمون اسم يسوع فى محاولة إخراج الشياطين فاغتاظ يوحنا وبقية التلاميذ من هؤلاء الذين يفعلون هكذا وهم ليسوا بتلاميذ للمسيح .. لقد اعتبروها سرقة . ولكن يسوع لم ينظر إليها هكذا ، بل قال لهم إن إنسانا يفعل ذلك لا يسهل عليه أن يكون عدوا

لنا ، ثم وضع هذا المبدأ الخطير : « من ليس علينا فهو معنا » . وكل واحد منا بدون استثناء ، يحتاج إلى هذا الدرس :

١ — حرية الفكر والتفكير مكفولة لكل إنسان ، وكل واحد يستطيع أن يفكر لنفسه ويصل إلى نتائجه بمحض إرادته ، ويجب على كل إنسان آخر أن يحترم تفكير أخيه هذا . يقول وليم بن «لا تحتقر ولا تعارض مالا تفهم» وفى بعض الترجمات الجديدة « العهد الجديد فى الانجليزية البسيطة » تترجم يهوذا ١٠ « الذين يتكلمون باحتقار عما لا يفهمون » وهذا مرض شائع بين المسيحيين . وهنا يجب أن نذكر أمرين :

(أ) هناك طرق كثيرة تؤدى إلى الله ، أو كما يقول تنيسون « الله يعلن نفسه فى طرق كثيرة » ويقول سرفانتس « إن الله يحمل أتباعه إلى السماء فى طرقات مختلفة » فكما أن الأرض كروية ويستطيع إنسانان أن يتلاقيا مرة أخرى حتى ولو سارا فى طريقين متعاكسين ، هكذا الله نستطيع أن نذهب إليه فى طريقين مختلفين . أو كما كانت روما عاصمة العالم القديم وكل طريق كان يقود اليها هكذا الله . هذا ما يجب أن تتعلمه كل كنيسة تظن أنها تملك الطريق الأوحد إلى السماء ، أو أنها قد استحوزت على كل الخلاص ، فلا خلاص إلا فيها .

(ب) إن الحق أكبر من أن يحيط به فرد واحد ، فأساس عدم التعصب ليس فى الكسل الفكرى وقبول أى شىء وكل شىء بدون تمحيص ، بل فى تحقق المفكر فى أنه لا يستطيع أن يعرف الحق كله كما قال أحدهم « إن عدم التعصب يعنى احترام كل تفكير محق ، يعنى أن الحق يعلن نفسه بطرق مختلفة،

يسكن بيوتا متباينة . ويلبس ملابس كثيرة التنوع . . انه يعنى احترام الفكر الانسانى وتكريمه فلا نحاول أن نخضعه لميكانيكية عمياء . . إن عدم التعصب هو المحبة التى هى أعظم من الرجاء والإيمان ».إن التعصب معناه الديكتاتورية الجاهلة لأن المتعصب شخص يظن أن الحق لا يسكن إلا عنده .

٢ — حرية الكلام مكفولة لكل فرد وهى حرية عزيزة على كل فرد ، ومع ذلك فلها حدودها ، فنحن نستطيع أن نحارب من يريد أن يهدم العقيدة والمدنية ، ولكن نحاربه لا بالقوة الجسدية بل بالحجة والإقناع كما قال فولتير « إننى أكره ما تقول ولكن أضحى بنفسى لأكتسب لك الحق فى أن تقول ما تشتهى » .

٣ — يجب أن نذكر أن الحكم الصحيح على أية عقيدة أو نظام هو نوع التأثير الذى ينتجه . وكما قال أحدهم « الكنيسة لا تهم أى إنسان إنما المهم هم الناس الذين تربيهم » والسؤال المهم هو ليس « كيف تسير الكنيسة » ؟ بل « ما هو نوع الناس الذين تنشئهم الكنيسة ؟ » هناك أسطورة شرقية تقول إن أسرة كانت تمتلك خاتما ثميناً كل من وضعه فى إصبعه تحول إلى رجل سامى الخلق محبوبا من الناس . . وكان الإبن يتوارثه عن الأب ، وكان تأثير الخاتم مستمراً فى كل جيل إلى أن وصل إلى رجل كان له ثلاثة أبناء يحبهم بنفس الدرجة ولكنه لا يعرف لمن يعطى الخاتم . فما كان منه إلا أن صنع خاتمين آخرين يشابهان ذلك الخاتم مشابهة تامة ، وعند موته جعل كل إبن يختار أحد الخواتم الثلاثة . . ومات . ولم يعرف الأبناء الثلاثة أى الخواتم هو الخاتم الأصيل ، فذهبوا إلى القاضى واحتكموا له . ولما أمسك القاضى بالخواتم قال لهم

« إننى لا أستطيع أن أميز بين الثلاثة ولا أستطيع أن أعرف الخاتم الحقيقى ، ولكن الشخص الذى يستطيع ذلك هو أنتم » فاستغربوا كلامه وسألوه عن كيفية ذلك فقال لهم « سيروا بين الناس بالحق أسلكوا بالاستقامة واعملوا الخير وسوف يظهر منكم من امتلك الخاتم الأصيل » هكذا الأمر . . إن العقيدة تثبت أو تسقط بحسب نوع الناس الذين يعيشون فيها .

٤ — قد نكره العقيدة ولكن لا نكره من يعتقد بها . . قد نزيل التعليم ولكن لنحذر من إزالة المتعلم .

الثواب والعقاب

لأَنَّ مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ . وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ .

(مرقس ٩ : ٤١و٤٢)

إن التعاليم الموجودة فى هذا الفصل بسيطة صادقة مباشرة :

١ — إنها تظهر أن كل من يقدم خدمة لأجل المسيح لا يضيع أجرها . والسبب فى ذلك أن الخدمة تقدم لأناس يحبهم المسيح ، والمسيح يحب كل الناس وإذن فكل خدمة لكل إنسان لابد وأن تعطى أجرها إن لكل إنسان حقاً علينا لأنه لو كان المسيح على الأرض لخدم كل الناس . والخدمة التى يطلب السيد منا أن نقدمها هى خدمة بسيطة يستطيع كل إنسان أن يفعلها ، كأس ماء بارد .

إنه لم يطلب من الناس أن يقدموا ما لا تستطيع طاقتهم أن تحتمل . . إنها تقدمة بسيطة صغيرة ولكن فى معناها كبيرة وعظيمة . تذكر إحدى للرسلات فى أفريقيا قصة جميلة اختبرتها فى حياتها : قالت إنها كانت تشرح للفصل الصغير الذى تعلم فيه هذه الآية بالذات ، وعلمت البنات أن يقدمن الخدمة لكل إنسان محتاج . ويوما ما وفيما كانت هذه المرسلة تجاس فى فراندة بيتها شاهدت جماعة من الحمالين يحملون أحمالا ثقيلة وهم فى غاية العطش . ثم رأتهم يلقون بأحمالهم ليستريحوا . ولم يكونوا ينتظرون أية معونة من الناس حولهم لأنهم من قبيلة أخرى . ولكن المرسلة رأت مجموعة من البنات التلميذات فى فصلها يخرجن من الفصل وهن يحملن جراراً بها مياه وتقدمن فى حياء وخجل إلى إلى الحمالين وأعطيناهم المياه فتلقف الحمالون الماء وشربوا وهم فى غاية الدهشة والفرح من هذا العمل الجيد . وفرحت البنات إذ نفذن وصية المسيح حرفيا . إن العالم يحتاج إلى المحبة التى تظهر فى هذه الأعمال البسيطة كما قال أحدهم إن الحسنة هى « أن تهدى ضالا وتسقى عطشانا وتبتسم فى وجه أخيك ».

٢ — ولكن العكس صحيح أيضا . إن من يعثر الأخ الأصغر يستحق العقاب القاسى الأبدى . وحجر الرحى المذكور هو الحجر الضخم جداً . فقد كان هناك نوعان من الرحى فى فلسطين : الأول نوع صغير تستخدمه النساء فى البيوت والثانى هو طاحونة تديرها البهائم . والكلمة المذكورة هنا تعنى الحجر الكبير ، وهذا يعنى أن الموت أكيد لمن يعلق فى عنقه هـذا الحجر الضخم . ويذكر يوسيفوس أن الجليليين الذين قاموا بالثورة ضد روما أغرقتهم روما بهذه الطريقة القاسية .

والحق يقال ن من يخطىء فى حق نفسه يستحق العقاب ولكن من يخطىء فى حق الغير ويدفعه للخطأ فيستحق عقابا أقسى . وهناك قصة و . هنرى كاتب القصة الأمريكى الشهير تقول : إن أحد الرجال ماتت زوجته وكان له إبنة وحيدة . وكان الرجل عاملا ، فكان يترك ابنته فى البيت فكانت تلعب فى الشارع . وعندما كان يرجع إلى المنزل كانت الفتاة تنطلق إليه وتطلب منه أن يلعب معها قليلا ولكنه كان يدفعها عنه ويجبرها أن تذهب للشارع وتلعب وتتركه يمدد رجليه ويقرأ جرائده . واستمر الحال كذلك إلى أن ابتلع الشارع الفتاة وضلت الطريق وأضحت فتاة خاطئة . وماتت الفتاة . . وذهبت إلى الآخرة ورآها بطرس فقال للمسيح لنلق بها خارجا إلى الجحيم ، ولكن المسيح نظر إليها بلطف وقال له لا . . أتركها ، ثم نظر بشدة وقال « هناك شخص آخر يستحق أن يلقى فى الجحيم . إنه الاب الذى ترك ابنته تضل فى الشوارع » . نعم فالشخص الذى يعثر أخاه هو الشخص الذى يستحق العقاب الشديد .

الهدف الذى يستحق كل تضحية

وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا . خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ إِلَى النَّارِ الَّتِي لا تُطْفَأُ . حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ . وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا . خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلاَنِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ . حَيْثُ

دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحُ فِي جَهَنَّمِ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ.

(مرقس ٩ : ٤٣ ــ ٤٨)

هذا الفصل يوضح فى أسلوب شرقى الحق الأساسى ، إن هناك هدفا أمام الإنسان . يستحق أن يضحى من أجله . ففى الناحية الجسدية قد يرضى إنسان ما أن يضحى بطرف من أطرافه — يده أو رجله — لينقذ حياته من موت أكيد لو بقى ذلك الطرف . هذا الحق له وجود أيضاً فى الناحية الروحية .

وهناك أحاديث يهودية عن صلة الأعضاء بالخطية مثل : « العين والقلب سمساران للخطية » أو « العين والقلب خادمان للخطيئة » أو « الشهوات تملأ الشخص الذى يرى فقط » أو « ويل لمن يتبع عينيه لأن العينين زانيتان » . وهناك غرائز فى الإنسان وبعض الأعضاء التى تخدم الخطية . ولكن مع ذلك ينبغى ألا نأخذ قول يسوع حرفياً بل أن نفهمها بهذا المعنى « إن هناك أهدافاً فى الحياة تستحق كل تضحية مهما غلت » .

وفى هذه الآيات إشارات كثيرة عن « جهنم » وهى كلمة تتكرر فى العهد الجديد كثيراً [متى ٥ : ٢٢و٢٩و٣٠ ، ١٠ : ٢٨ ، ١٨ : ٩ ، ٢٣ : ١٥و٣٣ ، لوقا ١٢ : ٥ ، يعقوب ٣ : ٦] وهى تأتى من الكلمة هنوم أو وادى بن هنوم، وهو وادى كئيب له تاريخ شرير ، ففيه أحرق أحاز الأطفال إذ عبرهم فى النار (٢ أخبار ٢٨ : ٣) وفعل منسى هذا الأمر أيضاً (٢ اخبار ٣٣ : ٦) ولهذا

فقد أعلن يوشيا فى إصلاحه أن وادى ابن هنوم هو واد نجس (٢ملوك ٢٣ : ١٠) ولهذا فقد استخدم فى حرق الفضلات التى يلقيها فيه ساكنو أورشليم . ومن ذلك عاشت فيه الديدان واستمر دخانه قائما . وهذا هو أصل الصورة التى تقول « إن ناره لا تطفى ودوده لا ينام (إشعياء ٦٦ ؛ ٢٤) . ثم أضحى رمزاً المكان الذى فيه تهلك أرواح الأشرار . ويقول معلمو اليهود « إن الخاطىء الذى يحتقر كلمات الناموس سيرث الجحيم » لقد أضحى رمزاً لمكان العقاب .

ولكن ماهو الهدف الذى لأجله ينبغى للانسان أن يقدم على كل تضحية؟ لقد أطلق عليه يسوع اسم « الحياة » مرتين ، ومرة اسم « ملكوت الله » . فما معنى ملكوت الله ؟ فى الصلاة الربانية نستطيع أن نجد التعريف : ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . وهاتان الطلبتان متوازيتان مثلها فى ذلك مثل كل الشعر العبرى الذى يتكون عادة من عبارة تليها عبارة أخرى إما مرادفة لها أو مفسرة أو مكملة للمعنى . وعلى هذا الأساس فملكوت الله تعنى ذلك المجتمع الذى فيه تسود مشيئة الله . فمن يعمل مشيئة الله هو الشخص الذى قد دخل ملكوت الله . فعمل مشيئة الله إذن هو الهدف الذى لأجله ينبغى أن يضحى الإنسان بكل شىء . فمشيئة الله هى الشىء الأسمى فى حياتنا الذى يملأنا بالسلام .

ولقد اعتقد أوريجانوس أن كلام المسيح كلام مجازى وهو يعنى به الكنيسة وليس الفرد ، بمعنى أن الكنيسة تقطع العضو الفاسد بدلا من أن يفسد كل الأعضاء . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فالأمر شخصى جداً يخص كل إنسان وهو يعنى أن الإنسان لأجل إطاعة مشيئة الله قد يضطر لقطع عادة من العادات أو صديق من الأصدقاء أو عمل من الأعمال . وهذا العمل من خصوصيات كل

فرد بعينه فلا يستطيع أن يعمله إنسان لآخر . وقد يكون القطع هذا قاسياً مؤلما كأنه عملية جراحية فى الجسم ، ولكنه أمر ضرورى لمن يريد أن يعيش الحياة الحقيقة التى تخضع لإرادة الله فتمتلىء بالسلام الكامل . إنه صعب ولكنه من ضرورات الحياة الحقيقية .

ملح الحياة المسيحية

لأَنَّ كُلَّ واحِدٍ يُمَلَّحُ بِنَارٍ وَكلَّ ذَبيحَةٍ تمَلَّحُ بِمِلْحٍ . الْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلٰكنْ إِذَا صَارَ الْمِلْحُ بِلاَ مُلُوحَةٍ فَبِمَاذَا تُصْلِحونَهُ . لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ وَسَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً .

(مرقس ٩ : ٤٩ — ٥٠)

هذه الأعداد الثلاثة تعد من أصعب الأجزاء فى العهد الجديد ، وكثيراً مااختلف المفسرون فى تفسيرها، وسبب هذه الصعوبة ليست فى الكلمات ولا الأسلوب بل يكمن فى عدم ترابط هذه الأعداد معاً فكأنها ثلاثة أقوال منفصلة قالها المسيح فى ثلاث مواقف منفصلة جمعت معاً فى هذا المكان ؛ ويميل كثير من المفسرين إلى اعتبارها هكذا . لأنهم يقولون إن يسوع كان ينطق بهذه الإعلانات فى بعض المواقف ، وكان السامعون يحفظون هذه الأقوال القوية ولكنهم ينسون الموقف الذى قيلت فيه ، ولهذا فكانوا يجمعون هذه الأقوال معاً لتشابهها معاً . ويقولون إن هذه الأعداد من نفس هذا الصنف.

وسواء أكانوا محقين أم غير محقين فإننا هنا سنعامل كل عدد على حدة :

١ — كل واحد يملح بنار . هذا يرجع بنا إلى العبادة اليهودية عندما كانوا يقدمون الذبائح . فقبل تقديمها على مذبح المحرقة كانوا يضعون الملح على الذبيحة وكان هذا الملح يسمى ملح العهد [لاويين ٢ : ١٣ ، عدد ١٨ : ٩ ، ٢ أخبار ١٣ : ٥] ، وهو ضرورى لقبول الذبيحة ، وكان يسوع يقول « قبل أن تقبل الحياة المسيحية يجب أن يملح بنار كما كانت كل ذبيحة تملح بملح ، هذه النار هى التى تجعل هذه الحياة مقبولة لدى الله . فماذا يعنى ذلك ؟ للنار عملان :

(ا) التطهير : إن النار هى التى تنقى المعدن فتعزل الشوائب ويبقى المعدن نقياً بعد ذلك . فهى إذن تشير إلى تطهير الحياة .. إنها تعنى التدريب على هزيمة الخطية فتتنقى النفس . فالحياة المملحة بالنار هى الحياة التى تنقت بواسطة قبول عمل الله وطاعته الكاملة وقبول اعلاناته .

(ب) الإبادة : فالحياة التى جازت فى الاضطهادات والتجارب والمتاعب ونجحت ، هى الحياة المقبولة لدى الله. وكل من قبل راضياً ضياع ممتلكاته ، بل وضياع حياته لأجل يسوع المسيح حياته ملحت بالنار .

فهذا القول الأول تعنى الحياة التى ظهرت بالتدريب والمضايقات هى الحياة المقبولة لدى الله .

٢ — أما العدد الثانى فهو أصعب فى تفسيره ، وإن كنا هنا نذكر أحد التفاسير فإننا لا نشك أن هناك تفاسير كثيرة أخرى . ما معنى أن الملح إذا فقد ملوحته فهو لا يملح ؟ إننا نفهم ذلك إذا عرفنا خصائص الملح ، فهناك خاصيتان مهمتان :

(ا) إنه يعطى طعماً جيداً للطعام . وكلنا يعرف طعم البيضة أو أى طعام إذا أكلناه بدون ملح .

(ب) والملح يستخدم لحفظ الأشياء من الفساد، وكان اليونانيون يعتقدون أن الملح يعمل عمل الروح فى الجسد . فاللحم المذبوح لو ترك لنفسه فسد ولكنه لوحفظ فى الملح بقى طازجا وكذلك المسيحى فإنه يعيش فى وسط عالم وثنى .. عالم لا يعرف مبادئه ، وهذا العالم يتصف بأمرين وخصوصاً فى عهد الكنيسة الأولى :

١ — إنه مضايق ولا يطاق ، وهو فى نفس الوقت عالم قلق ، وما كان انغماس هذا العالم فى الترف الواسع الاعلامة على قلقه وعدم معرفته للحياة الحقيقية كما قال م. أرنولد الشاعر :

لقد امتلأ ذلك العالم بالاحتقار والحياة الفاسدة .

وجعلت القلق من حياة الناس جحيما .

وكان الأمراء الرومان ينامون فى حجراتهم المترفة .

يأكلون ويشربون ، ثم يصومون ويتقشفون .

ويتوجون أنفسهم بالزهور ..

كل ذلك ليقضون الساعات الطويلة المرعبة .

فنى هذا العالم المتعب القلق الذى ينحدر نحو التعفن جاءت المسيحية وكان عليها أن تعطى طعماً جديداً لهذا العالم وتحفظه من الفساد .

٢ — كان العالم منحلا ، ولكم امتلأت روما إلى أنفها بالفساد والإنحلال،

ولكن فيها جاءت المسيحية وكان عليها أن تكون ترياقا لذلك السم القاتل وتحمى المجتمع كما يحمى الملح الطعام من الفساد .

وكأنى بيسوع إذن يقول « العالم يحتاج إلى الطعم الطيب والحفظ من التعفن ، ولا يمكن أن يهبهما له إلا المسيحى ، فلو فقد المسيحى هذه الصفات فمن أين للعالم بها ؟ » فإن لم يملح المسيحى العالم ، إن لم يتغلب على ما فيه من قلق واضطراب بقوة المسيح فكيف يحيا هذا العالم المسكين ؟

٣ — ليكن لكم ملح فى أنفسكم وعيشوا فى سلام كل واحد مع الآخر . الملح طاهر فى نفسه ، وفى العالم القديم عرف الناس أنه لا يوجد أنقى من الملح لأنه يأتى — كما كانوا يعتقدون من أطهر مصدرين « الشمس والبحر » . ودلالة نقائه هو بياضه الناصع . وعلى هذا يمكن أن نقول « ليكن فيكم الروح المطهر .. الروح القدس .. ليطهركم من الأنانية وحب الذات وكراهة الآخرين .. ليطهركم من الغضب والقلق والحقد .. وعندئذ تستطيعون أن تعيشوا فى سلام مع الناس حولكم . وبمعنى آخر كان المسيح يقول : إن الشخص الذى طهر من محبة الذات وامتلأ بالمسيح هو الذى يستطيع أن يحيا حياة الحب مع الآخرين حوله .

اَلأَصْحَاحُ الْعَاشِرُ

للخير أم للشر

وَقَامَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ أَيْضًا وَكَعَادَتِهِ كَانَ أَيْضًا يُعَلِّمُهُمْ .

فَتَقَدَّمَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَسَأَلُوهُ . هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِيُجَرِّبُوهُ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى . فَقَالُوا مُوسَى أَذِنَ أَنْ يُكْتَبَ كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلَّقَ . فَأَجَابَ يَسوعُ وَقَالَ لَهُمْ . مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هٰذِهِ الْوَصِيَّةَ . وَلٰكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللّٰهُ . مِنْ أَجْلِ هٰذا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ . وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا . إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ . فَالَّذِي جَمَعَهُ اللّٰهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ . ثُمَّ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا عَنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى

يَزْنِي عَلَيْهَا . وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي . .

(مرقس ١٠ : ١ ـ ١٢)

استمر يسوع فى طريقه إلى الجنوب فوصل إلى اليهودية ولكنه لم يدخل إلى أورشليم وهكذا كان يقترب من النهاية خطوة خطوة . وفى مكان ما جاءه جماعة من الفريسيين لكى يسألوه عن مشكلة حيرت كل المدارس اليهودية الدينية وهى مشكلة الطلاق . ولسنا ندرى بالضبط ماذا كانت الدوافع الحقيقية وراء هذا السؤال ، هل كانوا يريدون أن يعرفوا رأى يسوع ليستنيروا به فى هذه المشكلة ؟ لابد أن يسوع تكلم مرات أخرى عن الزواج بواحدة وبأكثر من واحدة . فهل كانوا يريدون أن يسموه مناقضاً لكلامه فى مرات سابقة ؟ أم أنهم أرادوا أن ينقلوا كلامه إلى هيرودس الذى كان قد طلق امرأته ، وبذلك يدفعونه إلى أيدى ذلك القاتل ؟ أم أنهم أرادوا أن يظهروا مدى كسره للتقاليد والناموس فيتخذونها علة ضده ويهلكونه ؟ ومع أن شيئاً من هذا لم يكن واضحاً ، لكن الأمر المؤكد هو أنهم حملوا إليه مشكلة ليست فى حقيقتها مشكلة أكاديمية ، تبحث بين جدران المدارس ، بل هى مشكلة يومية شعبية تمس الناس فى أقدس مقدسات حياتهم .. الأسرة .

ومن الناحية النظرية كان الزواج اليهودى يعد المثل الأعلى للزواج ، فالطهارة الروحية كانت المثل الأعلى لليهودى وهى أهم الفضائل الأخلاقية . ولقد قالوا : « يصبر الله على كل خطية ماعدا النجاسة . النجاسة تجعل الله يترك شعبه . يجب أن يضحى اليهودى بنفسه فى سبيل ألا يعبد الأصنام أو يقتل أو يزنى »

إن المذبح نفسه يبكى عندما يطلق الرجل امرأته » . هذه مثل عظيمة . . ولكن الحياة العملية أظهرت غير ذلك وعكس ذلك .

إن المشكلة فى الحياة الأسرية اليهودية كانت تكمن فى نظرة الرجل للمرأة فلم يكن ينظر إليها كشخص نظيره بل كمتاع يملكه ؛ فهو حر يتصرف فيها كما يشاء ، ويستطيع أن يطلقها كما يشاء ولأتفه الأسباب ، بينما لا تستطيع هى أن تطلقه إلا لأسباب قاهرة ، كأن يصاب الزوج بالبرص أو يشتغل فى صناعة محتقرة كدبغ الجلود مثلا ، أو أن يغتصب عذراء ، أو أن يتهمها باطلا فى سلوكها قبل الزواج . هذه هى الأسباب التى لأجلها تستطيع المرأة أن تطلب من زوجها أن يطلقها .

ولقد بنى اليهود مسألة الطلاق على ما جاء فى تثنية ٢٤ : ١ « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاقه ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته » . وكانت وثيقة الطلاق فى بداءتها بسيطة « ليكن هذا منى كتاب طلاقك وخطاب إطلاقك من عصمتى وتحريرك حتى تستطيعى أن تتزوجى من تريدين » . ولكن بمرور الأيام تعقدت الوثيقة وصارت هكذا « إنه فى يوم — أسبوع — شهر — سنة — من العالم . بحسب التاريخ المستعمل فى مدينة — الموجودة على شاطىء نهر — أنا فلان الفلانى وبأى اسم أنادى ، حاضر هذا اليوم — مواطن من مدينة — بحسب رغبتى وبدون ضغط خارجى . أنكرك وأرسلك لأهلك وأبعدك يافلانة الفلانية بأية اسم تدعين ويمكنك أن تتزوجى من تريدين فلا يعيقك أحد . هذا هو خطاب طلاقك وإنكارك وانفصالك عنى بحسب ناموس موسى

واسرائيل » وكانت تحتاج إلى كاتب ماهر ليصيغها ثم يجب أن تقبل على يدى ثلاثة قضاة ثم تحفظ فى السنهدريم . لقد كان الطلاق سهلا .

لكن المشكلة كلها جاءت من تفسير هذا العدد السابق وخصوصاً التعبير « إذا وجد بها عيب شىء » . ولقد انقسم الفكر اليهودى إزاء هذا التعبير إلى مدرستين : المدرسة الأولى مدرسة شماى فسرت العيب بأنه عيب الزنى فقط وقال شماى المعلم الأكبر « لتكن المرأة رديئة رداءة إيزابل إمراة أخاب ولكن إن لم تكن زانية فلا يمكن أن تطلق »، أما المدرسة الثانية فهى مدرسة هليل وقد فسرت هذا العيب على أنه شىء لا يعجب الزوج ، فمثلاً : قد يعتبر عدم مهارة المرأة فى عمل الطعام عيباً تطلق عليه ، وكذلك إن امسكت بمغزلها وغزلت فى الطريق أو إن كلمت شخصاً غريباً أو إن سمع صوتها من بيت الجيران . بل ذهبت مدرسة أكيبا إلى أبعد من ذلك فقالت : إن راقت إمرأة أخرى فى نظر الزوج فإنه يستطيع أن يطلق زوجته . وبذلك أضحى الطلاق منتشراً لأسباب واهية إن لم يكن بدون سبب ، حتى أن النساء ترددن فى الزواج لأنهن عرفن أنه مشروع غير مضمون . ولهذا فقد وقف يسوع بجانب المرأة وأراد أن يكون الزواج فى مركزه المناسب .

ونلاحظ هنا بعض الأشياء : أولا إن يسوع قد اقتبس من التشريع الموسوى ولكنه أضاف بأن موسى قد وضع هذا التشريع لقساوة قلوبهم . وهذا التعبير إما أنه يعنى أن موسى لم يجد أحسن من هذا التشريع لهذا الشعب القاسى ، وإما أنه وجد أن الطلاق قد انتشر بشكل فظيع فأراد أن يحد منه فوضع هذا التشريع حتى لا يتفشى بالوباء . وبهذا يكون تثنية ٢٤ : ١ عبارة عن تشريع وضع

لغرض مخصوص فى موقف معلوم ولم يقصد به البقاء الأبدى . أما المكان الذى اقتبسه هو وبنى عليه رأيه فهو فى تك ١ : ٢٧ ، ٢ : ٢٤ حيث يقول إن الله خلق ذكراً وأنثى فى رباط واحد دائم لا يستطيع أى تشريع بشرى أن يفصمه . إنه تشريع طبيعى من صميم الكون الذى لا تتغير قوانينه بحيث يصبح الإثنان واحداً .

ولكن المشكلة هنا تكمن فى أنه بينما ينفى مرقس الطلاق بتاتاً نجد متى يذكر حالة واحدة يجوز فيها الطلاق وهى الزنى ، ومتى صادق فى ذلك إذ أنه يكتب لليهود ، وفى الحقيقة نستطيع أن نلمس ذلك فى قصة مرقس أيضاً ، لأن الزنى يقطع العلائق الزوجية حتماً . فعندما ارتكبت هذه الخطية أصبحت العلاقة غير ممكنة وصار الطلاق جائزاً جداً .

لكن الشىء الأساسى فى هذا الفصل هو أن يسوع حزن عندما رأى حالة البيت والأسرة محطمة ، فأراد أن يذكر أولئك الذين ظنوا أن الزواج وجد للمتعة فقط ، ولكنه مسئولية أيضاً ، ورابطة روحية عميقة . إن يسوع بذلك كان يبنى دعامة قوية تسند البيت المتداعى .

لمثل هؤلاء ملكوت السموات

وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَدًا لِكَىْ يَلْمِسَهُمْ . وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ . فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذٰلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَىَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هٰؤُلاَءِ

مَلَكُوتَ اللهِ . الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ . فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ .

(مرقس ١٠ : ١٣ — ١٦)

كان من عادة الأمهات اليهوديات أن يحضرن أطفالهن خاصة فى عيد ميلادهم الأول إلى أحد كبار معلمى اليهود لكى يضع يديه عليهم ويباركهم ، ولهذا فقد جاءت الأمهات إلى يسوع بأطفالهن لهذا السبب عينه

وجمال هذه القصة وعمقها يظهران فى الظرف الذى حدثت فيه ، فلقد كان يسوع سائراً إلى أورشليم وهو يعلم أن شبح موته مخيم عليه ، إن المأساة لا بد آتية ولا بد أنه كان يفكر فيها كثيراً ، ولكن رغم هذا كله وجد الوقت الذى فيه يقبل هؤلاء الأطفال إليه . رغم ظلال الألم الكبير الذى كان يلوح فى الأفق فتح يسوع ذراعيه لهم وانفتح قلبه فرحا بهم فابتسم . ولا بد أنه لعب معهم بعض الشىء . ولهذا السبب عينه أراد التلاميذ أن يبعدوهم عنه . إنهم ليسوا غلاظ القلوب لا يحبون الأطفال ، إنهم أرادوا أن يوفروا الوقت ليسوع ، إنه مثقل ، إنه ينظر إلى المأساة فلماذا لا يتركونه الآن وحيداً ، لماذا يتعبونه أكثر من ذلك .. ولكن رغم كل ذلك قال يسوع « دع الأولاد يأتون إلىّ » .

وهذه القصة تكشف لنا بعمق عن شخصية يسوع . فالشخص الذى يهتم بالأولاد والذى يهتم به الأولاد ، لا بد أنه شخص بشوش الوجه ، يبتسم

ويضحك من قلبه ، ليس من طبعه التكشير والغضب ، ولهذا وجد الأطفال جرأة أن يجروا إليه . ولقد قيل « إن المسيحى الحقيقى هو من تجد الأطفال يلعبون حول داره وأمام بيته » . هذه القصة أوضحت حلاوة شخصية يسوع .

« لمثل هؤلاء ملكوت السموات » فما هو الشخص الذى يراه يسوع فى الأطفال ؟

١ – **تواضعه** : إن الطفل متواضع بطبعه ، إنه لم يتعلم بعد أن يفكر فى قيمته الاجتماعية ومكانته العامة . إن الأطفال الذين يهتمون بالمظاهر قلة تكاد تكون معدومة ، وإن وجدوا فهم ضحية تربية خاطئة . إن الطفل متواضع .

٢ – **طاعته** : قد يعصى الطفل بعض الأوامر ولكنه مطيع بطبعه ، إنه لم يتعلم بعد الاستقلال المفتعل الذى يفصله عن الآخرين وعن الله .

٣ – **ثقته** : وهذه تظهر فى أمرين :

(ا) فى قبوله للسلطة : إنه يظن أن أباه يعرف كل شىء وهو صادق فى كل قول . وقد يكتشف نقص هذا الاعتقاد ولكن بعد أن يكبر ، ولهذا فهو يثق فيه .

(ب) ثقة فى الآخرين : إنه لا يتوقع أن يكون الشخص الآخر شخصاً رديئاً . إنه يصادق الغرباء ، ولقد قال أحد عظماء الرجال : إن أعظم مدح سمعه فى حياته هو عندما جاءه أحد الأطفال الغرباء وطلب منه أن يربط له حذاءه .

فالطفل يثق فى العالم كله .. قد يكون هذا خطر عليه لأن هناك أشراراً لا يستحقون هذه الثقة ولكن الطفل يثق فى الكل ولا يعتقد الشر فى أحد .

٤ – للطفل ذاكرة صغيرة : لم يتعود أن يحتفظ بالكراهية والمرارة بعد ولو عومل بالقسوة . إنه ينسى نسياناً تاماً حتى أنه لا يحتاج إلى أن نطلب منه المسامحة .

ولهذا : فلمثل هؤلاء ملكوت السموات .

كم من الصلاح تحتاج

وَفِيماَ هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ رَكَضَ واحِـدٌ وَجَثاَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَيُّهاَ الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَياَةَ الأَبَدِيَّةَ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا . لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ . أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَاياَ . لاَتَزْنِ . لاَتَقْتُلْ . لاَتَسْرِقْ . لاَتَشْهَدْ بِالزُّورِ . لاَتَسْلُبْ . أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ يَا مُعَلِّمُ هٰذِهِ كُلُّهاَ حَفِظْتُهاَ مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ وَقَالَ لَهُ يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ . اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَالَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً

الصَّلِيبَ . فاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِيناً لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ .

(مرقس ١٠ : ١٧ — ٢٢)

هذه القصة تعتبر من أقوى قصص الأناجيل .

١ — إن الطريقة التى بها جاء هذا الشاب إلى المسيح كانت طريقة غريبة على شخص غنى ارستقراطى . فهو يأتى ساجداً أمام نبى فقير من الناصرة يسير فى طريق الحكم عليه بالموت .. ثم يبدأ قوله بسرعة : «أيها المعلم الصالح» ولكن يسوع يجيبه بسرعة أيضاً ويقول له « لا تتملق .. لا صالح إلا الله » وبهذا ألقى على هذا الشاب المتحمس ماءً بارداً ، ويلوح أن سلوك هذا الشاب الغريب جاء نتيجة للحظة حماسية عاطفية شديدة ، ولكن يسوع أظهر سلطانه الشخصى عليه وظهر ذلك فى ناحيتين : الناحية الأولى هى أن يسوع لم يؤخذ بالعواطف ، ولم يضرب على الحديد السخن كما يرى الكثيرون ذلك . إنه يقول للشاب : إنتظر .. تأمل وفكر فيما أنت قادم عليه إنه لا يجمد الشاب فى موقفه .. إنه لا يصده ، بل يحاول أن يدع هذه العاطفة تخضع لسلطان التفكير وإلا لانهار ، كل البنيان بمجرد أن تخمد . على كل إنسان أن يحسب النفقة قبل أن يتقدم للعمل .

الناحية الثانية هى أن يسوع أشار إلى الله مباشرة . وهو هنا يعلمنا درساً نحن فى شديد الحاجة إليه : إن الوعظ والتعليم ينبغى أن يوجها الناس إلى الله لا إلى شخصية الواعظ أو المعلم . إن الخطر الأكبر يكمن فى أن المتعلم يتعلق بالواعظ ويترك الله ، إننا لا ننكر أن الحق الإلهى يأتى عن طريق شخصية

وأن الإخلاص لهذه الشخصية مهم لفهم الحق الإلهى ، ولـكن يجب أن يعطى الحق الإلهى الفرصة الأولى ويفضل عن الشخصية .. الله أولا .

٢ — وهنا يتضح بكيفية واضحة أن احترام الغير وما يمتلك غير كاف فى المسيحية ، إن الشخص المحترم هو شخص عظيم ولـكنه ليس مسيحياً حقيقاً . ولقد اقتبس يسوع الوصايا التى تعبر عن الحياة المحترمة ، وعرف أن الشاب عملها كلها . لـكن هذه الوصايا ، باستثناء الوصية الخاصة بالعلاقات الأسرية ، كانت وصايا سلبية . إنه يحتاج إلى أكثر من ذلك . إن العلاقة المسيحية هى علاقة إيجابية إنه لا يكفى أنك لا تعمل ضرراً للناس ، بل يجب أن تعمل خيراً فيهم .. يجب أن تحبهم هنا يقول السيد لهذا الشاب : إن حياتك ناقصة .. يعوزك شىء واحد .. وهذا الشىء هو أهم عنصر فى حياة إنسان يحب الحياة الأبدية .

٣ — هنا يواجه يسوع الشاب بتحد حقيقى كأنه يقول له « أخرج من وقارك الشخصى هذا ، كف عن تفكيرك . إن الحياة الأبدية هى ألا تعمل شيئاً ضاراً .. إعمل خيراً فى الناس وأنت تجد الحياة الأبدية والسعادة الـكاملة . أخرج عن نفسك وعن ممتلكاتك ، لقد كنت محترماً فلم تسرق الآخرين ولـكنك لم تـكن مسيحيا فتعطى الآخرين وتقاسمهم ما عندك .. إنك لم تظلم ولم تغش ولـكنك لم تساعد ولم تحب ولم تضح » . إن الحياة المحترمة هى ألا تؤذى أحداً أما الحياة المسيحية هى أن تنفع الـكل ، ماذا يظن هذا الشاب فى المسيحية ؟ كم تـكلفه ؟ إن يسوع يقول له « هل تريد مسيحية تـكلفك كل ما تملك ؟ » فيقول الشاب « أريد المسيحية ولـكنى لا أريد أن أتـكفل بشىء مما تطلب » وهنا يكمن مرض هذا الشاب . المرض الذى أصيب به كثيرون من المسيحيين

إنه لم يرد المسيحية الكاملة .. إنه أراد المسيحية بما فيها من امتيازات ولكن المسيحية التي تدفع .. المسيحية التي تتكفل ، فلم يرد منها شيئاً .

ونظر يسوع إلى الشاب وأحبه .. إن هذه النظرة تحوى أشياء .

(ا) إنها تحوى المحبة التي تدعوه .. إنه لم يكرهه .. لقد أحبه محبة عظيمة ، وهذه المحبة دفعته لأن يطالب منه ما طلب .

(ب) وكان فيها تحدى لمروءته .. إنها نظرة تدعوه لأن يترك حياته الناعمة الأنانية ليدخل إلى الحياة المسيحية الجريئة .

(حـ) إنها نظرة الحزن ، وهو حزن أصيل قارس ، لأنه حزن الرجل الذى رأى إنساناً اختار بمحض إرادته طريق الرفض ، عمل ما لا يحل عمله ورفض ما لا يحل رفضه .

وهكذا ينظر إلينا يسوع ، إنها نظرة المحبة الداعية والمتحدية لمروءتنا والحزن على رفضنا إذا رفضنا لا سمح الله ..

خطورة الغنى

فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ . فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ . فَأَجَابَ يَسوعُ أَيْضًا وَقَالَ لَهمْ يا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ . مُرُور جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ

مِنْ أنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إلَى مَلَكُوتِ اللهِ . فَبُهِتُوا إلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهمْ لِبَعْضٍ فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أنْ يَخْلُصَ . فَنَظَرَ إلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ . عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ . وَلٰكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ .

(مرقس ١٠ : ٢٣ - ٢٧)

رفض الشاب الغنى دعوة يسوع ومضى حزيناً ، ولا بد أن عيني يسوع وعيون الجمع الواقف معه تتبعت هذا المسكين إلى أن غاب عن الأنظار ، وهنا يلتفت يسوع إلى من حوله ويقول « ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت السموات » ولقد استخدم كلمة كرنياتا Kremata التى يعرفها أرسطاطوليس بأنها « كل الأشياء التى تقاس قيمتها بالأموال » . ولقد ذهل التلاميذ عندما سمعوا قول يسوع هذا ولا ندهش نحن من اندهالهم لأن قول يسوع قلب كل المعايير اليهودية رأسا على عقب . فقد كان اليهود يعتقدون أن الغنى هو علامة من علامات رضا الله على الغنى ، ولولا أن الإنسان صالح لما رضى الله عنه وأعطاه المال الوفير ، وهذا ما يؤيده قول المزامير : « كنت فتى وقد شخت ولم أر باراً تخلى عنه ولا ذريته تلتمس خبزاً [مزامير ٣٧ : ٢٥] . ولا بد أنهم حاولوا أن يناقشوا يسوع فى هذا القول، لأن الرجل الغنى هو الرجل الذى يدخل ملكوت الله بسهولة تامة . ولكن يسوع يكرر قوله مرة أخرى بطريقة أكثر وضوحاً « ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله » . ولم يكن هناك من استطاع أن يرى خطورة الغنى والنجاح أكثر من يسوع ، فما هى هذه الأخطار ؟

١ — إن الثروة تشجع الإنسان على التمسك بهذا العالم ، فلديه ما يربطه به ، لديه ما يهتم به فيه حتى أنه من الصعب عليه أن يتركه أو ينساه . وعندما رأى أحدهم إحدى القلاع وما تحويه من الغنى قال « هنا أشياء تجعل التفكير في الموت صعباً جداً » إنها ثبتت أنظار الإنسان على هذه الدنيا .

٢ — وإذا تمسك بالعالم جعلته يفكر في كل شيء بلغة المال لا بلغة القيمة الحقيقية . كتبت زوجة أحد الرعاة خطاباً إلى إحدى الصحف تقول فيه : لقد ولد أبناؤها في الجبال وشبوا وترعرعوا في بساطة ومحبة وإخلاص . ولكن يوماً ما وجد أبوهم عملا في المدينة ، وسكنت الأسرة كلها في المدينة ، وبدأ الأولاد يحسون بحياة المدينة وينجرفون إليها وتغيروا من بساطتهم وإخلاصهم إلى مستوى منحط من الأخلاق ، وهنا تصرخ الزوجة في خطابها « أيهما أفضل أن يحيا الإنسان في الجبال وهو يتحلى بالإخلاص والبساطة أم يعيش في وسط هذه المدينة فيقيس كل شيء بالمال ؟ » . نعم إن المسك بالعالم يظن أن كل شيء يمكن أن يشترى بالمال ، إن كل قيمة لا تثمن إلا بالمال وينسى أن هناك قيما لا يستطيع المال مهما كثر أن يشتريها . إنه من المحزن أن يفكر الإنسان في أن يشترى كل شيء بماله .

٣ — إن مغزى كلام يسوع أن امتلاك الأموال هو أمران :

(ا) انه اختبار شاق للانسان : فقد يجوز مائة رجل في اختبار الفقر وينجحون ولكن القليل جداً من يثبت في تجربة الغنى ، فالغنى كثيراً ما يخلق من صاحبه رجلا متعجرفاً متكبراً مستبداً . إن الرجل الحقيقي هو الذى يثبت في تجربة الغنى .

(ب) إنه مسئولية : فالإنسان يقاس بأمرين : كيف جمع أمواله وكيف ينفقه ، وبكثرة ما حصل بكثرة ما تقع من مسئولة عليه ، فهل يستخدمه إستخداماً أنانياً أم استخداماً كريماً ؟ أيستخدمه كأنه ملكه لوحده أم كأنه وكيل عن الله ؟

وحالا ظن التلاميذ من كلام يسوع أن الخلاص مستحيل على الجميع إذن . ولكن رد عليهم يسوع « عند الناس غير مستطاع ولكن ليس عند الله « لأن كل شيء مستطاع عند الله » . الرجل الذى يتكل على ماله لا يستطيع أن يخلص أما الذى يثق فى قوة الله المخلصة ينال الخلاص . هذا فكر يسوع وبولس وهو الفكر الأساسى فى كل الأيمان المسيحى .

المسيح ليس مديناً لأحد

وَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَقُولُ لَهُ هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً لِأَجْلِي وَلِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ . إِلَّا وَيَأْخُذُ مِائَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هٰذَا الزَّمَانِ بُيُوتاً وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلَاداً وَحُقُولاً مَعَ اضْطِهَادَاتٍ وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ . وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ وَالْآخِرُونَ أَوَّلِينَ .

(مرقس ١٠ : ٢٨ ـ ٣١)

بدأ عقل بطرس يعمل ، ويدأ لسانه يسرع فيعبر عما يعتمل فى قلبه وعقله . لقد رأى الشاب يرفض دعوة يسوع « اتبعنى » ولقد سمع يسوع يعلن أن المسكين لم يقدر أن يدخل ملكوت السموات ، وهنا بدأ يذكر تلك الدعوة التى وجهت له هو وزملاؤه التلاميذ ، ثم يذكر كيف تركوا كل شىء وقاموا ليتبعوه ، فماذا سيكون لهم نتيجة لذلك ؟ ولقد جاوبه يسوع ، وإجابته تقع فى ثلاثة أقسام :

١ — قال يسوع إن أحداً لا يعطى شيئاً لملكوت الله إلا ويأخذ مائة ضعف . ولقد حدث ذلك فعلا فى أيام الكنيسة الأولى ، فقد حدث كثيراً أن اعتنق أحدهم العقيدة المسيحية فما كان من أسرته إلا أن طردته من بيتها ، فخرج من المنزل والأسرة ، لا ليتشرد ، بل ليجد مئات البيوت تفتح له ومئات الأسر تستقبله ؛ وأبرز مثال على ذلك هو بولس نفسه ، فعندما أغلق فى وجهه منزل أسرته ذهب إلى أسرته المسيحية الكبرى لا فى أنطاكية فقط بل فى دمشق وأورشليم .. فى أوربا وأسيا الصغرى ، فى فلسطين واليونان فى كل مكان وجد البيوت والأسر المسيحية . إنه يقول عن أم روفس إنها أمه (رومية ١٦ : ١٣) وعن أنسيموس إنه إبنه (فليمون ١٥) . إن أسرته الجسدية رفضته فاحتوته أسرته فى المسيح . بينما كان أحد المرسلين يخدم فى وسط الهنود الحمر الذين اتخذوا من الرعد والبرق آلهتهم ، إندهلوا عندما سمعوه يصلى إلى الله الآب . وجاء إليه شيخ القبيلة وقال له « هل تقول إن الله أبوك » أجاب المرسل « نعم إنه أبى » وهل يمكن أن يكون « أبى أنا أيضاً ؟ » قال المرسل « إنه أبوك » فأجاب الشيخ وهو يمد يده إلى المرسل « إذن أنت أخى .. هات يدك » نعم إنه

أخوه . قد يضحى إنسان بالربط الأسرية ولـكنه يجد أسرة متسعة إتســـاع الأرض والسماء .

٢ — ولـكن يسوع يضيف شيئين لذلك :

(ا) إنه أضاف أن هناك **اضطهاد** وبذلك قطع حبل التفـكير المادى الذى يغرى السامعين بأن ينغمسوا فيه . إن المـكافأة ليست مـادية . وبذلك يظهر يسوع فى مجد أمانته لأنه لم يمنح الناس طريقاً سهلا . إن طريق المسيحية طريق صعب . ثم إنه لم يرشُ إنساناً بل تحدى الجميع ، إنه يقول لهم « نعم لقد وضعت لك المـكافأة ولـكن إن كنت تستحقها .. إن كنت رجلاً مغامراً » .

(ب) أما الشيء الثانى الذى أضافه فهو **فكرة العالم الآتى** : إنه لم يعد مكافأة فى العالم الحاضر ، إنه لا يتاجر هنا . الله لا يملك فقط هذا العالم لـكى يصفى حسابه مع الناس . إنه يملك العالم الآتى أيضاً .

٣ — ثم يضع **تحذيرا** « لأن كثيرين أولون سيكونون آخرين وآخرون أولين » إنه تحذير لبطرس الذى ربما أحس بالفخر وبأنه سينال المجازاة ولـكن يسوع قال له « إن الحـكم مع الله وقد يذهل العالم عندما يعرف الحـكم الإلهى ، وقد يظن أحدهم أنه فى المقدمة ، فيجد نفسه فى آخر الصف . إنه تحذير من الـكبرياء ، إن القرار النهائى فى يد الله الذى يعرف خفايا القلوب .

النهاية تقترب

وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ . فَأَخَذَ الاثْنَى عَشَرَ أَيْضاً وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ . هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ . فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ .

(مرقس ١٠ : ٣٢ — ٣٤)

هذا وصف حى مؤثر لصورة حية قوية تخفى أعمق أسرار الطبيعة البشرية ، فحياة يسوع الآن تدخل المراحل الأخيرة ، لأنه ثبت وجهه نهائياً إلى أورشليم. ولقد كان مرقس قاطعاً في تحديد إتجاهات المسيح وخدمته ، فبعد خدمته في الجليل سار إلى الشمال إلى مقاطعة قيصرية فيلبس ، ثم الرحلة إلى الجنوب ثم قضاء بعض الوقت في الجليل ، ثم الرحلة إلى اليهودية عن طريق عبر الأردن ثم تأتى الرحلة الأخيرة ، الطريق إلى أورشليم .

هذه الصورة تظهر شيئاً عند يسوع .

١ — **وحدته** : ساروا في الطريق وكان يتقدمهم .. وحيداً .. وأحسوا بالخطر الداهم فارتبكوا واضطربوا ولم يستطيعوا أن يسألوه شيئاً . وكان على يسوع أن يقرر وحده فلو شارك التلاميذ في هذا القرار لحاولوا جهدهم أن يثبطوا

عزمه . وهناك بعض الأمور التى يجب أن يواجهها الإنسان لوحده .. وبعض الطرق التى يطرقها بنفسه ، ولـكنه مع ذلك ليس وحيداً ، إنه يجد نفسه مع الله ، إن الله لا يتركه .

لا شيء أمامى .. لاشيء خلفى .. إنما هو الإيمان

ولو سقطت فى هذا الفضاء النهائى .. سأجد نفسى مثبتاً على صخرة .

كان يسوع وحيداً .. ولـكنها وحدة وقوفه مع الآب وجهاً لوجه .

٢ ـ **شجاعته** : لقد ظهرت شجاعة يسوع المطلقة هنا . لقد ذكر مرقس أن يسوع أعلن ثلاث مرات عن المصير الذى يواجهه ، ولـكن فى كل مرة كانت الصورة تقسو عن سابقتها ، فنى المرة الأولى كان إعلاناً بسيطاً (مرقس٨ : ٣١)، المرة الثانية أضاف الخيانة (٩: ٣١) والمرة الأخيرة هنا أضاف الإهانة والبصق والاستهزاء . وكأنما أراد يسوع أن يكشف للتلاميذ رويداً رويداً عما ينتظره ولـكنه مع ذلك كان شجاعا . والشجاعة فى حقيقتها نوعان : النوع الأول هو شجاعة رد الفعل . أى أن بعض الناس عندما يواجههم موقف عصيب فجأة ينقلب من شخص هادىء إلى شخص جبار ، إنه يصبح قويا يواجه كل المتاعب.. إنها شجاعة بنت ساعتها لم يفكر فيها الإنسان من قبل . ولـكن هناك نوع آخر من الشجاعة وهى التى ترى المصير المحتوم من قبل أن يحدث ، وبذلك يعطى للشجاع فرصة للرجوع وعدم مواجهة الموقف ، ولـكنه مع ذلك يواجه بقلب ثابت ذلك الموقف دون الهروب ، هذه هى الشجاعة النبيلة . إن المواجهة الثابتة الغير مضطربة أو مهتزة هى الشجاعة السامية حقاً ، ولو لم يكن هناك من مقياس أسمى لقلنا إن يسوع كان أشجع شجعان الأرض .

٣ ـ **شخصيته المحبوبة** : لقد أيقن التلاميذ أن يسوع فى طريقه إلى الموت لقد أعلن لهم ذلك . . وفى الوقت نفسه كانوا يوقنون أنه هو المسيا الذى انتظروه طويلا ، ولكن ضع الإثنين جنباً إلى جنب أمام كل يهودى فلا بد أنها تكون معادلة مبتورة لا تعنى شيئاً مهماً . . وهذا ما جعل التلاميذ يضطربون ، كيف يكون المسيا وكيف يموت ؟ ولكن مع ذلك فلم يستطيعوا أن يرجعوا إلى الوراء .. لقد أحبوه . . لقد رأوا فيه صديقهم الأكمل .. إن محبتهم الأصيلة تلك المحبة التى ثبتت رغم القلق والغموض الذى يكتنفهم ، هذه المحبة نحتاج إليها كلنا . إن شخصية يسوع شخصية طاغية محبوبة رغم ما تقابل فى حبها من عنت وقلق واضطهاد .

مطلب الطموح

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبَدِى قَائِلَيْنِ يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ تَفعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا . فَقَالَ لَهُمَا مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا . فقَالاَ لَهُ أعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ والآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ . فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ . أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا . فقَالاَ لَهُ نَسْتَطِيعُ . فَقَالَ لَهُما يَسُوعُ أَمَّا الْكَأْسُ الَّتى أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا وبالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغ

بِهَا أنَا تَصْطَبِـغَانِ . وَأمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أنْ أُعْطِيَهُ إلاَّ لِلذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ .

(مرقس ١٠ : ٣٥ — ٤٠)

هذه قصة كاشفة تعلن لنا عن بعض الأمور .

١ — إنها تعلن لنا شيئا عن مرقس نفسه . هذه القصة كتبها متى فى إنجيله (متى ٢٠ : ٢٠ — ٢٣) . . ولكنه لم يذكر أن التلميذين هما اللذان سألا يسوع بل أن أمهما هى التى جاءت وسألت يسوع عن هذا المركز ويلوح أن متى رأى فى هذا المطلب شيئا لا يليق برسول أن يطلبه . لكن مرقس يذكر أن الطلب جاء من التلميذين نفسيهما ، إنه عرف أن التلاميذ لم يكونوا مجموعة من القديسين بل هم جماعة من الناس العاديين لهم عيوبهم ونقصاتهم فرسم هذه النقصات . عندما طلب كرمويل من مصور القصر أن يرسم صورة له ، رسمها بحيث أخفى عيوبا كانت فى وجهه ، ولما رآها كرمويل ردها قائلاً : « إرسمنى وارسم عيوب وجهى » . هكذا فعل مرقس ، لقد كان دقيقا فى رسم ملامح التلاميذ . إن يسوع كان يرافق جماعة عادية ولقد أظهر فيهم قوته الخلاقة .

١ — إنها تكشف لنا شيئاً عن يعقوب ويوحنا :

(أ) إنها تكشف عن طموحهما ... لقد ظنا أن النصرة النهائية قاربت وأن يسوع سوف يتوج ملكا إذ هو المسيا المنتظر ، فأرادا أن يكونا الأوائل فى ملكوته . لايكون ذلك لأنهما كانا دائما من المجموعة المقربة ليسوع : بطرس ويعقوب ويوحنا ، وقد يكون لأنهما رأيا أنهما أرفع - إجتماعيا - من

الباقين ، فأبوهم كان غنياً حتى أنه يستأجر آخرين ليعملوا معه . على العموم لقد كان قلبهما مملوءا بالطموح الدنيوى . أرادا أن يكونا الأوائل فى ملكوت الله .

(ب) وتكشف عن عدم فهمها ليسوع . إن المشكلة ليست فى أن هذا المطلب قدم ليسوع لكن المشكلة المحيرة هى الوقت الذى قدمت فيه . لقد أعلن يسوع مرة تلو المرة أنه ذاهب إلى الموت والإستهزاء والإهانة ، وكان إعلانه فى هذه المرة واضحا قاطعاً ، ولكنهما لم يفهماه ... لم يعرفا فيه غير مسيا القوة والملك العالمى . ذهنهما كان مغلقاً عن كل فهم آخر . . . لم يفتحه إلا الصليب نفسه .

(حـ) ولكن رغم ماقيل ويقال عنهما فقد كانت هناك حقيقة لامعة فى حياتهما أظهرتها هذه القصة . إنهما لايزالان يؤمنان فى نصرة يسوع . لقد تبعاه كناصرى نجار خرج ليعلم الناس ، تبعاه وهما يشعران أن كل القيادة اليهودية المتعصبة قد وقفت ضده ، تبعاه وهو يعلن أنه سوف يذهب إلى أورشليم ليعذب ويموت . إنهما رغم ذلك لا زالا يؤمنان به وفيه . ومهما قلنا إنهما مخطئان فى تصورهما لكن تبقى حقيقة واحدة لامعة وهى إيمانهما فى يسوع وحبهما العميق له .

٢ — إنها تكشف عن مقياس العظمة فى نظر يسوع . يستخدم يسوع هنا إستعارين من الحياة اليهودية : إستعارة الكأس وإستعارة المعمودية . أما مسألة الكأس فقد كان من عادة الملوك أن يعطوا ضيوفهم الكأس بأيديهم ، فأضحى الكأس رمزاً إلى الحياة والخبرة التى يعطيها الله للناس : كأسى ريا » (مزمور

٢٣ : ٥) تعنى السعادة التى يهبها الله للمرنم . وعندما يرى نصيب الأشرار القاسى يقول « لأن فى يد الرب كأسا وخمرها مختمرة ... » (مزمور ٧٥ : ٨) وعندما يذكر إشعياء المصائب التى قاساها الشعب يستعير الكأس لذلك « شربت من يد الرب كأس غضبه » (إش ٥١ : ١٧) فأضحى الكأس إستعارة للخبرة التى ينالها الانسان من الرب . أما الاستعارة الثانية فهى المعمودية . والكلمة فى أصلها تعنى غطس وقد استخدمت فى تركيب معنى للمجهول بمعنى « يغطّس » وهى تستعمل فى وصف حالة الإنسان الذى يغرق فى خبرة عارمة كأن نقول عن المسرف « إنه غرق فى الدين » وعن السكير إنه « غارق فى الشراب» وعن الحزين إنه « غارق فى حزنه » وعن الصبى فى الإمتحان إنه « غارق فى الأسئلة » وعن السفينة الغارقة إنها « غارقة تحت الأمواج » ، وهذا ما عبر عنه المرنم فى مزمور ٤٢ : ٧ « كل تياراتك ولججك طمت على » وفى مزمور ١٢٤ : ٤ « إذاً لجرفتنا المياه لعبر السيل على أنفسنا » فالإستعارة هنا لاصلة لها بالمعمودية فى معناها الخاص بل أنها تعنى شيئاً آخر ، فكأن يسوع يقول « هل تستطيعون أن تحتملوا مرارة التجربة التى أحتملها أنا ؟ هل تستطيعون أن تواجهوا التغطيس فى الكراهية والألم والموت كما أعطيت أنا أن أجوز فيها ؟» لقد كان قصد يسوع أن يظهر لهذين التلميذين أنه بدون صليب لا يمكن أن ينالا الملكوت فالصليب هو المقياس الحقيقى للعظمة. ولقد جاز هذان التلميذان هذه المعمودية ... فقد قتل يعقوب (أعمال ١٢ : ٢) . وتعذب يوحنا فى أواخر حياته مع أنه لم يمت قتلا . لقد قبلا تحدى يسوع .

٣ — وأخيراً أخبرهم يسوع أن نهاية الأشياء كلها فى يد الله ، إن تقرير مصير كل إنسان من عمله هو ، ونلاحظ هنا أن يسوع لم يشأ أن يتعدى على

عمل الأب بل كانت حياته خضوعا مستمرا له . وأعلن أن إرادة الأب هى التى يجب أن تكون على الأرض كما فى السماء .

ثمن خلاص الإنسان

وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا . فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ . فَلَا يَكُونُ هٰكَذَا فِيكُمْ . بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيماً يَكُونُ لَكُمْ خَادِماً . وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا . لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَل لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ .

(مرقس ١٠ : ٤١ — ٤٥)

لقد أثار عمل يعقوب و يوحنا شعور الغضب بين بقية التلاميذ لأنهم ظنوا أنهما سيسرقان كل امتياز منهم وهبت بينهم المناقشة الحادة عن أيهم أعظم فى ملكوت السموات ، وكان الموقف خطيراً هدد بضياع كل ما عمله يسوع معهم لولا أنه اتخذ قرارا حاسماً . دعاهم إليه وأخذ يوضح لهم جليا معنى العظمة الحقيقية فى ملكوت السموات ، ومدى اختلافها عن المقاييس العالمية ، فالعالم

يقول : كم من الناس تحكم ؟ ما هو حجم الجيش الذى يخدمك ويلبى طلباتك ؟ فى كم من الرقاب تتحكم ؟ ولقد لخص جاليا الأمبراطور الرومانى ذلك بقوله : « إنه أصبح قادراً أن يعمل مايريد فى أى إنسان آخر » . أما ملكوت الله فتتلخص العظمة فيه فى الخدمة ، فهى ليست تسخير الناس لخدمتك بل تسخير نفسك لخدمة الغير .. وشعارها ليس كم من الخدمة أحصل من الناس بل كم من الخدمة أؤدى لهم .

كثيراً مانظن أن تفكير يسوع هذا ووصيته ما هما إلا مثل عليا لا يستطيع إنسان أن يحققها فى هذا العالم ، ولكن لو أمعنا النظر فى الحياة لعرفنا أن هذه سنة الحياة الحقيقية ، فبقدر ما يعطى الإنسان من خدمة بقدر ما يأخذ أجراً أدبيا منهم ، فالشركة التجارية التى تؤدى خدمات أكثر للناس هى الشركة الناجحة الرابحة ، والرئيس الذى يدير عملا ما قد يسهر طويلا فى الليل يؤدى خدمته وعمله بينما يترك مرؤوسيه عملهم قبل انقضاء النهار . إن كارثة الناس هى أنهم يريدون أن يربحوا أكثر ما يمكنهم بأقل عمل يعملون ، ولكن العالم سيتغير إلى أفضل وأعظم لو امتلأ الناس بالمحبة والتضحية والعمل للآخرين . وهذا ما يقوله كبلنج فى حديثه لابنه :

إذا فكرت فى كم أجرا تتقاضى ، وكيف يطعمونك ويلبسونك .

يا ابنى لا تذهب إلى البحر ، فالبحر لا يحتاج إليك .

وإن بدأت تناقش كل أمر ، وتجادل الناس عن نفسك .

يا ابنى لاتذهب إلى الأرض ، فالأرض تنجح بدونك .

وإذا بدأت تتباهى بما عملت وتتفاخر بقيمة مخترعاتك .

قد تزورك الملائكة ولكن العالم فى غنى عنك ياعزيزى .

إن العالم يحتاج إلى جماعة اتخذت من الخدمة مثلها العليا لحققت قول يسوع هذا . ولكى يريهم الطريق أعطاهم يسوع نفسه مثلا عندما قال « لأن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » . لو أراد يسوع أن يكون أنانياً لحول تلك القوة الهائلة إلى خدمة ذاتية ، ولكنه جاء ليبذل نفسه فدية عن الكثيرين .

هذا القول السابق : بذل المسيح نفسه فدية عن كثيرين يعتبر من أمجد وأروع ما أعلنه المسيح إن كان هناك تفاضلا فى إعلاناته ، ولكن كثيراً ما شطح الناس بخيالهم لتصوير هذا العمل الكفارى العظيم ، فيقول أوريجانوس مثلا : إن البذل هذا لم يكن لله بل للشيطان ، فالمسيح أعطى نفسه للشيطان فأماته لكى يطلق البشر أحراراً ، ولكن الشيطان عندما أراد أن يتصرف فى المسيح أضاع قوته ونفسه » . ولما أحس جيروجورى النيسانى أن هذا التفسير مرعب لأنه يضع الشيطان ندا لله يساوم معه قال « إن الله جعل ابنه ضعيفاً بالتجسد وأحس الشيطان بذلك فأراد أن ينقض عليه ، ولكنه كان مخدوعاً فقد انغلب وكسرت شوكته » . وبعد ذلك بمائتى عام قال أحد اللاهوتيين ، إن الله أراد أن يصطاد الشيطان فجعل ناسوت المسيح طعما ومن لاهوته صنارة ، فأراد الشيطان أن يبتلع الطعم ولكن الصنارة أمسكت بلوثيان — الحية القديمة وقتلته ، هذه

شطحات فى تفسير عمل المسيح الكفارى ، قد لا نستطيع أن نعرف مدى عمق ومجد عمل المسيح على الصليب .. هذا سر يفوق كل عقولنا البشرية المحدودة ، لكننا نعرف ونختبر فى حياتنا هذه الحقيقة ، إن يسوع لأجل خلاصنا وفدائنا بذل نفسه كفارة عنا وفتح الطريق لنا إلى الله .

معجزة على جانب الطريق

وَجاءوا إِلَى أرِيحَا ، وَفيما هُوَ خَارِجٌ مِنْ أرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ كانَ بارْتِيماوُسُ الأَعْمَى ابْن تِيماوُسَ جالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي . فَلَمَّا سَمِعَ أنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ يا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي . فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيَسْكُتَ . فَصَرَخَ أكْثَرَ كَثِيرًا يا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي . فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأمَرَ أنْ يُنادَى . فنادَوُا الأَعْمَى قائِلِينَ لَهُ ثِقْ . قُمْ هُوَذَا يُنادِيكَ . فطَرَحَ رِداءَهُ وَقَامَ وَجاءَ إِلَى يَسُوعَ . فأجابَ يَسُوعُ وَقالَ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ أنْ أفْعَلَ بِكَ . فَقَالَ لَهُ الأَعْمَى يا سَيِّدِي أنْ أُبْصِرَ . فقَالَ لَهُ يَسُوعُ اذْهَبْ . إيمانُكَ قَدْ شَفَاكَ . فَلِلْوَقْتِ أبْصَرَ وَتَبِعَ يَسُوعَ فِى الطَّرِيقِ .

(مرقس ١٠ : ٤٦ – ٥٢)

قاربت مسيرة يسوع على الانتهاء فلم يبق له سوى خمسة عشر ميلا ليصل إلى أورشليم وكانت الطريق تخترق أريحا تلك البلدة الكبيرة ولا بد ليسوع أن يمر فيها ، وكانت العادة اليهودية أنه عندما يذهب أحد المعلمين إلى أورشليم كان الناس تحيط به وتستمع إلى تعاليمه ومناقشاته ، ولهذا فقد التف حول يسوع الكثيرون . وهناك عادة أخرى وهى أن كل صبى يهودى يصل إلى سن الثانية عشر من عمره ويسكن فى دائرة قطرها خمسة عشر ميلا حول أورشليم لا بد أن يعيد الفصح فى أورشليم ، ولكن هناك كثيرون لا يستطيعون أن يتمموا هذا الفرض فكل ما يعملون هو أن يذهبوا إلى الذاهبين إلى العيد ليشيعوهم فى طريقهم ، وبهذا أضافوا مئات أخرى حول يسوع ، وإلى جانب ذلك فقد كان يسكن أريحا عدد كبير من الكهنة واللاويين . لأن مجموع الكهنة الذين كانوا يخدمون فى الهيكل لم يكن يقل عن عشرين ألفا ، ومثل هذا العدد من اللاويين ، وبالطبع لم يخدموا دفعة واحدة ، بل انقسموا إلى ستة وعشرين نوبة يخدمون فيها بالتبادل ، ولا بد أن كهنة أريحا واللاويين الساكنين فيها لم يكونوا قد ذهبوا بعد إلى العيد فلما سمعوا عن يسوع ، ذلك الجليلى الثائر ، ذهبوا لكى يروه بأعينهم كل هذا جعل الجمع يتزاحم بشدة حول يسوع .

ولكن فجأة تنطلق صرخة هائلة من رجل أعمى اسمه برتيماوس عرف أن يسوع يمر فى هذه البوابة الشمالية ، إنه أراد أن ينتهز فرصة العمر فصار يصيح وينادى يسوع لكى يرحمه ، وحاول الذين يسمعون يسوع أن يسكتوه ، ولكنه لم يرد أن ينصت لأحدهم ، إنه يريد أن يهرب من عالمه المظلم ، وسمعه يسوع وأمر بأن يحضر اليه فجاء . وهنا نستطيع أن نلمس بعض الأشياء .

١ — نلاحظ الإلحاح الشديد الذى أظهره برتيماوس لمقابلة يسوع . إنه سمع عنه وأراد أن يقابله . إن الحاجة لم تكن نتيجة رغبة فى رؤيته فقط بل كانت نتيجة الحاجة الملحة ولأجل ذلك تمكن من أن يراه .

٢ — وكانت اجابته لطلب يسوع سريعة لدرجة أنه ألقى بردائه لأنه أحس أنه يعطله ، لقد أحس أنها الفرصة الوحيدة له فأراد أن يغتنمها بأى ثمن ولا يضيعها . وما أكثر ما نضيع فرصة دعوة يسوع لنا « انتظر حتى أنتهى من هذا العمل ، انتظر حتى أحسن نفسى قليلا .. حتى أعمل هذا أو ذاك .. ثم تضيع الفرص الذهبية

٣ — كان بارتيماوس يعرف بالضبط ما يريد .. إنه يريد نظرة . مرات كثيرة نبدى اعجابنا بيسوع بطريقة غامضة سطحية .. إن أردت أن تأتى إلى يسوع تعال اليه محددا طلبك . إنك تذهب الى الطبيب وأنت تعرف بالضبط موطن الألم وتشير له اليه ، وعندما تقدم الى طبيب أسنان لا تسأله أن يخلع لك أية سنة ولكنك تشير الى سنة معينة ليخلعها : هكذا تعال الى يسوع وأنت تعرف ماذا تريد منه ، وهذا يتطلب منا فحص أنفسنا وامتحانها حتى نعرف ماذا نريد .

٤ — لم يكن بارتيماوس يعرف يسوع معرفة تامة : كان يناديه «ابن داود» . هذا لقب المسيا ولكنه للمسيا الغازى الجبار ، وهذا ما أراد يسوع أن يمحوه من عقل التلاميذ ولكن مع ذلك . ورغم معرفته الخاطئة نال ما طلب لأن قلبه كان مملوء بالإيمان . وهذا ما نريد أن نفهمه نحن : إننا لا نستطيع أن نفهم يسوع . لا نستطيع أن نصل إلى عمق شخصيته وعمله .. ولكننا نستطيع أن

نؤمن به وبذلك ننال . قال أحد الكتاب « قد تطلب من الناس أن يفكروا ولكن ليس معنى ذلك يصيروا لاهوتيين قبل أن يكونوا مسيحيين » . إن الصلة الأولى هى صلة شخصية . علاقة إيمان ومحبة ليسوع .. إنها مناداة قلب محتاج ، وبذلك ننال .

٥ – وعندما نال بارتيماوس طلبه ورجع له نظره لم يترك يسوع بل تبعه فى شكر عميق . جاء إليه أعمى ومحتاج ثم تبعه مفتوح العينين شاكراً ثم انتهى إلى اخلاص عميق وهذه هى طريق التلمذة ليسوع .

الأَصْحاحُ الحَادِي عَشَرَ

مجيء الملك

وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا داخِلاَنِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحدٌ مِنَ النَّاسِ فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ . وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحدٌ لِمَاذَا تَفْعَلاَنِ هٰذَا فَقُولاَ الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ . فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ إِلَى هُنَا . فَمَضَيَا ووجَدَا الْجَحْشَ مَرْبُوطًا عِنْدَ الْبَابِ خَارِجًا عَلَى الطَّرِيقِ فَحَلاَّهُ . فَقَالَ لَهُمَا قَوْمٌ مِنَ الْقِيَامِ هُنَاكَ مَاذَا تَفْعَلاَنِ تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ فَقَالَ لَهُمَا كَمَا أَوْصَى يَسُوعُ . فَتَرَكُوهُمَا .

(مرقس ١١ : ١ ــ ٦)

هنا نجيء إلى المرحلة الأخيرة من هذه الرحلة ، فبعد أريحا جاءت أورشليم وهاهى تظهر للرائى ، وهنا يجب أن نلاحظ شيئا مهما بدونه لانستطيع أن نفهم القصة : ففى الأناجيل الثلاثة الأول لانعرف غير زيارة واحدة الى أوشليم ، بينما نلاحظ أن إنجيل يوحنا يذكر ثلاث زيارات [يوحنا ٢ : ١٣ ، ٥ : ١ ، ٧ : ١٠]،

والقارىء السطحى يحس أن هناك تناقضا بين الروايتين ، ولكن لدى التأمل العميق يزول كل تناقض . فمع أن الأناجيل الثلاثة الأول كانت قصيرة لحاولت أن تذكر الوقائع المهمة فى رسالة يسوع والتى اعتبروها ضرورية للتبشير ، إلا أنها لا تنفى الزيارات المتكررة ليسوع إلى أورشليم كما يظن الكثيرون . فهناك تلميحات كثيرة تدل على أنه زارها كثيرا قبل ذلك . فصداقته مع اليعازر ومريم ومرثا فى بيت عنيا لم تتولد فى الحال بل انها كانت سابقة على هذهالزيارة الأخيرة . . وكذلك يوسف الرامى تلميذ يسوع المتخفى لابد أنه رأى يسوع مرارا فى أورشليم ، وفوق ذلك فإعلان يسوع المثبت فى [متى ٢٣ : ٣٧] الذى فيه قال إنه أراد أن يجمع أورشليم كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها يثبت تماما أن يسوع حاول مرات أن تكسب أورشليم إلى تعاليمه ولكنها رفضت . فيسوع لابد أنه زار أورشليم مراراً ، ولابد أنه كان يفكر فى هذا الدخول الانتصارى ، ولابد أنه دبر له ، وهذا هو السبب الذى لأجله نجد صاحب الأتان يترك أتانه للتلاميذ عندما سمع أن الرب محتاج إليه . . إن يسوع لم يخضع للظروف أو يبنى قراراته بمحض الصدفة .. إنه رجل مفكر يدبر كل أمر.

أما بيت فاجى فمعناها بيت التين فقد كانت من أعمال أورشليم لا تبعد عنها سوى ميل واحد ، وقد كانت الحد الأقصى الذى لا يستطيع أى يهودى أن يتخطاه يوم السبت مشيا ، أما بيت عنيا فمعناها بيت البلح فقد كانت القرية التى يسكنها كثير من الآتين الى العيد .

لقد كانت من عادة أنبياء اسرائيل أن يعلنوا كلمة الرب بطرق خاصة ، فعندما يرون أن الناس قد سدت آذانها يقومون بعمل درامى يجبر الناس على

الإصفاء [١ ملوك ١١ : ٣٠ — ٣٢] ، انها عظة عملية ، هذا ما قصده يسوع فى دخوله الإنتصارى ، انه أراد أن يقوم بهذا العمل ليعلن للشعب أنه المسيا . . ولكنه مسيا السلام . ففى زكريا جاءت النبوة « افرحى جدا يا ابنة صهيون . . نادى يا ابنة أورشليم ، هو ذا ملكك عادل ومخلص ... » [زكريا ٩ : ٩ . .] إن ركوب المسيا على حمار كان علامة السلام . فقد كان الحمار حيوانا نبيلا فى تلك الأيام ولم يكن محتقرا كما نحتقره اليوم ، وقد كان للملوك يركبون الخيول فى الحرب ولكنهم فى أوقات السلام كانوا يركبون الحمير . ولهذا السبب جاء يسوع إلى أورشليم راكبا على هذا الحمار . . إنه جاء ليعلن أنه رجل السلام وملك المحبة .

ولكن الناس قابلوه بلقب ابن داود الذى وصفته مزامير سليمان بقولها « أنظر أيها الرب يقام لهم ملكهم ابن داود ، فى الوقت الذى تراه لكى يملك على اسرائيل عبدك ، ومنطقه بالقوة حتى يسحق رؤساء الظلم ، ويخلص اسرائيل من الأعداء الذين يدوسونها إنه بالحكمة سيطرد الخطاة من الميراث وسيسحقهم كما يسحق الفخارى آنية . بقضيب من حديد سيحطمهم ، ويزيل الأمم الشريرة بكلمة فمه وتهرب الأمم من زجره ، ويوبخ الخطاة على فكر قلوبهم . ستخافه الأمم قدامه لأنه سيضرب الأرض بكلمة فمه إلى الأبد » [مزامير سليمان ١٧ : ٢١ — ٢٥ ، ٣٩] هذا هو الملك الذى كان الناس ينتظرونه ، وعرف يسوع ذلك ، ولهذا فقد جاء إليهم وديعا ومتواضعاً ومعلناً أنه ملك السلام . . إنه ناقض كل تصوراتهم .

فَأَتَيَا بِالْجَحْشِ إِلَى يَسُوعَ وَأَلْقَيَا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ .
وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ . وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَاناً
مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِى الطَّرِيقِ . وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا
كَانُوا يَصْرَخُونَ قَائِلِينَ أُوصَنَّا . مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ . مُبَارَكَةٌ
مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةِ بِاسْمِ الرَّبِّ أُوصَنَّا فِى الأَعَالِي .

(مرقس ١١ : ٧ ـ ١٠)

كان الآنان بكرا لم يركب عليه أحد ، وهكذا كان كل حيوان يستعمل افرض مقدس [عدد ١٩ : ٢ ، تثنية ٢١ : ٣]

وهذه الصورة التى يذكرها الإنجيلى فى دخول المسيح تعطى فكرة عن انتظارات اليهـــود وكيف كانوا متأهبين لاستقبال المسيا . بل إن نفس هذا الاستقبال حدث من قبل مائة وخمسين سنة . عندما استقبل اليهود سمعان المكابى بعد أن هزم السوريين « ولقد دخل فى الثالث والعشرين من الشهر السابع فى السنة المائة والحادية والسبعين بالشكر وسعف النخيل والناى والقيثار والدفوف والأغانى لأنه قد سحق أعداء اسرائيل [مكابيين ١٣ : ٥١] . لقد استقبلوا المسيح كذلك استقبال الفاتحين الغزاة لأنهم كانوا يريدون هذا المسيا .

وحتى الهتاف والقاء ثيابهم على الأرض قد فعلوه عندما مسح يا هوالرجل

الدموى ملكا [٢ ملو ٩ : ١٣] . وقد استعاروا مزمور ١١٨ : ٢٦ « مبارك الآتى باسم الرب » هتافهم وفى هذا الهتاف نجد ثلاثة أشياء

(ا) إنه الهتاف الذى يستقبل به الحجاج أيام الأعياد فى أورشليم

(ب) «الآتى» هو لقب من ألقاب المسيا عرفه به اليهود هكذا .

(حـ) ويجدر أن نذكر هنا المناسبة السابقة التى قيلت فيه المزمور [١١٨] الذى اقتبست منه هذا الهتاف . ففى ١٦٧ ق م حاول انطوخيوس ابيفانس أن يزيل كل معالم اليهودية ليبقى السيطرة للثقافة اليونانية ، فاعتبر الختان واحراز نسخة من الناموس جريمة تؤدى للموت ، نجس أروقة الهيكل حيث أقام عبادة زيوس فيه ، قدم الخنازير ذبائح على المذبح ، حول كثيرا من الأروقة الى أمكنة دعارة .. هذا أثار يهوذا المكابى فبدأ يحارب حتى انتصر بعد معارك وحشية سنة ١٦٣ ق . م ، وهناك فى أورشليم جددوا العبادة فى الهيكل وتغنى الناس بهذا المزمور (١١٨) وبدأ من عيد التجديد .

لقد أراد يسوع أن يدخل إلى أورشليم مسيا المحبة والسلام لكنهم أرادوا أن يحولوا الموكب الى موكب مسيا الحرب والغزو .

أما كلمة « أوصنا » فهى ليست كما نفهمها كلمة الحمد والتسبيح ، بل هى الكلمة التى يهتف بها الناس أمام الفاتح ومعناها « خلص الآن » [٢ صموئيل ١٤ : ٤ ، ٢ ملوك ٦ : ٢٦] انها مناداة الى الله أن يتدخل بسرعة ويرسل المسيا ليحطم الأعداء .

وهنا ظهرت شجاعة يسوع العظيمة لو كان هناك شخص آخر لدخل أورشليم فى هدوء وتخفى مبتعدا عن الرؤساء ، الذين أرادوا أن يقتلوه . لقد جاء اليهم وأخبرهم أن كل ما يتمسكون به خاطىء ، لقد كان كمن يريد أن يجتز عقيدتهم

من أساسها ، لكنه لم يفعل ذلك كشخص محارب غاز ، ولكنه بالمحبة والحنان أراد أن يدعوهم إلى طريق أفضل . . ما أشجع المحبة المضحية .

الهدوء الذى يسبق العاصفة

فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ .

(مرقس ١١ : ١١)

هذا العدد يظهر لنا صفتين خاصتين بيسوع :

١ — إنها ترينا يسوع يعد عدته للمعركة النهائية . . لقد كان يسوع رجلا نظاميا يدرس كل شيء ويقرر كل شيء وعيناه مفتوحتان على النتائج . . إنه فعل هنا كما يفعل القائد الذى يجمع كل معلوماته ويستعد لإعطاء الأمر للمعركة الفاصلة .

٢ — انها ترينا المكان الذى استمد منه قوته : فقبل أن يذهب الى المعركة ذهب الى بيت عنيا . الى الخلوة مع أبيه السماوى . . ولأنه كان دائم المواجهة مع الله تمكن من أن يواجه الإنسان بشجاعة نادرة .

٣ — وهنا نرى شيئا خاصا بالتلاميذ . لقد كانوا معه ، وكانوا يظنون أن يسوع إنما يواجه التحدى بروح انتحارية. وفى مرات كثيرة نلومهم على جبنهم وتركهم إياه فى معركته النهائية ، ولكن لنذكر أنهم رغم عدم معرفتهم الواسعة بما يحدث استمروا ملازمين إياه .

التينة الغير مثمرة

وَفِى الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ. فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ . وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ .

وَفِى الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الْأُصُولِ . فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِى انْظُرْ التِّينَةَ الَّتِى لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ .

(مرقس ١١ : ١٢ — ١٤ ؛ ٢٠ و ٢١)

هذه القصة تأتى على شطرين ولكننا سندرسها ككل . فقد حدث الشطر الأول منها فى صباح أحد الأيام ثم حدث الشطر الثانى فى صباح اليوم الثانى وبين الإثنين حدثت حادثة تطهير الهيكل من البائعين والمشترين .

وتعد القصة أصعب وأعقد قصة فى هذا الإنجيل ، ولقد ثارت ضدها اعتراضات كثيرة نجملها فى اثنين .

١ — قال بعضهم إن القصة تظهر كأنها ليست صحيحة وليست من مقام يسوع حتى يقوم بها ، ومع أنها قد تنسب إلى بعض صانعى المعجزات لكنها

لاتليق بيسوع لسبب بسيط وهو أن يسوع فى كل خدمته رفض رفضاً باتاً أن يستخدم قوته فى خدمة ذاته ونفسه ، فلم يرض أن يحيل الحجارة إلى خبز ليشبع جوعه ، ولم يرد أن يهرب من أعدائه مع أنه كان يستطيع ذلك ، فكيف إذن يستخدمها الآن فى قتل شجرة لم يجد فيها تينا ليأكله .

٢ — قال آخرون إنه من غير المعقول أن يطلب يسوع ثمراً من الشجرة فى ذلك الوقت بالذات ، فكان لابد أن ينتظر إلى أواخر مايو حتى تثمر ولكنه لعنها فى منتصف أبريل، فلو فعل يسوع ذلك لكان ذلك ظلماً . ولقد رد بعضهم على ذلك بالقول إن يسوع كان يطلب شيئاً أخضر . ولكن هذا القول غير معقول أيضا ، لأن التين الأخضر ردىء لايستطيع أحد أن يأكله .

ولكننا نحن نعتقد أن يسوع فعل ذلك لسبب أعمق من عدم وجود تين فى الشجرة ، إنه فعل ذلك كعمل رمزى .. مثل عملى كما فعل الأنبياء قديماً ، ويمكن أن نفسر هذا المعنى بأحد أمرين :

١ — إنها دينونة من بعد ولا ينفذ . فالشجرة كانت تعد بالثمر ولكنها لم تثمر وفى هذا تشبه أمة إسرائيل . فكل تاريخها كان انتظاراً لمجىء المسيا ، وعندما يجىء سوف يستقبلونه بكل بهجة ويقبلونه ملكا عليهم ، ولكنه عندما جاء رفضوه ولم يتمموا ما كان ينتظره الجميع منهم مثلهم فى ذلك مثل رجل قيل عنه وهو صغير « إنه سيصبح شيئا كبيراً » ولما كبر ولم يصبح ما انتظره الناس قال « يمكنه أن يصبح شيئاً لو أراد » ولما كبر ولم يصبح شيئاً قال الناس « كان يمكن أن يصبح لو كان يريد » هذه هى إسرائيل ، لقد كانت انتظارات الناس فيها عظيمة ولكنها خيبت كل انتظار .. فاستحقت اللعنة .

٢ — إنها ديونة الاحتراف بدون عمل : إن عمل الشجرة هو الإثمار ولكنها لم تثمر والعهد الجديد دائما يعلن أن الثمر هو العلامة المميزة للحياة الحقيقية : « من ثمارهم تعرفونهم » [متى ٧:١٦] «اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة» [لوقا ٧ : ٨] « ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل من يفعل إرادة أبى [متى ٧ : ٢١] فما لم تعمل الديانة على خلق الإنسان خلقا جديداً وتجعل حياته وحياة الآخرين أكثر سماحة ومحبة واستقامة فلن تكون ديانة حقيقية بل هى ديانة احتراف .

ومع ذلك فإننا نعتقد أن القصة فى غاية الصعوبة .

غضب يسوع

وَجاَءوا إلى أُورُشَلِيمَ . وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فى الْهَيْكَلِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ . وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ .وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ أَلَيْسَ مَكْتُوبًا بَيْتِى بَيْتَ صَلوةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَمِ . وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ . وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ لأَنَّهُمْ خَافُوهُ إِذ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ . وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ .

(مرقس ١١: ١٥ — ١٩)

نستطيع أن نفهم هذه القصة جيداً لو رسمنا صورة واضحة لأقسام الهيكل .

والكتاب المقدس يستخدم كلمتين يونانيتين يترجمان إلى « هيكل » الأولى « هيرون » hieron وتعنى كل المنطقة التى يقع فيها الهيكل . وكانت هذه المنطقة تغطى قمة جبل صهيون وهى حوالى ٣٥٠ فدانا . أما الكلمة الثانية فاسمها ناؤوس naos وهى مبانى الهيكل المقدسة وكانت منطقة الهيكل تحاط بسور ضخم يتراوح طول ضلعه ما بين ١٠٠٠، ١٣٠٠ قدم ، تضم داخلها أروقة كثيرة غير مبانى الهيكل . كان الرواق الأول من داخل هذا السور هو رواق الأمم . وكان يسمح للأمم أن يدخلوا فيه وفى نهايته أقاموا سوراً منخفضاً مكتوب عليه نواهى عديدة لمنع الأمم من أن يتعدوه إلى الداخل وإلا فعقاب من يدخله الموت . وفى داخل هـــذا السور المنخفض كان هناك رواق آخر إسمه رواق النساء أو الحريم وفيه تجتمع النساء ولا تتعداه المرأة ما لم تكن قد حضرت لتقديم الذبائح . ومن داخل رواق الحريم كان ، هناك رواق ثالث اسمه رواق الإسرائيليين الذى يجتمع فيه الشعب فى الأعياد والمناسبات الضخمة ، وفيه يعطى الشعب الذبائح للكهنة . أما الرواق الداخلى فهو رواق الكهنة . هنا فى رواق الكهنة يبنى الهيكل وهو أقدس مكان فى المنطقة كلها وهو ما سبقت الإشارة إليه باسم ناؤوس .

أما المكان الذى حدثت فيه هذه الحادثة فكان رواق الأمم أى الجزء الخارجى من منطقة الهيكل ، وقد كان المقصود منه قبلا أن يكون محل استعداد للصلاة ولكنه أيام يسوع حول إلى أغراض عالمية حيث أخذوا يبيعون ويشترون فيه . وزاد الطين بلة أن هذا البيع لم يكن إلا نهبا وسلبا للمعيدين ، وكان النهب يسير بطريقتين .

الأولى عندما يدفع اليهودى ضريبة الهيكل . فقد كانت لا تدفع ألا بشاقل القدس ، وكان على كل فرد يهودى يقيد أن يدفع هذه الضريبة كل سنة ، وهى ما تساوى عشرة قروش ، وهى مبلغ كبير إذا ذكرنا أن أجر العامل اليومى فى ذلك الوقت لم يكن يتعدى القرشين يومياً وبالطبع كان المعيدون يحملون أموالاً غريبة من جهات متعددة من العالم ، وكان عليهم أن يستبدلوها بعملة مقدسة ليدفعوها ؛ فكان الصيارفة يفعلون ذلك لهم فى مقابل قرشين لكل ضريبة ، وإن زاد المبلغ فيدفع قرشين آخرين ، بمعنى أن كل معيد ينبغى له أن يدفع أربعة قروش . أى أجر يومين لعامل مسكين .

أما الطريقة الثانية فكانت أكثر بشاعة وهى تكمن فى بيع الحمام . فقد كان الحمام يدخل فى بند الذبائح وكان على المعيدين أن يشتروا زوج الحمام من داخل منطقة الهيكل حتى يضمنوا لياقة الذبيحة لأنهم كانوا يعتبرون أية حمامة تأتى من الخارج مهما كانت ، أنها غير لائقة ولذلك أضطر الجميع أن يشتروا من حمام الهيكل ، وهنا يحدث الاستغلال البشع . فزوج الحمام الذى كان يمكن أن يشترى بعشرة قروش من خارج الهيكل كان يبيعونه فى الهيكل بمبلغ جنيه أى أنهم يضيفون على الثمن الحقيقى حوالى عشرة أضعافه وقد يزيد أحياناً ، حتى أن بعض معلمى اليهود الكبار ثاروا على هذا الوضع ، لكنها كانت فريضة رؤساء الكهنة . ولا عجب فقد كانت المشادات والمشاحنات والمساومات الحامية تملأ منطقة الهيكل ، ورأى يسوع فى كل هذه العملية شيئاً لا يليق .

وكان هنالك شىء آخر أثار يسوع وجعله يتخذ عملاً حاسماً يذكره عدد ١٦ إذ يقول إنه منع أى إنسان أن يعبر الهيكل بمتاع . ذلك أن من قوانين

الهيكل أن كل من يمر فى منطقة الهيكل كان عليه ألا يحمل عصا أو مزود أو حذاء ، وكان لهذا القانون قصده ، إذ قدس هذه المنطقة وجعل الناس لا يأتونها إلا للصلاة ، ولكن اليهود كسروا هذا القانون وداسوا هذه المنقطة المقدسة ، ولهذا ثار يسوع عليهم ، لا لأنه كان يخضع لهذا القانون ، بل لكى يوبخهم على ريائهم وجشعهم فأظهر لهم أنهم فى سبيل ربح قبيح يكسرون قوانين وشرائع هيكلهم ، مبرهنا لهم ذلك من نفس الكتب المقدسة (اشعياء ٥٦ : ٧ ، إرميا ٧ : ١١) .

ويمكن أن نقول إن غضب يسوع اشتعل لهذه الأسباب .

١ — للاستغلال البشع الذى وقع على المعيدين ، فسلطات الهيكل لم تعامل المعيدين لا كجماعة جاءت للصلاة ولا حتى كآدميين بل كأشياء يستخدمونها لأغراضهم الذاتية . إن استغلال الإنسان لأخيه الإنسان يثير غضب الله وخصوصاً إذ اتخذ الدين ستاراً له .

٢ — لأن الناس دنسوا مكان الله المقدس فاتخذوا منه مكاناً للتجارة الجشعة ، لقد حولوه إلى انتهازية بشعة .

٣ — وكان غضب يسوع أعمق فى أنه يقتبس إشعياء ٥٦ : ٧ حيث يريهم أن بيت الصلاة هو لجميع الشعوب بينما أوقفه اليهود لأغراضهم وحرموا الأممى من دخوله وإلا لكان عقابه الموت. إنهم كسروا وانتهكوا قصد الله السامى

قواعد الصلاة

فأجابَ يَسوعُ وقالَ لَهُمْ لِيَكُنْ لَكُمْ إيمانٌ باللهِ . لأنِّي الحَقَّ أقولُ لكُمْ إنَّ مَنْ قالَ لِهٰذا الجَبَلِ انتَقِلْ وانطَرِحْ في البَحْرِ وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أنَّ ما يَقولُهُ يَكونُ فَمَهْمَا قالَ يَكونُ لَهُ . لِذلِكَ أقولُ لَكُمْ كلُّ ما تَطْلُبُونَهُ حِينَما تُصَلُّون فآمِنُوا أن تَنالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ . وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فاغفِرُوا إنْ كانَ لَكُمْ عَلَى أحَدٍ شَيءٌ لِكَيْ يَغفِرَ لَكُمْ أيضًا أبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمٰوَاتِ زَلاَّتِكُمْ . وَإنْ لَمْ تَغفِرُوا أَنْتُمْ لا يَغْفِرْ أبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمٰوَاتِ أيْضًا زَلاَّتِكُمْ .

(مرقس ١١ : ٢٢ — ٢٦)

هناك بعض الأقوال يذكرها مرقس فى ثنايا هذا الأصحاح ، وإن كان متى ولوقا يذكرانها فى أمكنة أخرى ، فمثلا يذكر متى كلام يسوع عن الإيمان فى مناسبة تختلف عن هذه المناسبة التى يذكرها مرقس (متى ١٧ : ٢٠) وهكذا يفعل لوقا (لو ١٧ : ١٦) والسبب فى ذلك هو أن يسوع كان يكرر إعلاناته فى مناسبات مختلفة حيثما دعت الحاجة إليها. هذه الأعداد التى أمامنا تضع لنا ثلاثة قواعد للصلاة :

١ — **الصلاة يجب أن تكون صلاة ايمان** . كانت عبارة ينقل الجبال عبارة

مألوفة لكل يهودى وخاصة للمعلم الحكيم ، فالجبال كانت استعارة للصعاب وخصوصاً الصعاب العقلية ، فالمعلم الحكيم الذى يستطيع أن يتغلب على مشكلات التلاميذ العقلية هو معلم يستطيع أن ينقل الجبال . وهكذا يذكر يسوع التلاميذ أن جبال الصعاب والمشكلات لا يمكن حلها وإزالتها إلا بالصلاة . قد يكون هذا التصريح بسيطا ولكنه يعنى مبدأين فى غاية الأهمية والصعوبة :

الأول هو أن نحمل كل مشكلاتنا إلى الله ، وهذا الأمر فى غاية الصعوبة على أنفسنا فمشكلاتنا تكمن بالأكثر فى أننا نرغب أن نقتنى ما لا يجب أن أن نفكر فيه ونرفض ما يجب أن نقتنيه ، وأن نعمل ما لا ينبغى عمله ونحجم عن الواجب ، وأن نفكر فى المحرمات ونحرم ما يجب أن نركز فيه عقولنا ، ولهذا نخير امتحان للمشكلات هو « هل أستطيع أن أحملها إلى الله فى الصلاة »؟

أما الثانى فهو استعدادنا لأن نخضع لإرشاد الله فى أعمالنا . ففى معظم الأحيان نأتى إلى الله طالبين الإرشاد ونحن لا نقصد منه سوى الموافقة على رغباتنا . ولكن لنكن متواضعين ومتشجعين أن نأتى إلى إلهنا مستعدين أن نخضع لإرشادة ، لأنه لا فائدة من مجيئنا إليه بطلب الإرشاد فى أمر قد قررنا فيه قراراً حاسما قاطعاً لا رجعة فيه .

٢ — الصلاة يجب أن تكون صلاة انتظار وتوقع . يجب أن تكون صلاة رجاء . ومن المسلم به ، حتى فى الأمور اليومية ، أن ما ننتظره موقنين أننا سنحصل عليه ، يكون أسهل كثيراً مما لو قطعنا الرجاء فى حدوثه . فالمريض الذى يثق فى الطبيب الذى يعالجه تكون له فرصة للشفاء أكثر من المريض الذى يثق فى أى طبيب معالج . وهكذ الصلاة التى ترفع إلى الله فى رجاء وتوقع حقيقى . فعندما نصلى يجب ألا نصلى لأنه فرضت علينا الصلاة بل لأننا نطالب من

أيدينا شيئاً نريده . قال أحدهم « لقد صليت فى حياتى كثيراً ، وفى كل مرة أجثو فيها للصلاة أحاول أن أقنع نفسى بأن الله قد استجاب بعضاً من صلاتى فى الماضى . ولكن فى قرارة نفسى أعتقد أن رغباتى تقضى لى متأخرة .

٣ — يجب أن تكون صلاة محبة : فالرجل المملوء بالبغضاء لا يستطيع أن يصلى ، ولا يمكن أن تستجاب صلاته ، والسبب لذلك بسيط : فإنه يظن أنه يصلى الى الله فى الوقت الذى لا تربطه بالله أية عـــلاقة . إن العلاقة التى تربط اثنين معاً هى الطبيعة والميول المشتركة أو الهدف المشترك ، فأين إذن العلاقة بين هذا الرجل المملوء بالبغضاء والله الذى هو محبة ؟ إن الكراهية قد حجبت هذا الرجل عن الله . ولكن إن أراد هذا الرجل أن يصلى صلاة مستجابة فليركع أولا أمام الله بكل تواضع وخضوع ويطلب منه أن يطهر قلبه من هذه البغضاء للناس ويطهره من كل مرارة ويملأه بالمحبة ، وعندئذ فقط يستطيع أن يتكلم مع الله ويعرف أن الله يسمع صلاته ويستجيبها له بحسب كرمه الفائق .

سؤال مكير وجواب قاطع

وَجَاءُوا أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَفِيماَ هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ والْكَتَبَةِ والشُّيُوخُ . وقَالوا لَهُ بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هٰذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هٰذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هٰذا . فَأَجَابَ يَسُوعُ وقَالَ لَهُمْ وأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً واحِدَةً . أَجِيبُونِي فَأَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطانٍ أَفْعَلُ هٰذا . مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا مِنَ

السَّماء كانَتْ أمْ مِنَ النَّاسِ أجيبُونِى. فَفَكَّرُوا فى أنفُسِهِمْ قَائِلِينَ إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقولُ فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ . وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاس . فخَافوا الشَّعْبَ . لِأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا وقالُوا لِيَسوعَ لاَ نَعْلَمُ . فَأَجَابَ يَسُوع وقَالَ لَهُمْ وَلا أنا أقُول لَكمْ بِأَيِّ سُلْطانٍ أَفعَلُ هٰذَا .

(مرقس ١١ : ٢٧ — ٣٣)

على جانبى دار الأمم من الجنوب والشرق كان فى الهيكل رواقان الشرقى إسمه رواق سليمان ، وهو عبارة عن « بواكى » مبنية على أعمدة كورنثية طولها ٣٥ قدم . أما الجنوبى فكان يدعى الرواق الملكى وهو أكثر ضخامة وروعة ، وهو مكون من أربعة صفوف من الأعمدة الرخامية ، محيط كل عمود ستة أقدام وطوله ٣٠ قدما ، ومجموعها ١٦٢ عمودا . وكان من عادة معلمى اليهود أن يجلسوا تحت هذه الأعمدة فيجتمع من حولهم طلبتهم ومحبى علمهم ويسمعون منهم ، ولم تكن هذه عادة اليهود فقط : بل كانت منتشرة أيضا فى بلاد اليونان ، ولعل أوضح مثل لهذه العادة هى مدرسة الرواقيين ، فلقد سميت بهذا الاسم نسبة الى المكان الذى كانوا يتلقون العلم فيه .

كان يسوع يقف فى ذلك المكان حين جاءت إليه جماعة من الكهنة والشيوخ والكتبة مرسلة من قبل السنهدريم ، لكى يتساءلوا عن السلطة التى استند عليها شخص مثله فى طرد هذه الجماعة ، كان التساؤل طبيعيا ولكنه كان مكيرا ؛ فلو أجاب أنه استمد سلطانه من شخصيته لقبضوا عليه كشخص معتوه

لأنه خلق هذه الضجة الكبرى ويخشى أن يفعل أكثر من ذلك . ولو أجاب أن سلطانه جاء من الله مباشرة لقبضوا عليه كشخص مجدف ، لأن الله لا يرضى بخلق هذه الضجة ، وفهم يسوع قصدهم الخبيث وأراد أن يجاوبهم ولكن بأن يوقفهم أمام الحق فيعرفوا أنفسهم وخبثها . ولهذا أجابهم بقوله « أستطيع أن أجيبكم لو أنكم أجبتم على سؤالى : هل كانت معمودية يوحنا من الله أو من الناس » . وفهموا هم ماذا قصد يسوع وعرفوا ضلالهم ، وقالوا فيما بينهم : لو أجبنا إنها كانت من الله فلابد أنه سيسألنا عن الدافع الذى دفعنا للوقوف ضده وعدم الإيمان بكرازته التى كانت تنصب على الإشارة إلى يسوع أنه هو المسيا ؛ ولو أجبنا بالنفى لهاج الشعب علينا لأن الشعب يعتبره نبياً شهيداً. ولهذا قالوا فى حيرة وضعف . لا نعرف . وعندئذ قال يسوع « ولا أنا أقول لكم » وبهذا الموقف كشفوا أنفسهم جماعة أضعف من أن يواجهوا الحق ، ومن يضعف عن مواجهته يظل يتذبذب ويعرج بين الفرقتين حتى يجد نفسه فى موقف الضعف والتخاذل . قد يعترف الإنسان الذى يواجه الحق بشجاعة بأنه مخطىء ، ولكن اعترافه هذا سيخلق له المركز السامى . فالخوف من مواجهة الحق هو أما مخزى مخجل .

الأصحاحُ الثّاني عَشرَ

الرفض والجزاء

وَابتَدَأَ يَقولُ لَهُمْ بأمْثالٍ إنْسانٌ غرَسَ كَرْمًا وأحاطَهُ بسِيَاجٍ وحفَرَ حَوْضَ مَعْصَرَةٍ وبَنَى بُرْجًا وسَلَّمَهُ إلَى كَرّامِينَ وسافَرَ . ثمّ أرْسَلَ إلَى الكَرّامِينَ فى الْوَقْتِ عَبْدًا ليأْخُذَ مِنَ الكَرّامِينَ مِنْ ثَمَرِ الكَرْمِ . فَأَخَذُوهُ وَجلَدُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا . ثُمّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا عَبْدًا آخَرَ . فَرَجَمُوهُ وَشَجُّوهُ وَأَرْسَلُوهُ مُهانًا ثمّ أَرْسَلَ أَيْضًا آخَرَ . فقتَلُوهُ . ثمّ آخَرِينَ كَثِيرِينَ فجلَدُوا مِنْهُمْ بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا . فَإِذْ كانَ لَهُ أيْضًا ابْنٌ واحِدٌ حَبِيبٌ إلَيْهِ أَرْسَلَهُ أيضًا إلَيْهِمْ أَخيرًا قائلا إنَّهُمْ يَهابُونَ ابْنِي . وَلٰكِنَّ أُولٰئِكَ الكَرّامِينَ قَالُوا فِيما بَيْنَهُمْ هٰذَا هُوَ الْوَارِثُ . هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ فَيَكُونَ لَنَا الْمِيرَاثُ . فأَخَذُوهُ وَقَتَلُوه وَأَخْرَجُوهُ خارِجَ الكَرْمِ . فَماذَا يَفْعَلُ صَاحِبُ الكَرْمِ . يَأْتِي وَيُهْلِكُ الكَرّامِينَ وَيُعْطِي الكَرْمَ إلَى آخَرِينَ . أَمَا قَرَأْتُمْ هٰذَا الْمَكْتُوبَ . الْحَجَرُ الّذِي

وَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ . مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هٰذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا . فَطَلَبُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ وَلٰكِنَّهُمْ خَافُوا مِنَ الْجَمْعِ . لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ . فَتَرَكُوهُ وَمَضَوْا .

(مرقس ١٢ : ١ — ١٢)

ذكرنا فيما سبق ، عندما كنا نفسر بعض أمثلة المسيح ، أن هذه الأمثال ينبغي ألا تفسر تفسيراً مجازيا ، لأنها قيلت أصلاً ، لا لتكتب بل لتسمع ، وفيها فكرة أساسية يفهمها السامع كما قصدها المسيح . لكننا أمام هذا المثل نجد أنفسنا أمام شيء فيه بعض الاختلاف عن الأمثلة الأخرى ، ففيه يتضح أن يسوع لم يقصد فكرة واحدة فقط دون النظر إلى التفاصيل بل أنه قصد التفاصيل التي وضعها فيه .. ولذلك فنحن سنفسر المثل في تفاصيله .

صاحب الكرم هو الله ، والكرم هو بيت اسرائيل . وهذه صورة مألوفة في العهد القديم [إشعياء ٥ : ١ – ٧] . هذا الكرم زود بكل ما يحتاج إليه حقل الكروم ففيه المعصرة التي تعصر العنب لتحيله إلى خمر ، وفيه البرج الذي يحفظون فيه المحصول ويحتمي فيه حراس الكرم .. لقد زود بكل شيء .

أما الكرامون فهم قادة الشعب في كل أجيال هذه الأمة . والعبيد هم الأنبياء وغيرهم . فلقد لقب الأنبياء بالعبيد : كموسى وهرون وداود وكل الأنبياء [يشوع ١٤ : ٧ ، ٢٤ : ٩ ، ٢ صموئيل ٣ : ١٨ ، عاموس ٣ : ٧ ، إرميا ٧ : ٢٥ ، زكريا ١ : ٦] .

أما الإبن فهو يسوع نفسه . ولا بد أن غالبية السامعين كانوا يعرفون ماذا كان يقصد يسوع ، وعرفوا الشخصيات التي عناها .

أما القصة نفسها فلم تكن نادرة الحدوث فى فلسطين ، فقد كانت البلاد مملوءة بالاضطراب العمالى نظراً لغياب أصحاب الممتلكات خارجا عن البلاد ، وذلك إما لأنهم كانوا رومانيين يسكنون فى روما أو لأنهم كانوا فلسطينيين يطلبون الراحة والترف خارجها . وكانت الشريعة تسمح لصاحب الكرم المتغيب أن يطلب ثمراً من كرمه بعد خمس سنوات من زراعته [لاويين ١٩ : ٢٣ — ٢٥] ، لأن إيجار هذه الكروم لم تكن تدفع أموالا بل تؤخذ نسبة مئوية من الثمر .

١ — وهذا المثل يحوى كثيراً من الحقائق التى تحتاج أن نعرفها عن الله .

(ا) **كرم الله** : ويظهر فى القيام بعمل كل ما يلزم الكرم والكرامين حتى لايتعبوا فى أعمالهم ، وهذا هو شأن الله معنا فى كل حياتنا .. إنه كريم جداً مع الناس .

(ب) **ثقته فى الناس** : لقد ترك الكرامين ليخدموا فى الكرم لأنه وثق فيهم وفى قدرتهم على القيام بهذا العمل ، أفليس هذا ما عمله مع كل إنسان حينما يتركه حراً فى حياته ليختار ما يشاء ؟ قال أحدهم « إن أحب شىء إلى نفسى هو أن الله تركنى أتصرف فى حياتى بالقدر الذى يشعرنى بأنه يثق فى » .

(ح) **صبر الله عليهم** : إن الله أعطى الكرامين فرصا كثيرة ليوفوا ما عليهم من ديون ، إنه عاملهم بالصبر والمحبة التى لا يستحقونها .

(د) **انتصار عدله** : قد ينتهز الناس فرصة صبر الله عليهم ولكنهم يجهلون أن الدينونة آتية ولابد ، قد يصبر الله على العصيان ولكنه لايهمل العاصى إلى الأبد

٢ — وهذا المثل يحوى بعض الحقائق عن يسوع .

(ا) إنه لم يعتبر نفسه عبداً بل ابنا ، إنه ليس من سلسلة الأنبياء ، إنه الكلمة النهائية التى نطق بها الله .. وفى هذا الإعـــلان يتحدى يسوع كل السلطات اليهودية لأنه فيها يعلن أنه هو المسيا .

(ب) لقد عرف أنه سيموت . فالصليب لم يكن مفاجئة له بل كان نهاية الطريق الذى اختاره ، وبهذا أعلن عن شجاعة نادرة المثال .

(حـ) كان يعرف أن النصرة النهائية له ، قد يقتل ويموت ولـكنه كان يعرف أنها ليست النهاية ، فبعد الرفض يأتى التمجيد .

٣ — وهذا المثل يحوى بعض الحقائق عن الناس .

(ا) هناك سبب واحد يختفى وراء سلوك هؤلاء الـكرامين وهو أنهم ظنوا أن صاحب الـكرم بعيد عنهم جداً فلا يستطيع أن يفعل شيئاً . إنه فى نظرهم ميت . وهذا موقف الـكثيرين من الله .. إنهم يسلـكون بعناد وغباوة كأن الله لا يراهم ولا يسمعهم .

(ب) من يرفض مسئوليته وامتيازاته فلا بد بأن تؤخذ منه وتعطى لآخر ، فاليهود إذ رفضوا الدعوة تحول السيد إلى الأمم .

وينهى المثل بالاقتباس من مزمـــور ١١٨ : ٢٢و١٣ الحجر الذى رفضه البناؤن هوذا قد صار رأس الزاوية . وحجر الزاوية هو الحجر الأساسى فى المبانى ولقد اقتبسه كثيرون من كتاب الوحى (أعمال ٤ :١١ ، ١ بط ٢ : ٤و٧، رومية ٩ : ٣٢ر٣٣ ، أفسس ٢ : ٢٠) . وهو يشير أصلا إلى اسرائيل لأنهم

كانوا يظنون أنفسم أنهم أهم حجر فى بناء الكون ، ولكنها أهملت وانحطت فى نظر العالم ، ولكن كاتب المزمور كان يرى أن الله سيعود ويعلن مجد اسرائيل مرة أخرى . ولكن الكتّاب المسيحيون رأوا أن هذا الحجر هو المسيح نفسه وخاصة بعد موته وقيامته .

قيصر والله

ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ . فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ لِأَنَّكَ لا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ . أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ . نُعْطِى أَمْ لا نُعْطِي . فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي . اِيتُونِي بِدِينَارٍ لِأَنْظُرَهُ . فَأَتَوْا بِهِ . فقَالَ لَهُمْ لِمَنْ هٰذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ . فَقَالُوا لَهُ لِقَيْصَرَ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهمْ أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلّٰهِ لِلّٰهِ . فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ .

مرقس ١٢ : ١٣ — ١٧

لقد كان وراء هذا السؤال الخطير المكير قصة طويلة مريرة تبدأ بهيرودس الكبير الذى مات سنة ٤ ق م ، فقد كان هذا الملك ملكا على كل فلسطين يدفع جزية إلى روما فى مقابل أن أعطته استقلالا داخليا واسعا . وعند موته قسم

ملكه بين ثلاثة من أولاده ، فأعطى الجليل وبيريه إلى هيرودس وأنتيباس ، أما شرق الأردن وما يجاورها فقد أعطاه لفيلبس ، وأعطى أرخيلاوس السامرة واليهودية . ولقد سلك انتيباس وفيلبس بكل حكمة فاستمرا فى حكمها أما أرخيلاوس ففشل فى ملكه فما كان من روما إلا أن حولت مملكته إلى ولاية رومانية تحكم حكما كاملا من قبل روما ، وكان ذلك إبتداء من سنة ٦ م . وكان من عادة الرومان أن يحكموا ولاياتهم بطريقتين مختلفتين : الطريقة الأولى هى التى يحكمون بها الولايات الهادئة المسالمة . إذ يضعونها تحت إشراف مجلس الشيوخ فيحكمها بواسطة قناصل، أما الولايات المشاغبة فيشرف عليها الأمبراطور نفسه فيحكمها بواسطة ولاة . تعاونه فصائل كبيرة من الجنود الرومانية ، وكانت اليهودية من هذا الصنف من الولايات .

ولقد كانت أول عمل يقوم به كيرينيوس والى اليهودية هو التعداد الذى قصد به تنظيم دفع الضرائب وتنظيم الإدارة ، وقبل الناس المسالمون هذا العمل، أما غيرهم فقد رفضوا وحاولوا إثارة الشعب ، وكان يتزعم حركة الشعب هذه رجل إسمه يهوذا الذى أثار الشعب بقوله إن الجزية لا تفضل العبودية . وبما أنهم شعب الرب فينبغى ألا يستعبدوا لأحد بل ينبغى أن يموتوا قبل أن يخضعوا لإنسان ، ولكن الرومانيين عرفوا كيف يخرسوه إلى الأبد ، لكن ظل شعاره فى أذهان الناس « لاجزية لروما » .

أما هذه الجزية فكانت ثلاثة أنواع .

(١) الضريبة التى على الأرض وهى تشمل عشر الحنطة وخمس الخمر والتمر وكانت تدفع عينية أو مالا .

(ب) ضريبة الدخل وكانت ١ ٪ من دخل الفرد .

(حـ) ضريبة الرأس وكان يدفعها كل رجل يتراوح عمره ما بين ١٤ — ٦٥ سنة وكل امرأة تتراوح ما بين ١٢ — ٦٥ سنة ومقدارها دينار للفرد الواحد ولم يعف منها أى فرد .

وعندما جاء الفريسيون والهيرودسيون إلى يسوع دخلوا إلى موضوعهم عن طريق التملق ، لكى يزيلوا كل شك من عقل يسوع من جهتهم ، فيدفعوه إلى أن يتكلم بكل صراحة .

وكان سؤالهم غاية فى المكر والدهاء .. لقد ظنوا عندما وجهوه إليه أنهم قد وضعوه فى المأزق الحقيقى : فلو وافق على دفع الجزية فقد شعبيته الواسعة وإن لم يوافق لفقد حياته بين يدى الرومان كشخص ثائر متعصب .. لقد ظنوا أنهم إنما قد أمسكوا بيسوع بين أصابعهم .

لكن يسوع طلب منهم دينارا ، ويظهر أنه لم يكن يمتلك دينارا واحداً ، ولما أمسك به سألهم عن صاحب الصورة التى عليه . ولاشك أن تلك الصورة كانت صورة طيباريوس قيصر ومن حولها كتب « طيباريوس قيصر ، أوغسطس الإلهى ابن أوغسطوس » وعلى الوجه الآخر كتب « الكاهن الأعظم للأمة الرومانية » . ولابد أن نفهم المبادىء الثلاثة التى تمسك بها الناس من جهة العملة حتى نستطيع أن نفهم القصة :

١ — العملة علامة القوة : فالفاتح الغازى أو الثائر المنتصر يثبت نصرته أو تملكه بأن يضع صورته على العملة ، وبهذا يضمن سلطانه وحكمه .

٢ — وأينما سارت العملة هناك كان سلطان الملك سائدا ، وكان سلطان الملك وهيبته تقاس بمساحة البلاد التى تستخدم فيها عملته .

ولأن صورة الملك واسمه كانا على العملة كانت هذه العملة تعتبر ملكا له . ولهذا فقد كان جواب يسوع بهذا المعنى « لأنكم تستخدمون عملة طيباريوس فانكم بذلك تعترفون بسلطانه عليكم ، وإلى جانب ذلك فإن هذه العملة هى ملكه الخاص لأن صورته واسمه عليها . فإذا أعطيتموها له فإنكم إنما تعطونه حقه .. فأعطوها له ولكن اعلموا أن هناك جانبا من الحياة يختص بالله وحده ولا سلطان يقتصر عليه » .

صار هذا القول مبدأ أبديا وضع الحدود بين القوة المدنية والدينية ويقول أحد الساسة الكبار « إن هذه الكلمات أعطت للقوة المدنية قدسية لم تكن لها ، وحدودا لم تعرفها من قبل .. وكانت نهاية لكل إدعاء بشرى بالكمال وأساساً راسخاً للحرية الإنسانية » . لقد كانت هذه الكلمات داعية إلى حقوق الدولة وحرية الضمير .

وعلى العموم . فقد وضع العهد الجديد ثلاثة مبادىء تحكم الصلة بين الفرد والدولة :

١ — الدولة مقامة من الله : فقوانين الدولة تحكم العلاقات الفردية والجماعية وبدونها تصبح الحياة محطمة ، وخدمات تيسر الحياة على الفرد فهى التى تمده باحتياجاته من المياه والمواصلات والضمان الاجتماعى وغيره .. وبذلك تجعل من الحياة عملا أسهل .

٢ — لايصح أن يتمتع الإنسان بكل هذه الامتيازات وفى الوقت نفسه

يهرب من المسئوليات . ومن المؤكد أن الدولة الرومانية أدت للعالم خدمات جليلة لم يكن يحلم بها ، فقد أوجدت نوعاً من الاستقرار والسلام ، طاردت عصابات الطرق وقراصنة البحر ونشرت العدل بين الناس وحقا قال جود سبيد « لقد كان من أمجاد الدولة الرومانية أن نشرت السلام فى عالم مضطرب ، وتحت سيطرتها عاشت أسيا الصغرى والشرق فى أمان واستقرار لم يعرفاه من قبل ، وكان الفرد تحت ظلها يباشر عمله بيسر وسهولة ، يجد لقمة العيش، يراسل أحباءه ويسافر بكل اطمئنان . والفضل للقوة الرومانية » .

ولهذا فليس من الإنسانية أن يعيش الإنسان فى دولة كهذه ولا يؤدى واجبه من نحوها .

٣ — ولكن هناك حدود : فلقد قال أبوت « كانت العملة ملكا لقيصر لأن صورته كانت عليها ، والإنسان ملك لله لأن صورة الله فيه (تكوين ١ : ٢٦و٢٧) . وعلى هذا فالإنسان يقدم للدولة كل إخلاصه وحبه وعمله : وفى نفس الوقت ينبغى أن يكون هو والدولة التى يخدمها ملكا لله ، وإن تصارع حق الدولة مع حق الله فإن الله يأتى أولا . وعلى العموم فإن المسيحية تجعل الإنسان مواطنا صالحا أكثر من أى شخص آخر .

الأفكار الخاطئة عن الحياة الآتية

وَجاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ وَتَرَكَ امْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْ أَوْلاَداً أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ وَيُقِيمَ

نَسْلاً لأخيهِ . فَكَانَ سَبْعَةُ إخوة . أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلاً . فأخذها الثاني ومات ولم يترك هو أيضاً نسلاً . وهكذا الثالث . فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلاً . وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً . ففي القيامة متى قاموا لمن منهم تكون زوجة . لأنها كانت زوجة للسبعة . فأجاب يسوع وقال لهم أليس لهذا تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم متى قاموا من الأموات لا يُزوِّجون ولا يُزوَّجون بل يكونون كملائكة في السموات . وأما من جهة الأموات إنهم يقومون أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلمه الله قائلاً أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . ليس هو إله أموات بل إله أحياء . فأنتم إذاً تضلون كثيراً .

(مرقس ١٢ : ١٨ — ٢٧)

هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها الصدوقيون على مسرح الحوادث في إنجيل مرقس . والصدوقيون حزب يهودي صغير ولكنهم يكونون الطبقة الارستقراطية في الشعب .. فمنهم رئيس الكهنة ، بل وغالبية الكهنة ينتمون إليهم .. وكانت لهم ارتباطاتهم بالرومان فكانت الطبقة الحاكمة دائماً تخرج من صفوفهم . هذا وهم يختلفون كثيرا عن الفريسيين ، فهم لا يتمسكون إلا

بالكتب المكتوبة وخاصة أسفار موسى الخمسة ، ويرفضون رفضاً باتا أى نوع من تقاليد الشيوخ التى يتمسك بها الفريسيون بشدة ؛ وبنوا عقيدتهم على إنكارهم للقيامة أو وجود روح أو ملاك ، على أنها لم تذكر فى أسفار موسى .

وجاء جماعة منهم إلى يسوع لكى يجربوه فى عقيدة القيامة ويحاولون إظهارها فى صورة مضحكة . وانصب سؤالهم على الزواج من أرملة الأخ المتوفى الذى لم ينجب نسلا — وقد كان هذا الزواج مبنيا على ما جاء فى (تثنية ٢٥ : ٥ — ١٠) . بمعنى أنه إذا مات رجل دون أن ينجب نسلا فينبغى على أخيه أن يتزوج زوجته ويعتبر أن الطفل الأول إبنا لهذا الأخ المتوفى ، وقد يموت الأخ الثانى والثالث وقد تتزوج إلى سابع أخ . وإذا ما أنجبت إبنا أعتبر إبنا للأخ الأول . وهذا الزواج كان المقصود منه أحد أمرين : إما لحفظ إسم الأسرة وإما لحفظ الميراث داخل العائلة . ولم يكن اليهود وحدهم فى هذا الأمر فقد كان عند اليونان تقليد يشابهه : فلو كان أب يونانى يمتلك بعض الممتلكات ولم يكن له إلا إبنة واحدة . فكان الميراث لا يؤول إلى الإبنة بل إلى زوجها أو إبنها ، وكان يمكن للأب أن يترك الإبنة والميراث لأى رجل يختار على شرط أن يتزوج هذه الإبنة ، وإن مات الأب دون أن يعمل شيئا فيستطيع أقرب رجل إلى الإبنة أن يتزوجها ويأخذ الميراث . كان القصد كله حفظ الميراث فى الأسرة .

ولقد كان سؤال الصدوقيين يتلخص فى حالة مبالغ فيها من حالات هذا الزواج المعمول به فى اليهودية .. إمرأة تزوجت رجلا فمات دون أن ينجب فتزوجها الأخ الثانى لينجب لأخيه نسلا ولكنه مات دون أن ينجب أيضا وهكذا دواليك إلى الأخ السابع ، وفى نهاية الكل ماتت المرأة .. ففى القيامة

لأيهم تكون زوجة .. وهنا سكت الصدوقيون منتفخين ظانين أنهم قد حطموا كل عقيدة القيامة .

وكان جواب يسوع ينقسم إلى شطرين :

١ — طبيعة القيامة وأسلوبها إذ بين أن القوانين الطبيعية الجسدية تنتهى فيبطل الزواج ويصبح الناس كملائكة الله . ولم يكن كلام يسوع هذا جديداً على أسماع اليهودى ، ففى سفر أخنوخ يقرأون « ستتمتعون بفرح عظيم كملائكة الله » وهكذا يؤكد باروخ فى كتابه ، ويعلم الربيون هذه العقيدة عينها «لاطعام ولاشراب ولا ولادة ولابيع ولاشراء ولاحسد ولا كراهية ، ولكن الصلاح يتوج الرؤوس ويصبح الجميع مملوئين بمجد الله » لقد كانت فكرة يسوع أن الحياة الآتية لاتقاس ولاتفهم بحسب قوانين الحياة الحاضرة .

٢ — حقيقة القيامة وهنا يوجه يسوع للصدوقيين نفس سهمهم فيجاوبهم من قلب الكتب التى ظنوها لا تبرر حادثة القيامة — أسفار موسى الخمسة ففى خروج ٣ : ٦ يقول الله إنه إله إبرهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، وحيث انه إله أحياء لا إله أموات فلابد أن هؤلاء أحياء عنده ، وإن كانوا أحياء فلابد أن القيامة موجودة وحقيقية . وهزم يسوع الصدوقيين على نفس أرضهم .

قد تبدو هذه القصة بعيدة عن إختباراتنا ، ولكننا نجد فيها حقيقتين أبديتين .

١ — لقد أخطأ الصدوقيون بأن تصوروا السماء بصورة أرضية محضة وهذه غلطة الكثيرين فقد تصورها الهنود الحمر أنها تحوى أجمل الصيد لأنهم كانوا

بطبيعتهم صيادون ، وتعتقد إحدى القبائل المقاتلة أن السماء هى المكان الذى يقاتلون فيه طول اليوم ، وفى الليل يقوم الأموات ويشفى الجرحى ، ويقضون كل الأمسيات فى ولائم يشربون الخمور فى كؤوس تصنع من جماجم الأعداء . وكان اليهود يكرهون البحر ففكروا فى سماء لايوجد فيها البحر . وهكذا كره كل شعب الألم والحزن وظنوا السماء مكانا تزول فيه الأحزان وبهذا خلقوا السماء تلائم حالتهم .

هنا تفكير شخص ذاتى ولكن فيه كثير من الحق . ولكننا نحن لايسعنا إلا أن نقول ما قاله بولس : « مالم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يتقونه » (١ كورنثوس ٢ :٢٩ ، إش ٦٤ : ٤) .

٢ — وبنى يسوع عقيدة القيامة على حقيقة ارتباط الله بالرجل المستقيم وأبدية هذه العلاقة . فعندما يدخل الإنسان فى شركة مع الإله الأبدى تصبح شركة أبدية . «إن الله لن يكف أن يكون إلها لمن أحبوه وخدموه» وقال المرنم « لأننى دائما معك أمسكت بيدى اليمنى برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى» (مزمور ٧٣ : ٢٣و٢٤) إنه لا يتصور أن علاقته بالله سوف تنقطع . وبعبارة أخرى : لايوجد إلا شيء واحد خالد : المحبة .

المحبة لله والمحبة للقريب

فَجَاءَ واحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا سَأَلَهُ أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ . فَأَجَابَهُ يَسُوعُ إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ . الرَّبُّ إِلٰهُنَا رَبٌّ واحِدٌ .

وتُحِبُّ الرَّبَّ إلهكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ ومِنْ كُلِّ نَفْسِكَ ومِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هٰذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ. فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ إِنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ قَالَ لَهُ لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ. وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ.

(مرقس ١٢ : ٢٨ — ٣٤)

لم يكن هناك اتفاق معقود بين خبراء الشريعة الموسوية وهم الكتبة وبين الصدوقيين ، فبينما اهتم الكتبة اهتماما بألفاظ بتفسير الشريعة تفسيراً واسعاً ولهذا أقاموا حولها سياجا من التقاليد الشفوية التي تغطى كل نواحى الحياة — تقريبا ، رفض الصدوقيون هذا التقليد ولم يقبلوه بتاتا ، ولهذا السبب فرح هذا الكاتب عندما سمع يسوع يسكت اعتراض الصدوقيين ويشجب منطقهم.

وجاء هذا الكاتب بسؤال إلى يسوع لما ثارت حوله المناقشات العديدة، وانقسم الفكر اليهودي تجاهه إلى مدرستين : المدرسة الأولى أرادت أن توسع

فى الشريعة توسعا ضخما لا يحده حدود حتى تستطيع أن تغطى نواحى الحياة وبذلك سنوا آلافاً من القوانين والنواهى ، أما للدرسة الثانية فقد حاولت أن تجمع كل الناموس فى جملة واحدة . فقد قيل مرة إن أحدهم طلب من هليل أن يذكر الناموس وهو يقف على رجل واحدة فكان جوابه « ما تكرهه لنفسك لا تفعله فى جارك ،هذا هو الناموس كله أما الباقى فهو تفسير له . إذهب وتعلم » وسبقه اكيبا بالقول « إن أعظم ما فى الناموس هو مبادؤه العامة » ، وسمعان الصالح قال « يستند العالم على ثلاثة دعائم : الشريعة ، العبادة ، عمل المحبة » ويقدم سامليا أحد المعلمين دراسة وافية فيقول إن موسى أخذ من الرب ٦١٣ وصية ٣٦٥ منها بحسب أيام السنة ، ٢٤٨ على عدد أجيال الناس. ولكن داود جاء فأنقص هذا العدد كله إلى ١١ وصية فى مزمور ١٥ ، ثم جاء إشعياء فأنقصها إلى ستة فقط (إش ٣٣ : ١٥) وميخا اختصرها إلى ٣ (ميخا ٦:٨)، واختصر حبقوق الكل فقال « البار بالإيمان يحيا » (حبقوق ٢ : ٤) .

وكان السبب فى انقسام اليهود إلى هاتين المدرستين هو تقييم الوصايا نفسها فبينما قال البعض إن هناك بعض المبادىء تعتبر جوهرية وفى غاية الأهمية دون غيرها قال آخرون إن كل الوصايا والشرايع والطقوس تقف على قدم المساواة . ومن يحاول أن يفاضل بينها فإنه يحطم ناموس الله .

وعلى هذا فقد كان سؤال هذا الكاتب ليسوع سؤالا مهما حيا لبنى جيله . ولكى يجاوب يسوع على هذا السؤال وضع وصيتين معاً .

١ — الأولى « إسمع يااسرائيل الرب الهك رب واحد ... » وهذه الجملة هى أساس عقيدة التوحيد عند اليهود (تثنية ٦:٤) . وهى جزء من الصلاة التى

تسمى « شماع » أى « يسمع » وهى تأتى من أول كلمة « إسمع » وصلاة « الشماع » هذه تستخدم فى ثلاثة مواقف :

(ا) فهى الصلاة التى تبدأ بها الخدمة فى الجمع ، وتقال كاملة وهى موجودة فى ثلاثة مقاطع ، مأخوذة من ثلاثة أمكنة من أسفار موسى (تثنية ٦ : ٤ — ٩ ، ١١ : ١٣ — ٢١ ، عدد ١٥ : ٣٧ — ٤١) .

(ب) توضع أجزاؤها الثلاثة فى صناديق جلدية وتعمل عصائب للجبهة واليد (متى ٢٣ : ٥) يلبسها اليهودى المتمسك عندما يذهب للصلاة ليتذكر عقيدته دائما .

(ﺣ) وتوضع فى صندوق صغير إسمه « ميزوزا » ويثبت فى باب منزل كل يهودى وفى باب كل حجرة فيه . ولهذا فكل يهودى كان يعرف هذه الوصية معرفة جيدة .

٢ — أما الثانية فهى « تحب قريبك كنفسك » (لاويين ١٩ : ١٨) ، لكن يسوع فى اقتباسه هذه الوصية عمل شيئاً واحداً فيها وهو أنه حولها من تقييدها وتحديدها وجعلها مطلقة ، فالقريب عند اليهودى هو اليهودى أخيه ، لكن يسوع حول معنى القريب إلى شىء أوسع وأعظم فاضحى القريب هو كل إنسان .

أما الشىء الجديد الذى أدخله يسوع هنا فهو ربط الوصيتين معاً وجعلهما وصية واحدة ، فى هذا الأمر لم يسبقه معلم واحد . نعم كانت هناك اتجاهات خفيفة نحو هذا الأمر وخاصة فى كتابات « عهد البطاركة الإثنى عشر » ففى

عهد يساكر ٥ : ٢ يقول : « تحب الرب وتحب القريب ، وتشفق على الفقير والضعيف » ثم فى ٧ : ٦ من نفس السفر « أحببت الرب وأحببت كل إنسان من كل قلبى » وفى عهد دان ٥:٣ نجد « تحب الرب كل أيام حياتك ، وبعضكم بعضاً من قلب صادق » .

ولـكن يسوع وحده هو الذى جعل من الوصيتين وصية واحدة ، وجعل الديانة تتلخص فى محبة الله ومحبة القريب .. بمعنى أن محبة القريب هى العلاقة الوحيدة لمحبة الله .

ولقد قبل هذا الـكاتب هذا القول فقال إن محبة الله والقريب أعظم من الذبائح ، وبذلك أعلن أنه وصل إلى أعمق ما وصلت إليه اليهودية ، فمن قبل قال صموئيل «هل مسرة الرب فى المحرقات والذبائح كما فى سماع صوت الرب ...» (١ صموئيل ١٥ : ٢٢) وردد هوشع نفس هذا القول « أريد رحمة لا ذبيحة » (هوشع ٦ : ٦) . إن العبادة السهلة التى تهتم بالذبائح ، بالطقوس ، ببناء الـكنائس ، لاتنفع ، فهى التى جعلت الـكاهن واللاوى يريان الجريح المحتاج ويعبران عنه لأنهما كانا ذاهبين إلى الهيكل ليقوما بخدمة الطقوس . أما العبادة الحقيقية فهى عبادة المحبة والإحسان .. هى العبادة التى لاتقام فى الهيكل فقط بل تقام فى كل الحياة فيصبح الإنسان كله ملـكا لله ..

لقد أحب المسيح الشاب لأنه ارتفع عن مستوى تفـكير عصره ، ونظر إليه نظرة الدعوة والمحبة ، ولعله كان يقول له ، لقد تخطيت كثيراً من الحواجز والعقبات والآن لست بعيداً عن ملـكوت الله .. فهل تقبل ؟

ابن دواد

ثُمَّ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ . لِأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ . فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبًّا . فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ . وَكَانَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ يَسْمَعُهُ بِسُرُورٍ .

(مرقس ١٢ : ٣٥ ـ ٣٧)

هذه القصة وإن كانت تبدو لنا نحن صعبة وغريبة فى إتجاهاتها ومناقشاتها لكنها سهلة ومألوفة لدى كل يهودى سمعها بينما كان يسوع يذكرها فى أروقة الهيكل . ولكى نفهمها ينبغى أن نعلم أن كلمة « المسيح » وهى ترجمة للكلمة اليونانية كريستس Chistos وللكلمة العبرية مسيا messiah لم تكن إسم علم بل كانت لقبا . فهى تعنى « الشخص الممسوح من الله » وكان يطلق على الملك هذا اللقب لأنه كان يمسح بدهن المسحة عندما كان يتوج ملكاً للأمة . ولهذا فعندما كان يسوع يسأل « كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود » لم يكن يشير إلى نفسه مباشرة ، بل كان يقصد أن يسأل كيف يقولون إن المسيح .. الملك الممسوح من الله هو ابن داود ؟ » .

ولقد اقتبس يسوع مزمور ١١٠ : ١ لكى يدعم قوله ، وهذا المزمور كان يعتبر من مزامير المسيا أو مسيح الرب ، وفيه يتساءل داود من الرب عن مجىء المسيا كأنه سيده وربه ، فكيف يقول عنه إنه سيده إن كان هو إبنه ؟

فماذا كان يقصد يسوع هنا ؟ . إن لقب ابن داود كان أكثر الألقاب إستخداما فى الكلام عن المسيا ، وهذا واضح فى العهد القديم (إشعياء ٩ : ٢ — ٧ ، ١١ : ١ — ٩ ، إرميا ٢٣ : ٥ — إلخ ، ٣٣ : ١٤ — ١٨ ، حزقيال ٣٤ : ٢٣ ... إلخ ، ٣٧ : ٢٤ ، مزامير ٨٩ : ٢٠ . إلخ) وبه خاطب الجموع يسوع (مرقس ١٠ : ٤٧ إلخ ، متى ٩ : ٢٧ ، ١٢ : ٢٣ ، ١٥ : ٢٢ ، ٢١ : ٩و١٥) وفى كل كتابات العهد الجديد إتضح أن يسوع كان من صلب داود وخاصة فى سلسلتى نسبه فى متى ولوقا (رومية ١ : ٣ ، ٢ تيموثاوس ٢ :٨، متى ١ : ١ — ١٧ ، لوقا ٣ : ٢٣— ٢٨) . فنى سؤاله هذا لم يقصد يسوع أن ينكر أنه من نسل داود بل كان يقصد المسيا ليس فقط ابن داود بل هو أعظم بكثير من ذلك إنه رب داود وسيده .

وتكمن المشكلة فى أن هذا اللقب « إبن داود » حول إلى لقب المسيا الفاتح الغازى الذى يقود الأمة إلى النصر بقوة السلاح ، فهو لقب سياسى قومى يعبر عن مطامع اليهود فى تكوين ملكوت أرضى مجيد . ولهذا فلم يرض يسوع أن يجعل هذا اللقب وحده يقتصر على معرفة الناس به ، إنه أعظم من ذلك إنه رب. إن الناس ينبغى أن تتجه أفكارها لا إلى المسيا الغازى بل إلى الرب — إنه لم يأت لتكوين مملكة أرضية بل ليأتى بالناس لله .

وعلى هذا فهو هنا يكرر محاولاته فى إزالة فكرة المسيا المحارب الجبار من عقول الناس ويضع مكانها فكرة المسيا عبد الرب الذى يأتى بالناس إلى نور محبة الله الكاملة .

ديانة خاطئة

وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ تَحَرَّزُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ . وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ . الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ . هٰؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ .

(مرقس ١٢ : ٣٨ — ٤٠)

أعتقد أن الجزء الثانى من العدد ٣٧ يتبع هذا الفصل وليس الفصل السابق كما يظهر ذلك فى الترجمات الحالية وبحسب التقسيم العددى الحالى للأنجيل ، فالناس لابد وأنها كانت تسمع يسوع بفرح عندما كان يوبخ الكتبة والفريسيين لاعندما تسمع مناقشة لاهوتية . وبهذه المناسبة يحسن أن نذكر أن التقسيم العددى للكتاب المقدس ليس مضبوطا فى كل حالة فقد قيل إن الذى قسمه إلى آيات وأعداد هو الراهب استيفانوس ، وقد قام به فى طريقه من مدينته إلى مكان طباعة الكتاب المقدس .

وفى هذا الفصل يوجه يسوع إتهامات قاسية إلى الكتبة منها :

أنهم يحبون أن يسيروا لابسين طيالسة واسعة طويلة ، ولقد كانت هذه الأردية الواسعة فى الشرق تعنى الغنى والعظمة ، فمن يلبسها هو رجل لا يعمل ويسير بكل هدوء ، وهذا دليل على غناه وعظمته . وقد تعنى شيئاً آخر كما ورد

أيضا فى متى (٢٣ : ٥) إذ يطيلون الأذيال ويعملون أهـــدابا طويلة لما (عدد ١٥ : ٣٨)، والأصل فى ذلك هو إظهار أنفسهم أنهم شعب للرب، ولـكن الأمر تغير وأضحى الأمر هو إظهار أنفسهم فقط وجذب الانتباه إلى شخصياتهم .

وهم يحبون التحيات فى الأسواق حيث ينادون بـكلمة « ياأبى » أو « يامعلم » وهذه المناداة تشبع شهوتهم لحب الظهور .

ويحبون أن يتخذوا القاعد الأولى فى المجامع، وكان فى كل مجمع توجـد مجموعة من القاعد فى الأمام تواجه جمهور الحاضرين وتلاصق الصنـدوق الذى فيه تحفظ الدرج المقدسة، ومن يجلس هناك هو شخص مكرم مرموق ينظر اليه بتبجيل .

يحبون الجلوس فى المكان الأول فى الولائم . والأمـكنة فى الولائم كانت ترتب ترتيبا خاصا على شمال ويمين المضيف فكانوا يحبون هذه الأمـكنة العالية .

ويسلبون بيوت الأرامـــل : وهذه كانت عادة فريسية وحشية ذكرها يوسيفوس مرات فى كتاباته إذ قال « إن الفريسيين عظّموا أنفسهم كجماعة ماهرة فى تفسير الشريعة الإلهية وتقليدات الآباء، ولهذا فهم مختارو الله . . وفى مرات كثيرة كانوا يدبرون مؤامرات قاسية وكثيرا ما كانوا يوجهونها ضد بعـض النساء » . وكانت هذه الفـكرة تتلخص فى أن الـكاتب كان يُظهر نفسه أنه يعمل فى ناموس الله بدون مقابل، فـكانت حاجاته تخدمها يداه، ولـكنه فى الوقت نفسه كان يوحى الى الناس أن الـكاتب لابد أن يعيش فى ســعة حتى

يستطيع أن يعمل فى خدمة الناموس ، فكان يعيش على هدايا بعض النساء والرجال . وكل من يقدم هذه العطايا له قدره عند هؤلاء الكتبة أما الذين لا يعطون ماهو مفروض عليهم أن يعطوه فكان الفريسيون والكتبة يجبرونهم على الدفع بطرق ملتوية . . وخاصة النساء .

أما الصلاة الطويلة التى يقدمونها فكانت مملة ، إنها لا تقدم الى الله بل للناس إنهم يقفون ليصلوا فى أمكنة يستطيع الجميع أن يروهم منها يصلون .

فى هذا الفصل القاسى يعلمنا يسوع بعض الأمور :

١ — انه يحذرنا من مرض الكبرياء . وكثيرون يظنون أنهم أخذوا مراكزهم فى الكنيسة لأنهم استحقوها وليس لأنهم عرفوا أن يخدموا منكرين ذواتهم كخدام لله . إنهم يظنون أن المركز الكنسى امتياز لا مسئولية .

٢ — انه يحذرنا من مرض حب الظهور. طبعا كل إنسان يحب أن يعامل باحترام لكن المسيحية تقول إن الأساس هو إنكار الذات لا تعظيمها . هناك قصة قيلت عن أحد الرهبان ، فقد أرسل الى أحد الأديرة ليكون رئيسه ، وقد كان متواضعا بدرجة أنه لما وصل الى الدير ظنه الرهبان واحدا من الرهبان البسطاء جدا فأرسلوه ليعمل فى المطبخ ، وظل يعمل بكل همة ونشاط إلى أن جاء يوم زار فيه الأسقف هذا الدير واكتشف الأمر وارتفع الراهب المتواضع إلى مكانه اللائق به . إن الشخص الذى يدخل الخدمة لكى يحترمه الناس سيظل طيلة — خدمته — يعمل فى المكان الخاطىء إذ أنه يخدم نفسه لا المسيح .

٣ — يحذرنا من استخدام الدين لمصالحنا الشخصية لرفعة مراكزنا ، لنوال ما نشتهيه . إنه يحذر أولئك الذين يظنون أن يأخذوا كثيرا من الدين لا أن يعطون الكثير له وفيه .

أعظم عطية

وَجَلَسَ يَسُوعُ تِجَاهَ الْخِزَانَةِ وَنَظَرَ كَيْفَ يُلْقِي الْجَمْعُ نُحَاسًا فِي الْخِزَانَةِ . وَكَانَ أَغْنِيَاءُ كَثِيرُونَ يُلْقُونَ كَثِيرًا . فَجَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْقَتْ فَلْسَيْنِ قِيمَتُهُمَا رُبْعٌ . فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ لَهُمُ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هٰذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقَوْا فِي الْخِزَانَةِ . لأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوا . وَأَمَّا هٰذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا كُلَّ مَعِيشَتِهَا .

(مرقس ١٢ : ٤١ — ٤٤)

هناك بوابة إسمها : « باب الجميل » تقع ما بين دار الأمم ودار النساء فى الهيكل ، ويلوح أن يسوع ذهب إلى ذلك المكان ليستريح قليلا بعد تعب المناقشات الحادة والتحديات الصعبة . وكان فى مقابله فى دار النساء ثلاثة عشر صندوقا للتقدمات إسمها « الأبواق » لأن شكلها كان يشابهها وكان لكل صندوق غرض خاص يدفع له الناس فيه ، فبعضها لشراء حنطة والآخر لشراء الزيت وهكذا .

وعندما جلس يسوع هناك رأى أناسا يقدمون عطاياهم ، ولكنه لمح من

بينهم إمراة مسكينة ألقت بفلسين ، ووزن يسوع ما دفعته المرأة مع ما دفعه الأغنياء وعندئذ قيم هذه العطايا وقال : إن المرأة أعطت أكثر من الجميع لأنها أعطت كل احتياجها بينما أعطوا هم من فائض ما عندهم .

ونجد لأنفسنا عدة دروس للعطاء :

١ — لتكون العطية حقيقية يجب أن تكون بتضحية ، وقيمة العطية لا تهم ولكن مقدار ما كلفت المعطى .. ليست الكمية ولكن مقدار التضحية . ولكم يخجل الكثيرون منا عندما يقرأون هذه القصة ، فشاركتنا فى عمل الرب لا تشم فيه رائحة التضحية بل إنه مشاركة الفضلات التى تسقط من موائدنا ، قد يكون هذا الموقف علامة على ضعف الكنيسة بل والمسيحية أن العطايا تؤخذ من الناس الذين يظنون أنهم إنما يدفعون لأنهم يريدون أن يشتروا بثمن مادفعوه إما عينات أو سرور أو تمتع .

٢ — العطاء الحقيقى هو العطاء الذى يتصف بروح المغامرة ، والا لأبقت هذه الأرملة فلساً واحداً معها، وهذا الفلس بالنسبة لها له قيمته؛ ولكنها أعطت كل ما عندها . وعملها هذا عمل رمزى ، فما أندر ما نعطى كل شىء للمسيح ، لكننا نعطى جزءا من نشاطنا ونحتفظ بالباقى ، جزءا من وقتنا ونحتفظ بالباقى ، جزءا من حياتنا ونحتفظ بالباقى ، إننا قليلا ما نعطى بتضحية كاملة . . نعطى كل ما عندنا .

٣ — إنه من الممتع والمشجع حقاً أن الشخص الذى أبرزه المسيح واحتفظ العهد الجديد بشخصيته كمثال على التضحية والعطاء السخى هو الشخص الذى دفع فلسين. فقد نشعر أننا لا نمتلك شيئاً من المال أوشيئاً من المواهب التى تهز العالم، ولكن لنضع القليل جدا الذى لدينا فى يد المسيح وهو يفعل به أكثر جداً مما نتخيل أو نفتكر.

الأصحاح الثالث عشر

يعتبر الأصحاح الثالث عشر من أصعب الأصحاحات فهماً للتفكير الحديث والسبب فى ذلك هو أنه كتب من وجهة النظر اليهودية وامتلأ بالتفكير اليهودى الذى لم يعد التفكير الحديث يحتمله كثيراً ، فالصور التى يستخدمها يسوع غير معروفة لنا وغير مفهومة . ولكن مع ذلك لا نستطيع أن نضرب صفحاً عن هذا الأصحاح لأنه مهم جداً للعقيدة المسيحية وخاصة عقيدة المجىء الثانى .

وعقيدة المجىء الثانى أصبحت مشكلة عصرنا بل وكل العصور ، فلقد انقسم الناس تجاهها إلى فريقين : فالواحد يهمل هذه العقيدة إهمالا تاماً كأنها لا تكون جزء من التراث المسيحى ، والثانى يهتم بها ويدرسها لدرجة أنها أضحت بالنسبة لهم العقيدة المسيحية الوحيدة . ويمكن أن نقرر والحالة هذه أن فكرة صحيحة عن هذا الأصحاح قد تصحح تفكيرنا بعض الشىء عن هذه العقيدة المهمة .

وأهم ما نعمله الآن هو أن ندرس التراث اليهودى بخصوص هذه العقيدة .. ندرس عناصره وأفكاره ومحالله .. ثم ندرس هذا الأصحاح جزءاً جزءاً وأخيراً نحاول أن نستخلص منه حقائق ثابتة دائمة لا بد أن تبقى فى الكنيسة .

يوم الرب :

هناك فكرة مهمة يجب أن نبدأ بها هذ البحث ، ولا بد أن نرجع إليها مرات كثيرة إذا أردنا أن نعرف اتجاهات هذا الأصحاح . هذه الفكرة هى أن اليهود فى كل عصورهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، ويعتقدون أنهم يوماً ما سوف يرتقون إلى المكانة اللائقة بهم . ولكنهم بعد جهاد عنيف

لسنوات طويلة قاسية هجروا الفكرة القائلة بأنهم قد يصلون إلى هذه المكانة التى ينتظرونها عن طريق الوسائط البشرية ، وبدأوا يتمسكون بالفكرة بأن الله لا بد وأن يتدخل تدخلا فعلياً وقوياً ليأتى بذلك الوقت السعيد . والوقت الذى فيه يتدخل أطلقوا عليه إسم « يوم الرب » . ولقد قالوا إن يوم الرب هذا سوف يسبقه أيام ضيقة عظيمة .. أيام قاسية ومرعبة ، ثم يقبل هذا اليوم العظيم جباراً قوياً يزعزع أساسات السماء والأرض ويوقف الجميع أمام الدينونة الرهيبة ، وبعد أن يصفى الناس والعالم يخلق أرضاً جديدة وسماء جديدة .

هذه العقيدة يتضارب فيها النقيضان . ففيها التفاؤل الذى لا يمكن أن ينهزم ، الذى يؤمن بأن الله لا بد وأن يتدخل لنصرة شعبه ، وفيها التشاؤم المرير الذى يؤمن بأن العالم قد وصل إلى درجة من الفساد لا يمكن معها إصلاحه .. لا بد من تغييره تغيراً كلياً .

دعنا ندرس بعض فصول العهد القديم لنعرف شيئاً عن يوم الرب هذا .

« . . فى جميع الأسواق نحيب وفى جميع الأروقة يقولون آه آه ، ويدعون الفلاح إلى النوح وجميع عارفى الرثاء للندب ، وفى جميع الكروم ندب ، لأنى أعبر فى وسطك قال الرب . ويل للذين يشتهون يوم الرب . لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور ، كما إذا هرب الإنسان من أمام الأسد فصادفه الدب أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية ؟ أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً وقتاماً ولا نور له » (عاموس ٥ : ١٦ — ٢٠) .

« ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شىء . . لذلك ترتخى كل الأيادى ويذوب كل قلب إنسان ، فيرتاعون تأخذهم أوجاع

ومخاض يتلوون كوالدة ، يبهتون بعضهم إلى بعض ، وجوههم وجوه لهيب.. »
(إشعياء ١٣ : ٦ — ١٦) .

وهكذا نجد الأصحاحين الثانى والثالث من يوئيل مملوئين بالويلات القاسية عن يوم الرب . وتتوالى الفصول فى العهد القديم لتصف يوم الرب المفاجىء المرعب الذى يهز كيان الناس والعالم ، سيطوى العالم فى خراب كامل ، وهيئة الطبيعة وقوانينها سوف تقتلع وسوف ينظر الناس الإله الديان آتياً فى دينونة رهيبة .

وهنـــاك ما ينبغى أن نلاحظه فى تاريخ اليهود ، فإنه فى الفترة التى تسمى « ما بين العهدين» قضى اليهود معظم هذه السنوات تحت سيطرة خارجية قاسية ، ولهذا السبب تمسكوا بشدة بعقيدتهم فى يوم الرب ، وحاولوا أن يرسموه ويرسموا ماذا يمكن أن يكون فيه ، ولما لم تكن هناك لغة واقعية علمية تستطيع أن تصف ذلك اليوم فقد استعاضوا عنها بلغة الرؤى ، وظهرت الكتب المكتوبة بهذا الأسلوب الرؤوى التى عادة ما يسمونه : « أبوكاليبتك » apocalypses وتعنى كشف أو إعلان. هذه الكتب الرؤوية كتبت فى أسلوب شعرى لا نثرى، إنها رؤى لا كتابة علمية .. إنها ليست تاريخاً واقعياً نمسك بكل تفاصيله ونبنى عليه حقائق ثابتة .

وفى هذا الفصل يستخدم يسوع بعض تعبيرات هذا الأسلوب الرؤوى ، لأنها اللغة التى يسهل على الناس فهمها ، ولكنه كان يعرف كما كان سامعوه يعرفون أن هذه اللغة هى عبارة عن صور تعطى فكرة عما قد يفعله الله عندما يتدخل بقوة فى التاريخ .

الاتجاهات المختلفة :

يمكن للقارىء أن يلاحظ اتجاهات مختلفة فى التفكير فى هذا الأصحاح ، ويلوح أن كتبة الأناجيل جمعوا كل أقوال يسوع عن المستقبل ووضعوها معاً، ولهذا فيستطيع أى قارىء أن يميز بين خمسة اتجاهات يتكلم عنها يسوع فى هذا الأصحاح :

١ — هنالك نبوات عن خراب أورشليم (١٣: ١و٢و١٤ — ٢٠) لقد تنبأ يسوع عن خراب هذه المدينة وتمت نبوته عام ٧٠ م فأبيد الهيكل وضاعت كل معالم الشعب بالقسوة والجبروت الرومانى .

٢ — تحذير عن اضطهادات مقبلة (٩ — ١٣) إن أتباع يسوع سيجوزون فى اضطهادات ومرائر لا يتخيلها العقـــل ، وقد سبق فقال لهم عنها .

٣ — تحذيرات بخصوص اخطار الأيام الأخيرة (٣ — ٦و٢١و٢٢ سيقوم أناس يحاولون بلبلة الأفكار وتحريف الإيمان ، ولقد حدث ذلك ، وما أكثر ما سمع الناس لعقولهم المتكبرة وسدوا آذانهم عن صوت الله ، ولهذا أراد يسوع أن يحمى جميع تلاميذه من البدع والضلالات التى سبق فرآها .

٤ — إنذارات بخصوص المجىء الثانى : (٧و٨، ٢٤ — ٢٧) ولقد ذكر المجىء الثانى فى الأسلوب الذى ذكر فيه يوم الرب فأضحى المجىء الثانى ويوم الرب ممتزجان معاً ، ولقد استخدم يسوع نفس اللغة التى استخدمها الرؤويون ، ولهذا فإن كنا لا نأخذ كلام الرؤى حرفياً فلا ينبغى أن نأخذ كلام

يسوع وتصويره للمستقبل على أنه كلام حرفى ، إنه يستخدم لغة العصر الذى يفهمها معاصروه .

٥ — إنذرات بخصوص وجوب السهر (٢٨ — ٣٧) فإذا كان الإنسان يعيش دائما متوقعا إنبلاج الأبدية فى كل ساعة ... وإذا توقع تدخل الله فى كل وقت وإذا توقع إنبلاج السماء ومجىء إبن الإنسان وبعد ذلك النهاية . . وإذا كانت كل هذه الأوقات معروفة لدى الله وحده وجب علينا أن نكون ساهرين .

وبهذا نستطيع أن نفسر هذا الأصحاح .. فإذا ذكرنا هذه الاتجاهات الفكرية التى تكوّن هذا الأصحاح ، وإذا ذكرنا أن يسوع تكلم عن مجيئه الثانى بنفس الأسلوب الذى يستخدمه العهد القديم فى الكلام عن يوم الرب فإننا نستطيع أن نفهم هذا الأصحاح جيداً .

ولهذا فسوف نتقدم لدرس هذا الأصحاح لا فى أعداد متتالية كما فعلنا من قبل بل ندرس بطريقة موضوعة أى نقسمه إلى مواضيع وندرسه .

خراب مدينة

وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ يَا مُعَلِّمُ انْظُرْ مَا هٰذِهِ الْحِجَارَةُ وَهٰذِهِ الْأَبْنِيَةُ . فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ أَتَنْظُرُ هٰذِهِ الْأَبْنِيَةَ الْعَظِيمَةَ . لَا يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ .

(مرقس ١٣ : ١و٢)

ولنبدأ دراسة هذا الأصحاح بالتكلم عن الهيكل ثم المدينة التى خربت. لقد كان الهيكل الذى بناه هيرودس إحدى عجائب الدنيا ، فلقد بدأ فى إقامته من ٢٠ — ١٩ ق م ولم يكن قد انتهى بناؤه بعد فى أيام المسيح . وكانت مبانيه فوق جبل المريا ولم يشأ هيرودس أن يسوى قمة الجبل حتى يبنى هذا البناء الضخم فوقه ولكنه عمل له مسطحاً صناعياً ضخماً على أربعة جدران قوية قواها بمجموعة من الركائز الضخمة لكى تتحمل ثقل المبانى . ويقول يوسيفوس إن بعض الأحجار التى استخدمت فى البناء كانت غاية فى الضخامة طولها ٤٠ قدماً وعرضها ١٨ قدماً وارتفاعها ١٢ قدماً ، ولهذا فلا عجب أن اندهش التلاميذ عندما ذكر لهم يسوع أنه لن يبقى حجر على حجر من هذه الأحجار الجبارة . وكان

المدخل الرئيسى للهيكل من الجنوب الغربى حيث ارتبطت مبانى الهيكل والمدينة نفسها بقنطرة هائلة فوق واد متسع ، كانت هذه القنطرة مقامة على أقواس ضخمة إتساعها ½ ٤٢ قدما استخدمت فى بنائها أحجار طولها ٢٤ قدما . كان عمق الوادى حوالى ٢٢٥ قدما وانسياع الصخرة التى ارتكزت عليها القنطرة ٣٢٤ قدما ، وكان اتساع القنطرة نفسها ٥٠ قدما . وكانت تؤدى إلى الحجرة الملوكية مباشرة حيث بنيت من صفين من الأعمدة الرخامية الكورنثية عددها ٣٧ عموداً ، كل واحد قطع من قطعة واحدة من الرخام .

أما مبانى الهيكل نفسها فقد وصفها يوسيفوس فى قوله « إن الواجهة كانت تذهل جميع الناظرين إليها فقد طليت بمادة ناصعة البياض وغطى جزء كبير منها بأطباق ذهبية لا يستطيع أى إنسان أن يثبت نظره فيها ، فبريقها اللامع كان لا يقل شدة عن بريق الشمس نفسه ، ولكن هذا اللمعان كان مرشدا للحجاج إذ كانوا يرونه من مسافات شاسعة . أما أحجام الأحجار التى أقيم منها الهيكل فكانت ضخمة جدا فطولها حوالى ٢٠ مترا وارتفاعها متران وعرضها ثلاثة أمتار .

هذه هى المبانى الجبارة الهائلة التى ظنها التلاميذ باقية الى الأبد ، وصعقوا عندما أنبأهم يسوع بأنها سوف تزول ولا يبقى فيها حجر على حجر لا ينقض وتمت نبوة المسيح بعد أقل من خمسين عاما من نطقها .

« إن كبرياء الإنسان ومجده لا ينفعان » فكل ما يبنيه ويتعب فيه من أبراج وحصون سوف يتهدم ، ولكن قوة الله هى قلاعى وحصونى فى كل ساعة ووقت .

آلام مدينة

فَمَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيالُ النَّبِيُّ قَائِمَةً حَيْثُ لاَ يَنْبَغِي . لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ . فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ . وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ إِلَى الْبَيْتِ وَلاَ يَدْخُلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئاً . وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ . وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ . وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُم فِي شِتَاءٍ . لأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ضِيقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ . وَلَوْ لَمْ يُقَصِّرِ الرَّبُّ تِلْكَ الأَيَّامَ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ . وَلَكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ قَصَّرَ الأَيَّامَ .

(مرقس ١٣ : ١٤–٢٠)

فى هذا الفصل يصف يسوع الكوارث الفظيعة التى تحل على أورشليم فى حصارها وسقوطها . وكان قصده من ذلك هو أن يحذر الناس منها ليهربوا بمجرد أن يروها آتية فى الأفق ، ولكنهم فعلوا عكس ما قاله لهم ، فبدلا من أن يهربوا تجمعوا فى وسطها وهناك قتلتهم السيوف وماتت الآلاف الكثيرة .

أما عبارة « رجسة الفساد » فقد وردت أولا فى سفر دانيال [دانيال ٩ : ٢٧ ، ١١ : ٣١ ، ١٢ : ١١] ومعناها الحرفى « الفساد المرعب » وقد ذكرت لتصف ما عمله أنطوخيوس ابيفانس الذى حاول أن يستبدل الديانة اليهودية بالعبادة والمدنية اليونانية ، فقدم الخنزير محرقة على المذبح وأقام شعائر الديانات اليونانية . ثم أقام تمثالا كبيراً للاله « زيوس » وأمر الناس أن يعبدوه ، ويقول سفر المكابيين . « فى الخامس عشر من شهر كاسلو فى سنة ١٤٥ أقاموا رجسة الفساد على المذبح وبنوا المذابح الوثنية فى كل يهوذا » . فرجسة الفساد هى المذابح الوثنية وكل ما كان يتصل بها ، وهكذا كانت نبوة يسوع أيضا ، فقد رآها آتية ، وقد حدث ذلك سنة ٤٠ م عندما حاول الامبراطور المجنون كاليجولا أن يقيم تمثاله ليعبد كإله فى وسط الهيكل رغم نصيحة الذين أحاطوا به ، ولم ينقذ الأمر إلا موته فى سنة ٤١ م .

فماذا كان يعنى يسوع برجسة الفساد ؟ لقد كان اليهود ينتظرون ليس فقط المسيا الذى يخلصهم ولكنهم كانوا ينتظرون ظهور قوة جبارة مضادة هى عبارة عن تجسيد حى للشر ، سماها بولس « إنسان الخطية » ، ورأى يوحنا أن القوة الرومانية هى هذه القوة الشريرة ، وهذا ما عبر عنه يسوع فى نبوته فى رجسة الفساد فكأنه يقول « يوما ما قريبا جدا سترون قوة الشر وقد أعلنت فتهجم على المكان المقدس وتحاول أن تحطمه » وبذلك عبر عن الحوادث الآتية بتعبيرات شائقة .

وفى سنة ٧٠ م ميلادية سقطت أورشليم بعد أن حاصرها بنطس الرومانى ، وقصة حصارها وسقوطها تعد من أقسى صفحات التاريخ فلقد مات الشعب داخل المدينة وهم مكدسون فى وسطها بمئات الألوف ، مزقتهم المجاعات والانقسامات وسيف الرومان ، ولقد وصف يوسيفوس هذه النهاية فى الجزء الخامس من

كتابه « حروب اليهود » « ٩٧٠٠٠ أخذوا أسرى ، مليون ومائة ألف قتلوا بالجوع والسيف . ولقد اتسعت المجاعة فأبادت عائلات وبيوتا بأسرها، وامتلأت العليات بالنساء والأطفال الذين ماتوا جوعا ، وتكدست الجثث فى الحوارى ، وتجول الشباب والصبيان كالأشباح فى المدينة والأسواق وكانوا يتساقطون واحد بعد الآخر . ولم يستطع إنسان أن يدفن موتاه ، ولما حاول بعضهم كانوا يدفنون هم مع الموتى ولقد دفن الناس أنفسهم أحياء ولم تكن هناك مراثى ولا أحزان لأن المجاعة أخمدت كل عاطفة بشرية ، وجاء على المدينة صمت هائل . ولقد فتش كثيرون على الجيف والجثث التى ما كانوا يطيقون أن يروها بأعينهم وأكلوها ، وكانوا يمضغون جلود أحذيتهم ، وبلغ الأمر أن ذبحت إحدى الأمهات إبنها وأكلته وأعطت جزءا منه لبعض الناس »

لقد تمت نبوة يسوع وماتت مئات الألوف وسط المدينة أما الذين سمعوا صوته وأخذوا بنصيحته فقد نجوا من هذا العذاب البشرى الذى يفوق كل وصف .

الطريق الصعب

فَانْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ . لِأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ وَتُجْلَدُونَ فِي مَجَامِعَ وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلَاةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ . وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالْإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ . فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيُسَلِّمُوكُمْ فَلَا تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلُ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ

وَلاَ تَهْتَمُّوا . بَلْ مَهْمَا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَبِذٰلِكَ تَكَلَّمُوا . لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحُ الْقُدُسُ . وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالْأَبُ وَلَدَهُ . وَيَقُومُ الْأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ . وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي . وَلٰكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهٰذَا يَخْلُصُ .

(مرقس ١٣ : ٩ — ١٣)

نأتى الآن إلى النبوة عن الاضطهادات وفى الحق لم يترك يسوع أتباعة يجهلون ما ينتظرهم ، إن يسوع يفتح عيون الناس على الحقيقة دائما .

أما التسليم إلى المجالس وأيدى الرؤساء والجلد فى المجامع فقد عنى به يسوع الاضطهاد الذى يقع عليهم من اليهود . فقد كان السنهدريم هو المحكمة اليهودية العليا ، ولكن فى كل قرية ومدينة كان هناك نوع من هذه المجامع تحكم على المراطقة بالجلد العانى . أما الحكام والملوك فقد عنى بهم الرومان . كما حوكم بولس أمام السلطات الرومانية من أمثال فيلكس وفستوس وأغريباس .

ولقد كان للايمان المسيحى أثره الكبير فى تقوية الشهداء الذين واجهوا كل ما يمكن أن يتخيله إنسان من اضطهادات ولكن فى شجاعة وعزم . لقد كانوا أميين بسطاء فقراء ولكن كانوا فى ثباتهم مثلا للصبر والشجاعة والرجاء .

أما مسألة عداوة الإنسان لأهل بيته فقد كانت إحدى لعنات المجتمع الرومانى ، فلم يكن يتردد بعض الناس أن يبلغوا عن أقربائهم إلى الرؤساء بأنهم غير مخلصين للدولة .

ولقد قيل إن أحد الرعايا الألمان فى عهد هتلر قبض عليه وسجنوه وعذبوه عذابا عظيما ولـكنه تحمل عذابه بشجاعة وصبر دون شكوى أو تذمر . ثم أطلق سراحه ، ولشدة انذهال الناس الذين عرفوا قصة شجاعته أنهم سمعوا نبأ انتحاره ، ولـكنهم أخيراً عرفوا سبب ذلك لقد علم الرجل بعد خروجه أن إبنه هو الذى وشى به لدى السلطات فقبض عليه وعومل هكذا فلم يمكنه أن يتحمل الصدمة رغم شجاعته . بل إن عداوة الأقرباء ذكرت فى كتب الأبوكريفا على أنها إحدى ضربات الأيام الأخيرة . « ولسوف يهاجم الأصدقاء بعضهم البعض فجأة » [٤ إسدراس ٥ : ٩] . « وسيكرهون بعضهم البعض ويحاربون بعضهم البعض» [٢ باروخ ٧٠ : ٣] . « وسيكره بعضهم البعض الـكبير ضد الصغير ، والصغير ضد الـكبير ، الفقراء ضد الأغنياء ، والمنحطين ضد العظماء . [اليوبيل ٢٣:١٩] . . وهكذا . إن الحياة ستنقلب جحيما عندما يختفى الإخلاص وتزول المحبة ولا تبقى روابط عائلية .

ولقد كره الناس المسيحيين واتهموهم بأنهم سحرة مشعوذون ، والسبب فى ذلك لأن المسيحية دخلت عميقا فى الربط العائلية ، وكان المسيحى يحب المسيح أكثر من إخوته أو أولاده أو والديه . ولـكن الـكراهية زادت بسبب موقف المسيحيين الذى أثار الشـكوك فيهم ، ولعل ذلك كان راجعا إلى الإشاعات الخبيثة التى أطلقها الـكثيرون عليهم وخاصة اليهود ، وأهم هذه الإشاعات هى أن المسيحيين هم أكلة لحوم البشر وذلك راجع إلى سوء فهم لفريضة العشاء الربانى .

فى هذه كلها يتحقق قول السيد « من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » فالحياة ليست موقفاً ولا معركة واحدة بل هى سباق مستمر .. سلسلة من المعارك ومن يصبر فيها إلى المنتهى فهذا سينتصر . ويخبرنا ج ج جيفرسون عن أحد مشاهير

الرجال أنه رفض أن يكتب تاريخ حياته فى إبان نجاحه وقال « لقد رأيت كثيرين جداً يسقطون صرعى الفشل بعد النجاح الضخم » فالحياة ليست مضمونة إلا بعد النهاية ، ولقد رأى يوحنا بنيان أن من أبواب السماء نفسها توجد مسالك تؤدى إلى الجحيم .

أخطار الأيام الأخيرة

وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ تُجَاهَ الْهَيْكَلِ سَأَلَهُ بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ عَلَى انْفِرَادٍ . قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هٰذَا وَمَا هِيَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَ مَا يَتِمُّ جَمِيعُ هٰذَا . فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَابْتَدَأَ يَقُولُ انْظُرُوا لاَ يُضِلُّكُمْ أَحَدٌ . فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ إِنِّي أَنَا هُوَ . وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ .

حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ فَلاَ تُصَدِّقُوا . لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ لِكَيْ يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا . فَانْظُرُوا أَنْتُمْ . هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ .

(مرقس ١٣ : ٣ ـ ٦ ، ٢١ ـ ٢٣)

لقد أنبأ يسوع تلاميذه أن بعض المضللين سيظهرون فى الأيام الأخيرة ،

ولقد ظهرت بالفعل كثير من البدع والهرطقات ليس بعد ذلك الوقت بكثير . وهناك ثلاثة أسباب رئيسية للهرطقات .

١ — الهرطقة تنبع من محاولة الشخص تكييف العقائد بحيث تتوافق مع حالته الروحية وبهذا ينطبق قول كاتب المزمور «قال الجاهل في قلبه ليس إله» إن هذا الجاهل ليس إنسانا غبيا عقليا ولكنه غبي روحيا ، وهذه النتيجة لم يصل إليها عقليا فأنكر وجود الله ولكنه حاول أن يستبعد الله من حياته ، لأن الله بالنسبة له شيء لا يطاق ولا يحتمل. فالله إذن غير موجود . إن إحدى الهرطقات أو الضلالات الشائعة هي ضلالة « ضد الناموس » . ويسير الجاهل في مناقشته هكذا : نحن الآن لسنا تحت الناموس ، وهذا حق . نحن الآن في عهد النعمة ، وهذا حق . ونعمة الله تكفي لكل خطية فهي أعظم من أن تعجز عن غفران أية خطية ، وهذا حق . إذن دعنا نخطيء لكي نعطي الفرصة لهذه النعمة العظيمة لتعلن عن نفسها وعن مجدها . دعنا نعمل ما نريد » وهكذا يكيف الجاهل نعمة الله على حسب هواه .

وهناك هرطقة أخرى وهي أن الروح أهم من الجسد . الروح كل شيء والجسد لا شيء ، وإن كان كذلك فالإنسان يستطيع أن يعمل كل شيء بجسده وهذا لا يهم لأن الجسد تافه . فلا داعي لأن نضطرب ولنعطه كل احتياجاته وشهواته . وبهذا يكيف العقيدة لتوافق رغباته . وإذا نظرنا إلى عقيدتي مجيء المسيح والسماء والجحيم ورأينا كيف أن المسيحيين يحاولون أن يسقطوهما من العقائد لأنهما لا توافقان الذوق الحديث لعرفنا أن المسيحية تقف الآن في مواجهة بدعة جديدة .

٢ — والهرطقة تنشأ ثانية من تأكيد حقيقة على حساب الحقائق اللاهوتية الأخرى ففى بحث صفات الله مثلا قد نخطىء إذ نرجح صفة على صفة أخرى . فمثلا لو فكرنا أن الله قدوس فقط فلا نستطيع أن نقترب منه أو نكون علاقة معه بل نفكر فى إله بعيد ومنفصل انفصالا تاما عن العالم ، ولو فكرنا فى عدل الله فقط لعشنا حياتنا فى خوف دائم منه ، ولو فكرنا فى إله المحبة فقط لكانت ديانتنا ديانة العواطف والإحساسات التى لا تقف أمام الحقائق الأخرى . ففى العهد الجديد نجد أصحاحات أخرى تلازم لوقا ١٥ ولابد من وجود تناقض ظاهرى فى المسيحية : فالله المحب هو الله العادل . . الإنسان حر لكن الله يدير ويدبر كل شىء . . الإنسان يعيش فى الزمان ولكنه مخلوق خالد . واستقامة الرأى فى الديانة تشبه إنسانا يسير على حد سيف لو مال إلى الشمال أو اليمين يسقط . . يجب أن ترى الحياة ككل .

٣ — والهرطقة تقوم ثالثة من محاولتنا تكييف الديانة بحسب أمزجة الناس ، وبهذه الكيفية يزول مجد الديانة . . يزول منها التوبيخ والتواضع والمسئولية الأخلاقية . إن عمل رجل الدين هو أن يغير الناس ليسيروا حسب الديانة لا أن يغير الديانة لتسير حسب مزاج الناس .

٤ — والهرطقة تقوم من الإنقطاع عن الشركة المسيحية ، فكلما فكر الإنسان وحده كلما كان قريبا من منطقة الخطر . هناك تقليد الكنيسة . . هناك مركز الكنيسة كعمود الحق فيجب أن نصدق هذا ، ومن يجد نفسه منفصلا فى تفكيره عن هذا كله فليفتش فى نفسه فالخطأ قد يكون فيه . . إن الكنيسة الكاثوليكية محقة فى قولها : إن الإنسان لا يستطيع أن يقول إن الله أبوه قبل أن يقول للكنيسة « أمه »

٥ — وتقوم المرطقة أخيراً من محاولة الإنسان أن يكون واضحا كل الوضوح. وهنا نجد التناقض الظاهرى واضحا . فبينما نريد أن نجعل عناصر إيماننا واضحة مفهومة للجميع نعجز عن أن نحتوى اللاهوت الغير محدود فى عقولنا المحدودة ، ولهذا فاللاهوت الأنيق المحدد الموضوع فى تقسيم كامل هو لاهوت مشكوك فيه متناقض ، لأن اللاهوت ليس رياضة ولا هندسة ، « فالجاهل وحده هو الذى يريد أن يضع السماء فى عقله لأن عقله سينفجر ، أما الحكيم فهو من يضع رأسه فى السماء » . فعندما نفكر فى ذكاء وعبقرية لنذكر أن هناك أسراراً عميقة لم نصل إليها بعد .. ما علينا إلا أن نقف أمامها بخشوع نعبد ونصلى ونمجد ، وكما قال ترتليان « إننا نؤمن لأننا لا نستطيع أن نفهم كل شىء » .

مجيئه الثانى

فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَبِأَخْبَارِ حُرُوبٍ فَلاَ تَرْتَاعُوا . لِأَنَّهَا لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ . وَلٰكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ . لِأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ وَتَكُونُ زَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَاضْطِرَابَاتٌ. هٰذِهِ مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ .

وَأَمَّا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بَعْدَ ذٰلِكَ الضِّيقِ فَالشَّمْسُ تُظْلِمُ وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِى ضَوْءَهُ . وَنُجُومُ السَّماءِ تَتَسَاقَطُ وَالْقُوَّاتُ الَّتِي فِي السَّمٰوَاتِ تَتَزَعْزَعُ . وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ

كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ . فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلاَئِكَتَهُ وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ .

(مرقس ١٣ : ٧ و٨ ، ٢٤ - ٢٧)

هنا يتكلم يسوع عن مجيئه الثانى موضحا إياه بثلاث صور مأخوذة من « يوم الرب » كما ورد فى كتابات اليهود والعهد القديم .

١ - فيوم الرب يسبقه حروب . ويقول عزرا « اضطرابات فى أمكنة وقلاقل فى الناس وكرب فى الأمم وقلق للرؤساء وزمجرة فى الأمراء » [٩:٣] وفى مكان آخر يقول : « وسيغشى ساكنى الأرض ذهول ودهشة وسيحاربون بعضهم بعضا . مدينة تحارب أخرى ومكان ضد آخر وشعب يقوم على شعب ومملكة على مملكة » ويقول كتاب آخر « ملك يأسر ملكا ويأخذ أرضه ومملكة تحطم مملكة فيهرب حكامها إلى أرض أخرى . وتتغير الأرض وتغير البرابرة على اليونان ويمتصون ثروتها ويجابه الناس الهلاك بها » [نبوات ساب ٣ : ٦٣٣ — ٦٤٧] .

ويشير باروخ إلى اثنى عشر شيئا تسبق العهد الجديد « أولا قلق ثم ذبح العظماء وثالثا موت كثيرين ورابعاً قتل بالسيف وخامسا جوع وقحط وسادسا زلازل ورعب وثامنا أرواح شريرة تهجم وتاسعا سقوط نار وعاشرا الظلم وحادى عشر شر وفساد وثانى عشر اضطراب من جراء هذه الضربات » وعندما يتكلم يسوع عن الحروب فانه يستعيد هذه الصور اليهودية .

٢ - يوم الرب يسبقه ظلام الشمس والقمر : والعهد القديم مملوء بهذه

الصورة [عاموس ٨ : ٩ ويوئيل ٢ : ١٠ ، ٣ : ١٥ وحزقيال ٣٢ : ٧ ، ٨ ، وإشعيا ١٣ : ١٠ ، ٣٤ : ٤] . وكتابات اليهود أيضاً مملوءة بذلك [٢ عزرا ٥ : ٤ — ٧ وباروخ ٣٤] .

٣ — ومن ضمن صور يوم الرب هو رجوع اليهود إلى فلسطين . والعهد القديم مملوء بذلك [إشعياء ٢٧ : ١٣ ، ٣٥ : ٨ — ١٠ وميخا ٧ : ١٢ وزكريا ١٠ : ٦ — ١١] .

* * *

ولكن لنذكر هذا أن يسوع عندما كان يتكلم عن مجيئه الثانى لم يعط جدول أوقات أو خريطة يرسم فيها المستقبل ، إنه يستخدم الصور التى استخدمها اليهود لكى يقرب صورة مجيئه الثانى إلى العقول .

ولكن من المهم أن نلاحظ أن ما ذكره يسوع كان يحدث حقيقة : فحروب البرابرة على الحدود الرومانية ، والزلازل التى حدثت فحطمت لودوكيا وابتلعت بومباى والمجاعة التى حدثت فى روما أيام كلوديوس قيصر . . لقد كانت الاضطرابات عظيمة حتى أن أحدهم قال « إن الآلهة لم تفتش على الناس لتخلصهم بل لتهلكهم » ولكن هناك شىء واحد مهم ويقينى وهو أن يسوع سيأتى مرة أخرى .

إصحوا

فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ . مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقاً تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ . هٰكَذَا أَنْتُمْ

أَيْضًا مَتَى رَأَيْتُمْ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ صَائِرَةً فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لاَ يَمْضِي هٰذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هٰذَا كُلُّهُ. السَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلٰكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. وَأَمَّا ذٰلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ. اُنْظُرُوا. اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لأَنَّكُم لاَ تَعْلَمونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ. كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ وَأَوْصَى الْبَوَّابَ أَنْ يَسْهَرَ. اسْهَرُوا إِذًا. لِأَنَّكُم لا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ أَمَسَاءً أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ أَمْ صِيَاحَ الدِّيكِ أَمْ صَبَاحاً. لِئَلاَّ يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَاماً. وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ اسْهَرُوا.

(مرقس ١٣ : ٢٨ ــ ٣٧)

هناك أمران تجدر ملاحظتهما فى هذا الفصل :

١ ــ ظن بعض العلماء خطأً أن يسوع عندما قال إن هذه الأشياء تحدث فى هــذا الجيل أنه كان يقصد مجيئه ، وظنوا أن نبوته لم تتحقق ، ولكنه فى

الحقيقة كان يقصد لا مجيئه الثانى بل عن خراب أورشليم ، لأنه هو يعترف صراحة إن ابن الإنسان لا يعرف ساعة مجيئه . فنبوته اختصت بأورشليم والهيكل .

٢ — إن يسوع قال إن ابن الإنسان لا يعرف اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ، ويترك أشياء كثيرة فى يد الله وهو بذلك يوبخ أولئك الذين يظنون أنهم يعرفون أكثر منه ويرسمون خرائط لمجيئه .. إنه تجديف .

٣ — وبعد ذلك يظهر الرب النتيجة العملية لهذا كله . نحن كأناس ينتظرون سيدهم متى جاء ولكنهم لا يعرفون متى ، فلا داعى للخوف الهستيرى لكن لنعلم أن يوما ما سيكمل عملنا .. إننا نعيش عيشة مقدسة فلا نهتم كثيراً متى يأتى بل لنجعل كل يوم مقدساً حتى إذا جاء وواجهناه لا نخجل منه . إن الحياة كلها تكون استعداداً لمقابلة الملك .

هذا الأصحاح صعب ولكن لنا فيه حقائق مجيدة :

١ — إن الذى يعرف أسرار التاريخ هو رجل الله فقط ، لقد رأى يسوع خراب أورشليم بينما لم يره غيره لأنهم لم يكونوا لله . وهكذا كل من يريد أن يقود أمه يجب أن يقوده الله أولا . إن الإنسان الذى يعرف الله هو الإنسان الذى يستطيع أن يعرف تدبيره .

٢ — إنه يخبرنا حقيقتين عن المجىء الثانى :

(١) إنها تخبرنا أن الحق الموجود فى هذه العقيدة قد ننساه عند ضيقتنا

(ب) إن الصور التى يرسمها يسوع هى صور يهودية ذكرها ليفهم الناس

بلغتهم ، ولهذا فعندما نحاول أن نبنى فوقها حوادث واقعية تاريخية فإننا نحصل عن الطريق الذى رسمه هو . إننا نعرف شيئا واحداً وهو أن التاريخ يسير ويتقدم ولا بد من الكمال .. بالمجىء الثانى .

٣ — إنه يخبرنا أن الجاهل هو الشخص الذى ينسى الله وينهمك فى العالم ، أما الحكيم فهو الذى يذكر دائما أنه يجب أن يكون مستعداً للنداء ومتى فعل ذلك فالنهاية لن تكون خوفا وانزعاجا بل فرح المنتصرين .

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ عَشَر

العمل الأخير يبدأ

وَكَانَ الْفِصْحُ وَأَيَّامُ الْفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ . وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يُمْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُونَهُ . وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ .

(مرقس ١٤ : ١ و ٢)

من هنا يبدأ العمل الجماعي الأخير الذي قام به يسوع . وكان ذلك قرب عيد الفصح . إن الفصح والفطير عيدان منفصلان لا يجب الخلط بينهما . فالفصح يقع يوم ١٤ نيسان أو ١٤ أبريل تقريبا أما الفطير فهو عبارة عن سبعة أيام تلحق بعيد الفصح . عيد الفصح عيد كبير يحفظ سبتا للرب أما عيد الفطير فهو عيد صغير قد تعمل فيه الأعمال « الهامة والتي تسبب الخسائر بتوقفها » . اليوم العظيم هو يوم الفصح .

وعيد الفصح هو أحد الأعياد الثلاثة — الفصح ، الخمسين ، المظال — التي فيها ينبغي على كل يهودي قد بلغ سن الرشد ويسكن حول أورشليم في دائرة قطرها ١٥ ميلا أن يعيدها في أورشليم نفسها . ولهذا العيد طبيعتان :

(أ) له طبيعة تاريخية [خروج ١٢] ففيه يذكر الاسرائيليون كيف خلصهم الرب من مصر بعد أن ضربها بعدة ضربات شديدة كان آخرها موت الأبكار، ولكن الاسرائيليين ذبحوا في بيوتهم حملانا ورشوا دماءها على القائمتين والعتبة وبذلك عبر الملاك المهلك عن بيوتهم. وقبل أن يخرجوا من مصر كان عليهم أن يأكلوا هذا الحمل مع فطير غير مختمر. هذا ما يعنيه الفصح تاريخيا.

(ب) له طبيعة زراعية: إذ فيه يبدأ حصاد الشعير، وفي ذلك اليوم يحضرون حزمة من الشعير ليرددونها أمام الرب [لاويين ٢٣: ١٠و١١]. ولا يمكن أن يباع المحصول الجديد أو يشترى إلا بعد ترديد هذه الحزمة.

وكان اليهود يستعدون لهذا العيد استعدادا هائلا: فكانوا يدرسون ويعظون عنه في المجامع وفي المدارس، حتى يستطيع أن يعرف الكل طبيعة هذا العيد ومجده. وكانوا يفعلون شيئا غريبا وهو أنهم كانوا يبيضون القبور التي على جانبي الطريق. فقد كان اليهود أحيانا يدفنون موتاهم بجانب الطريق، وكانت أحكام الشريعة تقول إن من يلمس قبر ميت فقد تنجس لأنه لمس الميت، فلهذا فقد كان الحجاج يخافون أن يلمسوا القبور في طريقهم إلى أورشليم فكانت السلطات تبيض القبور فتظهر للناس واضحة فيبتعدون عنها. وكان الحجاج في طريقهم ينشدون بعض المزامير الخاصة واسمها مزامير للصاعد [مزامير ١٢٠ — ١٣٤] أي المزامير التي كانوا يرنمونها في صعودهم إلى أورشليم، ويقال إن مزمور ١٢٢ كان المزمور الذي يرنم عندما يصعد الحجاج آخر مرتفع لهم نحو المدينة.

وكانت أورشليم في تلك الأعياد تزدحم إزدحاما شديدا فقد كان يحضر اليها

حجاج من كل أمة وشعب لأن أمنية كل يهودى هى أن يأكل الفصح ولو مرة فى أورشليم قبل أن يموت، ولهذا فقد كانت العائلات تفتح بيوتها للحجاج، ولما كانت المدينة تضيق بمن فيها، كانوا يذهبون إلى بيت فاجى وبيت عنيا. وهناك ملحوظة ذكرها يوسيفوس توضح الازدحام الشديد الذى يسود أورشليم فى تلك الأعياد فقد قال إن أحد حكام اليهود أراد أن يبرهن لنيرون أهمية الديانة اليهودية فعمل تعدادا لما يذبح من الخراف فى عيد الفصح فوجده ٢٥٦٠٠٠ حملا. ولما كانت الشريعة تسمح لعشرة بأن يشتركوا فى حمل، ولهذا نستطيع أن نخمن أن حوالى ثلاثة ملايين نسمة تفد إلى أورشليم فى ذلك العيد.

ولهذا فقد كانت السلطات اليهودية تهتم كثيراً جداً بتلك الأيام. ففى عيد الفصح يرتفع الإحساس بالقومية وبالظلم فى آن واحد إذ يذكر اليهود كيف أن الرب قد خلص آباءهم من يد فرعون، وكانوا يودون أن يتخلصوا من الرومان. وكان الحاكم يأتى من قيصرية عاصمة حكمه إلى أورشليم ومعه بضعة كتائب من الجيش الرومانى ويعسكرون فى قلعة أنطونيو المشرفة على الهيكل، وبذلك يستطيع أن يحفظ صمام الأمن من الإفلات.

ولقد عرفت السلطات اليهودية هذا الأمر وأحست أنه يجب أن يقبضوا على يسوع سراً وإلا اضطربت المدينة، ومتى اضطربت تعجز أية قوة على إخمادها فى ذلك الوقت.

لقد كان آخر عمل يقوم به يسوع فى مدينة مكتظة بالناس جاءوا ليذكروا خلاصهم فى الماضى من العبودية. وهم يجهلون أن خلاصهم من عبودية الشر تم على يدى مسيح الله الذى يقطن بينهم وهم لم يعرفونه بعد.

المحبة المسرفة

وَفِيمَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الأَبْرَصِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ. فَكَسَرَتِ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ. وكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ الطِّيبِ هٰذَا. لِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هٰذَا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِ مِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ. وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا. أَمَّا يَسوعُ فَقَالَ اتْرُكُوهَا. لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا. قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَنًا. لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهٰذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هٰذِهِ تَذْكَارًا لَهَا.

(مرقس ١٤ : ٣ — ٩)

إن أهمية هذه القصة تكمن فى أنها تكشف عن آخر عمل رحمة وُجِّه ليسوع.

كان يسوع فى ذلك الوقت يتناول طعام الغداء فى بيت سمعان الأبرص فى

بيت عنيا . وكان اليهود فى الولائم لا يجلسون بل يتكئون فوق وسائد على أيديهم اليسرى ويأكلون بأيديهم اليمنى . وبينما كان يسوع يأكل جاءت إمرأة من ورائه ومعها قارورة من الطيب الخالص . لتسكبه عليه . كانت العادة أن يضع المضيف بضع قطرات من العطور على رأس الضيف عندما يدخل منزله ، ولكن هذه المرأة فعلت شيئا كبيراً فقد سكبت الطيب كله ، وكان طيبا نادراً وغالى الثمن جدا إذ كان من الناردين الذى يؤخذ من نبات نادر ينمو فى بلاد الهند ، وليس ذلك فقط بل أنها كسرت القارورة ، وكسرها معناه أنها تقدر يسوع كأمجد ضيف قد دخل البيت فلا يستحق إنسان غيره أن يدهن بالطيب . ولكن الأمر الذى رآه يسوع ولم تره هذه المرأة ولا الحاضرون هو أن كسر زجاجة الطيب معناه تكفين هذا العزيز الذى يدهن به ، فقد كانت العادة أن يكسروا زجاجة الطيب الذى يدهن به جسد الميت ثم تجمع بقايا الزجاجة وتوضع مع الميت فى كفنه . ولو أن المرأة لم تقصد مطلقا هذا المعنى لكن هذا ما حدث .

ولقد أثار هذا العمل غضب بعض الحاضرين فقد كان ثمن الطيب يساوى أجر سنة كاملة للعامل اليهودى ، ولهذا فقد كان من المخجل أن يبعثر مثل هذا الطيب بهذه الكيفية الغريبة ، لكن يسوع عرف تفكير قلوبهم ورد عليهم من نفس الكتاب المقدس « الفقراء معكم فى كل حين [تثنيه ١٥ : ١١] وكأنه يقول : تستطيعون أن تمدوا يد المعونة لأى فقير تريدون لأنهم معكم . أما بالنسبة لى أنا فلن تقدروا أن تفعلوا شيئا . . لقد عملت ذلك لتكفينى .

هذه القصة ترينا كيف يتصرف المحب :

١ — لقد ذكر يسوع عن هذا العمل أنه عمل حسن » وفى اللغة اليونانية توجد كلمتان تصفان الحسن : الأولى أجاثوس agathos ومعناه الطاهر — بالمعنى الأخلاقى والكلمة الثانية كالوس Kalos ومعناه الشىء الجميل المحبوب . الكلمة الأولى قد تعنى الطاهر ولكنها قد تعنى الصعب . فالإنسان الطاهر قد يكون قاسياً صارما . أما الكلمة الثانية فتعنى أن حسنه فيه الجمال والجاذبية ولقد وصف يسوع عمل المرأة بالكلمة الثانية أى أنه عمل محبب جميل فيه الجاذبية .. ما أعظم ما يعود للكنيسة بالنفع لو كان عملها عملا محببا جذابا جميلا ؟

٢ — إن المحبة الأصلية هى محبة مسرفة فى نظر الناس . إنها لا تجاس لتحب هذا أو ذاك . أنها تعطى كل ما تستطيعه . . ولو أمكنها لأعطت كل العالم ، ومع ذلك فالعطية فى نظرها صغيرة . . هناك نوع من المغامرة فى عنصر المحبة الحقيقية .

٣ — والمحبة عندما تعمل فإنها تعمل كأنها الفرصة الأخيرة لها فى العمل . ومن مصائب الحياة أننا عندما تتحرك مشاعرنا لعمل الخير نؤجل عمله ظانين أن فرصة أحسن سوف تسنح لنا لنقدم فيها خدمة أكبر من هذه ، ولكن قد لا تأتى الفرصة مرة أخرى . قد نخجل أن نرسل خطاب شكر لشخص عمل لنا خدمة ، قد نخجل أن نعبر بالكلام عن شكرنا ومحبتنا لشخص ما ، قد نخجل أن نقدم لشخص هدية بسيطة أو كلمة خاصة . . قد نخجل أن نفعل ذلك ونميت هذا الشعور لأنه صغير بل ونؤجله إلى أن تحين الفرصة لأن نعمل شيئا أعظم من ذلك وقد لا يأتى هذا الوقت أبداً . وما كان أجمل الحياة لو عمل الناس عملا جميلا حسنا مثلما عملت هذه المرأة بأول فرصة تسنح ؟ لقد أثلجت قلب يسوع بعملها هذا .

٤ — ويمكننا أن نلاحظ هنا ثقة يســـوع اللانهائية فى الآب . إنه يرى الصليب أمامه ، ولـكنه يثق أنه ليس نهاية المطاف ، سوف ينتصر وسوف يخبر بقصتها فى العالم كله . إن قصة هذه المـرأة ومدى حبها وتضحيتها سـوف تـكون جزءا حيا من الإنجيل .

الخائن

ثُمَّ إِنَّ يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ وَاحِدًا مِنَ الاثْنَىْ عَشَرَ مَضَى إِلَى رُؤَسَاءِ الْـكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ . وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا ووعَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً . وَكَانَ يَطْلُبُ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ فِي فُـرْصَةٍ مُوَافِقَـةٍ .

(مرقس ١٤ : ١٠ و ١١)

يضع مرقس ، كفنان عبقرى ، متناقضات صارخة جنبا إلى جنب ليعمل منها قصة حياة المسيح الجبارة . وها هو هنا يرسم بالظلال السوداء صورة الخيانة الـكئيبة بجوار النور الباهر الذى شعته المحبة فى عمل هذه المرأة العظيمة .

وذكرى يهوذا تهز القلب حزنا وكآبة . . فقد صوره دانتى وهو ملقى فى أسفل طبقات الجحيم المملوءة بالثلوج المتراكمة . . تلك الطبقة التى خصصت لا للأشرار الملتهبين بالغضب الحاد بل للأشرار المحترفين الذين يعملون فى صمت وعناد وقساوة ضد محبة الله .

ومع أن كلمات مرقس لا تترك مجالا للتفسير فإننا نستطيع أن نلمح شيئاً وراء العمل الذى عمله يهوذا .

١ — الجشع : فى متى ٢٦ : ١٥ نجد يهوذا يذهب الى السلطات اليهودية ويطلب ثمنا لتسليم يسوع لهم ، ويساوم معهم حتى يصل المبلغ إلى ثلاثين من الفضة ولقد أنار لنا يوحنا الطريق إذ أعلن أن هذه السلطات كانت تفتش وتبحث عن أسلم الطرق لتسليمه للحكومة وقتله ويلوح أنهم خصصوا مبلغامن المال لأى إنسان يسلم يسوع [يوحنا ١١ : ٢٧] تماما كما كانوا يفعلون مع كل الخارجين عن القانون ، ولقد ذهب يهوذا لأنه كان يريد المال . . لقد كان سارقا ولصا [يوحنا ١٣ : ٦] . لقد كانت شهوة المال عند يهوذا شديدة دفعته إلى أن يبيع سيده . ولكم أعمت شهوة المال الكثيرين فجعلتهم يفكرون فى كم سيربحون لا فى مشروعية الوسيلة التى يربحون بها . لقد عرف يهوذا كم كلفه طمعه ولكن معرفته جاءت متأخرة .

٢ — وكان وراءها الحسد والغيرة : يقول أحد شعراء الألمان إن يهوذا عندما تبع المسيح مع الاثنى عشر كان شابا موهوبا فاضلا يبشر بمستقبل باهر ، ولكن الغيرة المرة من يوحنا الذى صار التلميذ المحبوب حولت تلك المواهب إلى رماد شر . إن ما نعرفه يقينا هو أن شجارا عنيفا كان ينشب بين التلاميذ عن أيهم الأعظم فى ملكوت السموات ، ولكن بقية التلاميذ تغلبوا على تلك المواقع وضبطوا أنفسهم ، أما يهوذا فكانت غيرته عمياء أعمته عن كل خير وساقته إلى الشر .

٣ — ولابد أن كان وراءها الطموح . وفى الأناجيل يظهر التلاميذ كثيرا

وهم ينتظرون ويطلبون ملكوتا أرضيا يتبوأون فيه أعلى المراكز ، ولابد أن يهوذا كان يشاركهم هذا الطموح الخاطىء ، ولابد أنه كان الأول فيهم الذى اكتشف خطأ عقيدتهم هذه وبذلك تحول حبه الشديد ليسوع إلى كراهية قاتلة . وهكذا يؤدى الطموح الخاطىء بصاحبه ، إن الطموح الحقيقى هو الذى يبنى على المحبة والشرف والعمل الحسن وبذلك يصل الى ما يصبو اليه صاحبه .

٤ — هناك بعض للمفكرين من يظنون أن يهوذا لم يكن يقصد بخيانته ليسوع أن يقوده الى الصلب والموت . . إنه قصد شيئا آخر غير الذى حدث . فلقد كان المسكين وطنيا متعصباً متحمساً ، ورأى فى يسوع القوة والامكانية على تحقيق آمال أمته ، ولكنه لما رأى يسوع لا يقوم بذلك العمل ذهب الى سلطات اليهود وباعه لهم لا لكى يميتوه بل لكى يجبر يسوع على العمل ، كان يظن أن يسوع سوف يخلص نفسه ويبدأ عمله العظيم لليهود ، والدليل على ذلك أنه عندما رأى أن خطته سارت فى الطريق المضاد لتفكيره مضى ورمى ثمن الخيانة وشنق نفسه (متى ٢٧ : ٣ — ٥) . وإن صح ذلك فمأساة يهوذا تعد أقسى مأساة فى التاريخ البشرى .

٥ — يتفق يوحنا ولوقا معا على أن يهوذا قد دخله الشيطان (لوقا : ٢٢:٣، يوحنا ١٣ : ٢٧) وقد نقول إن الأمر كله يتلخص فى أن يهوذا أراد أن يجعل يسوع يعمل ما يريد هولا أن يعمل هومايريد يسوع ، لقد تبع يسوع لا ليكون واحداً من أتباعه بل ليجعله يتمم له كل خطته ويحقق أحلامه ، لم يستسلم لسيده بل أراد أن يجعل سيده يستسلم له ؛ ولكنه عندما رأى يسوع يسير فى طريقه المرسوم كرهه وخانه وسلمه للأعداء . إن أساس عمله هذا هوخطية الكبرياء ،

فالكبرياء هى أن يحاول الإنسان أن يكون وأن يعمل ما يريد لا أن يكون وأن يعمل ما يريده الله ، هذه هى خطية الشيطان وما نذر نفسه له . . إنه الآن ينفذ كل شيء ضد إرادة الله . . هذه الروح تجسمت فى يهوذا .

نحن نشمئز عند تفكيرنا فى يهوذا ، ولكن دعنا نذكر هذا : أنه سقط لأنه كان جشعاً حاسداً طموحاً متكبراً فهل نحن أفضل بكثير منه ؟ هذه الخطايا هى التى جعلت يهوذا يخون يسوع ويسلمه وهى بنفسها مازالت تدفع الكثيرين أن يخونوه فى كل جيل وعصر .

الاستعداد للعيد

وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَطِيرِ حِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ الْفِصْحَ قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنُعِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ . فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا اذْهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُلاَقِيَكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ . اتْبَعَاهُ . وَحَيْثُمَا يَدْخُلْ فَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي. فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً مُعَدَّةً . هُنَاكَ أَعِدَّا لَنَا . فَخَرَجَ تِلْمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا . فَأَعَدَّا الْفِصْحَ .

(مرقس ١٤ : ١٢ — ١٦)

قد لا نحتاج أن نذكر أن يسوع كان مرتبا ومنظما فى كل حياته ، فلم يكن يترك الظروف وحدها لتسيره ، وقد ظهر ذلك — كما رأينا — فى قصة ترتيبه للدخول الإنتصارى عندما أرسل تلميذيه ليحضرا الأتان وعرفنا أنه لابد وأن كان له مع صاحبه اتفاق سابق . وبالمثل نجد فى هذه القصة حالة أخرى فى تنظيم يسوع لحياته . فهو إذ يطلب من تلميذيه أن يذهبا إلى أورشليم فيجدا هناك شخصاً حاملا جرة ، لابد وأنه كان يعرف هذا الشخص ولا بد أنه اتفق معه على تمضية الفصح . وحمل الجرار لم يكن عملا عاديا للرجال بل كانت النساء فقط يحملن الجرار . فانسان كهذا يحمل جرة كان لابد وأن كان اتفاقا سابقاً بينه وبين المسيح .

وكانت البيوت اليهودية الكبيرة تقسم إلى غرف ، وفوق السطح كانت توجد غرفة مخصوصة صغيرة إسمها العلية ، وكان يمكن أن يصعد إليها أى زائر عن طريق سلالم خارجية فلا يدخل داخل المنزل . هذه العلية كانت تستخدم كمخزن أو فى تمضية وقت الراحة أو الصلاة ، ولكن الاستعمال الخاص لها كان استعمالا تعليميا إذ كان المعلم اليهودى يجلس هناك مع تلاميذه يعلمهم ويفسر لهم الكتب .

هناك شيء آخر ينبغى أن نعرفه وهو كيفية تقسيم الأيام عند اليهود ، فقد كان اليوم يبدأ فى الساعة السادسة من المساء السابق ، فيوم السبت مثلا كان يبدأ الساعة السادسة من مساء الجمعة وينتهى فى السادسة من مساء السبت .

وهنا نتساءل : ما هى الاستعدادات التى يقوم بها اليهود ليوم الفصح ؟

العمل الأول هو اخلاء المنزل من الخمير ، فكل رب بيت يجب أن يفتش

البيت كله لئلا يوجد فيه خميرة أو خبز مختمر . ويفعلون ذلك لأنهم يذكرون يوم خروجهم من مصر (خروج ١٢) عندما كانوا فى عجلة شديدة من أمرهم وكان عليهم أن يأكلوا بغاية السرعة فلم يكن هناك وقت للخبز المختمر ، فأمرهم الرب أن يأكلوا فطيراً من غير خمير . زد على ذلك عقيدة اليهود فى الخمير فانهم كانوا يرمزون للشر بالخمير ، فهى رمز الفساد والانحلال ولهذا فقد كان رب البيت يمسك بمصباح ويفتش فى البيت بطريقة طقسية عن كل خمير ليخلص البيت منه . وقبل التفتيش يصلى :

« مبارك أنت أيها الرب الهنا ملك الكون الذى قدستنا بوصيتك وأمرتنا أن نتخلص من الخمير » .

وبعد الانتهاء يقول رب البيت أيضا :

« كل الخمير الذى فى حوزتى ما رأيته وما لم أره ليفسد وليكن كتراب الأرض » .

يجىء بعد ذلك ذبح حمل الفصح ويكون ذلك بعد الظهر قبل حلول مساء العيد . وكان يجب على العابد أن يذبح حمله بنفسه . وحالما يقطع رقبة الحمل كان واحد من الكهنة الواقفين فى صفين طويلين يأخذ دمه فى إناء ذهبى أو فضى ثم يسلمه إلى الكاهن الواقف بجواره وذاك يسلمه لآخر حتى يأتى إلى الكاهن الواقف بجوار المذبح فيسكبه على المذبح ، وكان الدم مساو للحياة فى نظر كل يهودى . وبعد ذلك يسلخ الحمل وتوضع الكوارع والشحم على المذبح لأنها قدس للرب . وبعد ذلك يرجع العابد إلى بيته ويشوى الحمل بتمامه شيا .

لا يسلقه ولا يطبخه ولا يدع شيئاً يلمسه بل يحمله على قضيب من حديد ويشويه شيا .

أما المائدة فكانت على شكل مربع مفتوح من أحد جوانبه ، وكانت منخفضة يجلس إليها الضيوف على وسائد مستندين على الكوع الأيسر ويستخدمون اليد اليمنى فى الأكل .

وكان هناك أشياء مهمة يجب على اليهودى أن يقوم بها ، ولابد أن قام بها تلاميذ السيد :

١ — الحمل وهو يذكرهم كيف حفظت بيوتهم فى مصر من ضربة الملاك المهلك .

٢ — الخبز الفطير وهو يذكرهم كيف أكل آباؤهم بعجلة وسرعة عند هروبهم من مصر .

٣ — إناء به ماء ملح ليذكرهم بالدموع التى سكبها آباؤهم فى بيت العبودية وبالبحر الأحمر الذى جازه آباؤهم بمعجزة عظيمة .

٤ — الأعشاب المرة : فجل برى ، سريس، البقلة المباركة والخس وغيرها لتذكرهم بالمر الذى شربه آباؤهم فى بيت العبودية .

٥ — هناك عجينة اسمها « كاروشيث » وهى خليط من التفاح والبلح والفول وغيرها لتذكرهم بالطين الذى حولوه إلى لبن فى مصر وفيها بعض عصى القرفة لتذكرهم بالتبن .

٦ — أربعة كؤوس من الخمر المخلوط بالماء ، وكانت الكؤوس التى يشربونها فى أوقات مخصوصة أثناء الأكل تذكرهم بمواعيد الله الأربعة المذكورة فى خروج ٦ : ٦ و ٧

أخرجك من تحت أثقال المصريين   أخلصك بذراع ممدودة
أخلصك من العبودية   أجعلك شعبا لى وأكون لك إلها

هذه هى الاستعدادات التى كان يقوم بها كل يهودى عند اقتراب عيد الفصح إذ يذكرون كل ما حدث لهم بالتفصيل عند إخراج الرب لهم من مصر فى هذا العيد نفسه جلس مخلص العالم كله ومحرره ليأكل الفصح مع تلاميذه .

آخر صيحات المحبة

وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ . وَفِيمَا هُمْ مُتَّكِئُونَ يَأْكُلُونَ قَالَ يَسُوعُ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي. الآكِلُ مَعِي . فَابْتَدَأُوا يَحْزَنُونَ وَيَقُولُونَ لَهُ واحِدًا فَوَاحِدًا هَلْ أَنَا . وَآخَرُ هَلْ أَنَا . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ . هوَ واحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ الذِي يَغْمِسُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ . إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ . وَلٰكِنْ وَيْلٌ لِذٰلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ . كَانَ خَيْرًا لِذٰلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ .

(مرقس ١٤ : ١٧ — ٢١)

وبدأ عيد الفصح وجلس يسوع وتلاميذه للأكل ، وكانت الطريقة التى يأكلون بها الفصح هى نفسها منذ أن بدأ الفصح فى مصر ماعدا فارق واحد وهو أنهم فى مصر أكلوه على عجلة وبسرعة لأنهم كانوا عبيداً هاربين من العبودية ، أما الآن فإنهم يأكلونه متكئين علامة أنهم أصبحوا أحراراً لهم بيوتهم وأمتهم المستقلة .

وكانت كلمات الكتب المقدسة على لسان يسوع دائماً ، وكان يذكر فى تلك الفترة كلمات المرنم فى (مزمور ٤١ : ٩) ، وفى هذه الحادثة نجد عدة أمور عظيمة .

١ — كان يسوع يعرف تماماً ما يجرى من حوله ، وماذا سيحدث له ومع ذلك فلم ينثن إلى الوراء وهذه هى الشجاعة الكاملة ليسوع . يقول هوميروس إنهم قالوا لأخيل إنه إن ذهب إلى المعركة فسوف يقتل فأجاب أخيل « ولو فأنا هنا لكى أتقدم » . نعم كان يسوع هنا لكى يتقدم .

٢ — كان يسوع يعرف قلب يهوذا . إن الأمر الغريب هنا هو أن التلاميذ لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئا ولم يشكوا فى يهوذا وإلا لكانوا أوقفوه بالقوة ، لأن يهوذا حاول أن يخفى كل شىء عنهم ونجح فى ذلك ولكنه لم يستطع أن يخفى شيئاً عن يسوع ، إنه يعرف أعماق قلوب الناس .

لأن أفكارنا عريانة أمام ناظريك وخطايانا السرية مكشوفة أمام ناظرك الطاهر . نعم « طوبى لأنقياء القلب » .

٣ — فى هذه الآيات نجد يسوع يمنح يهوذا أمرين :

(أ) نداء المحبة الأخير ، كأنه يقول له « أنا أعرف ماذا ستعمل أفلا تتوقف إذن ؟ »

(ب) التحذير الأخير ، لقد عرفه بالنتائج الفظيعة لما يدور فى عقله ولما يدبره الآن ومع ذلك فهو لم يجبره على شىء . كان يمكن ليسوع أن يوقف يهوذا فلا يستطيع أن يفعل شيئاً ، كان يمكن أن يجبر بقية تلاميذه بذلك وبعدئذ لا يستطيع يهوذا أن يخرج حياً من تلك الغرفة ، ولكن يسوع تركه حراً ، وهذا هو الموقف البشرى كله : إن الله يحذرنا وينذرنا ولكنه يتركنا أحراراً لأنه خلقنا عاقلين نقدر الظروف التى نجتازها . . إن المسئولية النهائية فى الخطية والهلاك تقع على الإنسان إذ يصم أذنيه على تحذير وإنذار محبة الله ويعمل ما يريده .

تقول إحدى الأساطير اليونانية إن جماعة من المغنين المشهورين كانوا يجلسون على الصخور فى البحار ويغنون أحلى ما عندهم عندما يرون سفينة قادمة، وعندما كان البحارة يسمعون الغناء الجميل كانوا ينجذبون إليه وبذلك تصطدم سفنهم بالصخور وتتكسر . ولقد عالج إثنان من رؤساء البحار هذا الأمر : الأول كان يجبر البحارة على ألا يسمعوا هذه الأغانى فيسد آذانهم ويربطهم فى المركب بالحبال فلا يستطيعون قيادة السفينة إلى الهلاك أما الثانى فقد كان يغنى على قيثارته أغانى أجمل وأحلى مما كان يأتى من على الصخور وبذلك يجذب البحارة إليه ويبعدهم عن الغناء المهلك . هكذا يفعل الله ، إنه يدعونا دعوة أحلى

وأمجد من الدعوة التى تأتينا من العالم والخطية لعلنا نرجع فلا نهلك . . إنه لا يجبرنا بل يدعونا بالحب .

رمز الخلاص

وفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ خبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ خُذُوا كُلُوا هٰذَا هُوَ جَسَدِي . ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ . وَقَالَ لَهُمْ هٰذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ . الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذٰلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ ثُمَّ سَبَّحُوا وخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ .

(مرقس ١٤ : ٢٢ — ٢٦)

يجب أولا أن نتبع الخطوات التى تسير فيها أكلة الفصح حتى نستطيع أن نفهم ماذا كان يفعل يسوع وتلاميذه فى تلك العلية .

١ — كأس القادوس : أو كأس القداسة أو الانفصال وهذا يعنى فصل هذه الأكلة عن كل الأكلات الأخرى . يصب رب الأسرة الكأس ثم يصلى ويشرب ويعطى كل أهل البيت ليشربوا .

٢ — غسل اليدين الأول . كان على من يأكل الفصح أن يغسل يديه ثلاث مرات بالطريقة التى شرحت فى أصحاح ٧ .

٣ — قطعة من الأعشاب تغمس فى الماء المملح وتؤكل . قد يكون ذلك لفتح الشهية ، ولكن فى أصلها كان العشب يشير إلى الزوفا التى تغمس فى الدم أما الماء المملح فكان يشير إلى دموع الشعب فى أرض مصر ثم إلى مياه البحر الأحمر التى اجتازوها .

٤ — كسر الخبز : وهناك بركتان تذكران عند كسر الخبز « مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الكون الذى تعطى من الأرض خيرات » أو « مبارك أنت أيها الآب السماوى الذى تعطينا الآن خبزنا كفافنا » . وعلى المائدة كانوا يضعون ثلاث دوائر من الفطير الغير مختمر ، وكانت تؤخذ الوسطى وتكسر ، وكانوا يأكلون جزءاً صغيراً منها ليتذكروا أنهم إنما كانوا يأكلون الفتات المتساقط من المصريين وأن العبد لم يأكل من رغيف واحد كامل ، وعندما كانوا يكسرونه كان رب البيت يقول « هذا هو خبز الضيق الذى أكله آباؤنا فى مصر ، فمن هو جائع فليأت ويأكل ومن هو محتاج فليأت ويعيد الفصح معنا » أما اليهود المعاصرون فيضيفون « هذه السنة نحفظ الفصح هنا أما السنة القادمة ففى أرض إسرائيل . هذه السنة كعبيد أما الآتية فسنتحرر » .

٥ — ذكر قصة الخلاص ، وتسير هكذا : يسأل أصغر شخص موجود على المائدة عن السبب الذى يجعل هذا اليوم متميزاً عن كل الأيام ، ولماذا يعملون كل هذا . وعندئذ يبدأ رب البيت فى قص حكاية الخلاص العظيم الذى عمله الرب مع شعبه مبتدأ من الأول حتى عبورهم البحر الأحمر . فالفصح عند اليهود ليس طقساً لكنه ذكرى لخلاص عظيم .

٦ — عندئذ يرتم الحاضرون مزموری ۱۱۳ ، ١١٤ وهما جزء من مجموعة اسمها مجموعة الحمد (۱۱۳—۱۱۸) وهی أول ما يحفظه الولد اليهودى عن ظهر قلب .

٧ — عندئذ يشربون الكأس الثانى واسمه كأس « هاجاداه » أو كأس التفسير أو الإعلان .

٨ — عندئذ يغسل كل الحاضرين أيديهم إستعداداً للأكل .

٩ — وعندئذ تقال البركة « مبارك أنت أيها الرب إلهنا الذى تنبت ثمراً من الأرض ، مبارك أنت يا الله الذى قدستنا بوصيتك وجمعتنا لنأكل فطيراً » .

١٠ — توضع بعض الأعشاب المرة فى وسط قطعتين من الفطير ثم تغمس فى « الكاروشيث » . هذه تسمى باللقمة . وهى تذكرهم بالعبودية التى ذاقوها فى مصر .

١١ — عندئذ تبدأ الوجبة الأصلية . فيأكلون الحمل كله فلا يبقى منه شيء ، وإذا بقى فيحرقونه فى النار ولا يستخدمون أى شيء منه فى أية وجبة أخرى .

١٢ — غسل الأيدى مرة أخرى .

١٣ — بقية الفطير يؤكل .

١٤ — صلاة الشكر التى فيها يطلبون مجيء إيليا ليعلن مجيء المسيا .

ثم يشربون الكأس الثالثة وهى كأس الشكر : وتجرى البركة عليها هكذا ، « مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الكون الذى خلقت ثمار الكرمة » .

١٥ – الجزء الثانى من مزامير الحمد ١١٥ — ١١٨ .

١٦ — الكأس الرابع ثم مزمور ١٣٦ الذى يدعى مزمور الحمد الأعظم .

١٧ — صلاتان قصيرتان « كل أعمالك تسبحك أيها الرب إلهنا ، وكل قديسيك الأبرار الذين يعملون مسرتك وشعبك بيت إسرائيل يرنمون بفرح عظيم ويحمدون ويعظمون ويمجدون ويخشعون ويعطون الملك لاسمك يا الله إلهنا ، لأنه حسن الحمد لك ومبهج الترنم لاسمك من الآن وإلى الأبد أنت الله » .

« كل نفس حية تحمد اسمك أيها الرب إلهنا ، وكل روح بشر تمجدك وتذكر أعمالك أيها الرب إلهنا لأنه من الآن إلى الأبد أنت الله وبجوارك لا إله آخر مخلص وفاد » .

وهنا تنتهى طقوس الفصح ، ونعتقد أن يسوع قد أخذ البند ١٣ ، ١٤ وحولها إلى نفسه وكانت الترنيمة ١٦ هى التسبحة التى رنموها وخرجوا .

والآن ماذا فعل يسوع ؟ وماذا كان يريد أن يضع فى حياة تلاميذه وعقولهم ؟ لنرجع إلى الوراء ونتأمل بعض الأعمال التى قام بها الأنبياء . . لقد كانت أعمالا رمزية تبقى فى ذاكرة الشعب عندما ينسون الكلمات ، فالنبى أخزيا يقطع ثوبه ، إلى إثنى عشر قطعة علامة على تقسيم مملكة إسرائيل (١ملوك ١١ :

٢٩ — ٢٢) ويضع إرميا النير على عنقه علامة للعبودية ويكسر حننانيا النير (إرميا ٢٧ ، ٢٨ : ١٠ — ١٢) وهذا ما كان يعمله حزقيال دائماً (حزقيال ٤ : ١ — ٨ ، ٥ :١ — ٤) . هذا ما فعله يسوع لكى يذكر التلاميذ بعمله من أجلهم حتى يرتسم فى حياتهم وقلوبهم ويقول لهم « أنظروا : كما يكسر هذا الخبز سيكسر جسدى من أجلكم وكما ينسكب هذا الكأس هكذا ينسكب دمى من أجلكم ..

ولكن ماذا كان يقصد عندما ذكر أن الكأس هو للعهد الجديد بدمه ؟ إن العهد عنصر مهم من عناصر الديانة اليهودية . فأساس هذه الديانة هو أن الله دخل فى عهد مع هذا الشعب عند جبل سيناء ، أى دخل فى صلة وعلاقة معهم. (خروج ٢٤ : ٣ — ٨) . ولقد كان جوهر هذا العهد مبنياً على الشريعة وحفظها ، فإن حفظ الإسرائيليون الشريعة فإنهم يبقون فى عهدهم مع الرب ، أما إذا كسروها فهم قد نقضوا العهود . ولم يأت يوم فيه تمم اليهود شريعة إلههم فأدانهم الرب . . إنهم شعب صلب الرقبة . وهنا يأتى يسوع ويقول لتلاميذه « إنى أدخل معكم فى عهد آخر .. عهد جديد صلة جديدة لا تبنى على الشريعة ولكن على دمى.. ولأن دمى يعبر عن المحبة فهذا العهد هو عهد الحب» . فهذه الصلة الجديدة هى صلة الحب لا الناموس ، وأضحى الناس أحراراً من الناموس وصاروا فى حماية محبة الله العميقة . هذا هو الجوهر الذى لا يخطئه العقل فى عمل يسوع .

فشل الأصدقاء

وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ إِنَّ كُلَّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ .

لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ الْخِرَافُ . وَلٰكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ . فَقَالَ لَهُ بطْرُسُ وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ . فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ الْحَقَّ أَقولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . فَقَالَ بِأَكْثَرِ تَشْدِيدٍ وَلَوِ اضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ . وَهٰكَذَا قَالَ أَيْضًا الْجَمِيعُ .

(مرقس ١٤ : ٢٧ ـ ٣١)

إن أعظم ما يثير إعجابنا فى يسوع أنه لم يقابل موقفاً لم يكن مستعداً له . كان يعرف أن بعضهم سيعارضه ويعاديه ويسىء فهمه ، وقد عرف أن أصدقاءه سيخونونه ، كان يعرف الصليب وآلامه وكان مستعداً لمواجهة كل شىء . ولكن الشىء الذى كسر قلبه أكثر من أى شىء آخر هو أنه كان يعلم أن أحباءه سيتخلون عنه ساعة التجربة . إن الإنسان يحتاج إلى صديق فى وقت التجربة أكثر من أى وقت آخر ، ولكن فى هذا الوقت بالذات يهرب تلاميذ السيد ويتركونه . وبترك أصدقائه له يكون يسوع قد جاز كل تجربة وضيقة فى الحياة. فى قصة إسمها «الثبات» يتكلم المؤلف عن شخص إسمه بطرس إتخذ شعاراً له فى حياته « الحياة لا تهم ولكن الشجاعة فى مواجهة الحياة » . يقول بطرس هذا عندما وصل قمة الجبل « مبارك عذاب الجسد وآلامه ، مباركة الخسائر وخيانة الأصدقاء وإنكار الحب ، مبارك فشل كل رجاء أرضى ، مبارك الحزن والألم والصعاب التى تتطلب الشجاعة . . مبارك كل هذا لأنها تصنع منى رجلا»

وعندما يركع بطرس ليصلى يقول : « إصنع منى رجلا لا يخاف أى شىء بل يستعد لمواجهة كل الأشياء : الحب ، الصداقة والنجاح . سواء أوجد كل هذا أم لم يوجد .. إجعلنى شجاعا .. إجعلنى شجاعا » .

لقد أظهر يسوع أكثر من أى إنسان عاش على الأرض ثباتاً ، وظهر أنه يسير فى الطريق الحق مهما كانت الظروف ، حتى أننا نحبس أنفاسنا عندما نتأمل بطولة يسوع المنقطعة النظير

وعندما أخبر يسوع تلاميذه عن تركهم إياه لم يصدق ولم يتخيل ذلك ، ولم يكن بطرس كاذباً ، إنه لم يكن أقل من ذلك القائد الذى أسروه وأوقفوه أمام حبل المشنقة وطلبوا منه أن يتخلى عن مليكه فقال « قد تخلعون رأسى من بين كتفى ، ولكنكم لا تستطيعون أن تخلعوا قلبى من بين أضلعى » . نعم كان بطرس صادقا إلا أنه نسى شيئاً واحداً يكمن فى الكلمة « تشكون » . إن هذه الكلمة تأتى من «اسكانديلتزن» Skandalizein »وهى تعنى الطعم الذى يوضع فى الفخ ليجر رجل الطير إليه فى ساعة من ساعات الضعف ، لقد نسى بطرس ضعف الطبيعة البشرية ، نسى التجربة الشديدة التى يوجهها الشيطان فى ذلك الوقت .. لقد كان بطرس واثقاً أزيد مما يجب .

ولكن مع ذلك لنذكر أن قلب بطرس كان مع يسوع ، حتى فى سقطته كان يحب يسوع ، ونحن نحب ألف مرة تلك الحرارة .. حرارة المحبة التى قد تفشل أحياناً ولكنها تقوم مرة من كبوتها ، مرة أخرى أكثر من برودة الكراهية المسمومة التى ملأت قلب يهوذا .

لتكن إرادتك

وَجاءوا إلى ضَيْعَةٍ اسْمُها جَثْسَيْمَانِي فقَالَ لِتلاميذِهِ اجْلِسُوا هٰهُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ . ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بطرُسَ وَيعقوبَ وَيُوحَنَّا وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ . فقَالَ لَهُمْ نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حتَّى المَوْتِ . أُمْكُثُوا هُنَا واسْهَرُوا . ثُمَّ تقَدَّمَ قَلِيلاً وَخرَّ عَلَى الأَرْضِ وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إنْ أَمْكَنَ . وَقَالَ يا أَبا الآبُ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ . فأجزْ عَنِّي هٰذِهِ الْكَأْسَ . ولٰكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ . ثمَّ جَاءَ ووجَدَهُمْ نِيَاماً فقَالَ لِبُطْرُسَ يَا سِمْعَانُ أَنْتَ نَائِمٌ . أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً . اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ . أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيط وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ . وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى قَائِلاً ذٰلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ . ثُمَّ رَجَعَ ووجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَاماً إذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذا يُجِيبُونَهُ . ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ نَامُوا الآنَ واسْتَرِيحُوا . يَكْفِي . قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ . هُوَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ . قُومُوا لِنَذْهَبَ . هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ .

(مرقس ١٤ : ٣٢ — ٤٢)

إننا نرتعش أحياناً ونحن نقرأ هذه الكلمات لأننا نقتحم وحدة يسوع مع الآب . لقد كان من الخطورة بمكان أن يستمر يسوع فى العلية ، فعين السلطات تراقبهم ولو بقوا هناك لضاع الجميع . فخرج يسوع وذهب إلى بستان جثسيمانى ، ويلوح أنه بستان أحد أصدقاء يسوع الأثرياء عمله لنفسه وتعود يسوع أن يذهب إليه . ونفهم ذلك من عقيدة اليهود فى قداسة أورشليم الفائقة التى جعلتهم يحرمون عمل بساتين فيها ، فكان أثرياء اليهود يعملون لهم جنات فى الخارج ، وكان يهوذا يعرف مكان يسوع ولذلك ذهب إليه مباشرة .

وعندما جاء يسوع إلى البستان كان يحتاج أكثر من كل وقت مضى إلى الصداقة : صداقة البشر وصداقة الآب . إنه ليس حسناً أن يبقى الإنسان وحده (تكوين ٢ : ١٨) . قد لا يستطيع الصديق أن يفعل لنا شيئاً .. قد لا يستطيع أن يشاركنا التجربة . ولكننا نحتاج إليه وقت التجربة . . نحتاج إلى وجوده . . إلى أذنيه لتسمع لنا . . إن مجرد وجوده هو تعزية لنا . ومن المدهش ومن المحزن أن يرى التلاميذ الذين أكدوا بشدة أنهم ، ولو قتلوا ، لن يتركوا يسوع لم يستطيعوا أن يقضوا معه ساعة واحدة .. ولكنهم معذورون . . فتعب اليوم كله . . والاضطراب والقلق الذى كانوا يعانونه قد هد أبدانهم فارتموا على الأرض وناموا .

هناك أشياء واضحة أمامنا فى هذا الفصل .

١ — إن يسوع صلى لكى تعبر عنه هذه الكأس ، وكانت نفسه حزينة جداً حتى الموت . لقد كان يعرف الصليب . . يعرف آلام الموت . . يعرف التضحية الجبارة الماثلة وهو يرى الحياة تتفتح أمامه . . ولكنه مع ذلك كان مملوءاً بالإيمان الشجاع الذى يسير حتى ولو فى الظلام والكرب .

٢ — خضع لإرادة الآب . « أبا » هى الكلمة الأرامية « لأبى » فيسوع لم يخضع لإله يلعب بحياة الناس ويلهو بآلامهم ، لا يهتم بشىء .. انه لم يخضع للحظ أو القدر القاسى ، بل كان خاضعاً للآب .. نعم كان هو الآب حتى فى هذا الوقت الهائل الذى يتطلب فيه مسئولية لا يطيقها البشر . عندما قتل الأعداء ريتشرد كاميرون قطعوا يديه ورأسه وحملوها إلى أبيه الذى كان مسجوناً لنفس السبب الذى من أجله قتل إبنه . ولما قدموها له سألوه إن كان يعرفها فرفعها وقبلها وقال « نعم أعرفها إنها جزء من جسم إبنى . إبنى الحبيب .. ولكنه الرب .. وصالحة هى إرادته ومشيئته التى لا تتركنى ولم تترك إبنى .. إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى » .

عندما ندعو الله أبانا تهون علينا كل البلايا وتصبح الحياة سهلة . . قد لا نفهم ما يحدث أمامنا ولكننا نتأكد من أن « يد الآب لا تسيل الدموع من عين الطفل الغالى عبثاً » هذا ما عرفه يسوع وهذا ما جعله ينطلق إلى الصليب فى ثبات .

لنلاحظ كيف انتهى الفصل لقد أقبل مسلمه فماذا فعل يسوع ؟ لم يهرب وما كان أسهل هروبه .. كلا إنه واجه الموت . . إنه لم ينثن ولم يهرب .

القبض عليه

وَلِلْوَقْتِ فِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ أَقْبَلَ يَهُوذَا وَاحِدٌ مِنْ الاثْنَى عَشَرَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ والْكَتَبَةِ والشُّيُوخِ . وَكَانَ مُسَلِّمُهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ علاَمَةً قَائِلاً الَّذِى

أَقْبَلُهُ هُوَ هُوَ . أَمْسِكُوهُ وَامْضُوا بِهِ بِحِرْصٍ . فَجَاءَ لِلْوَقْتِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَائِلاً يَا سَيِّدِي يَا سَيِّدِي . وَقَبَّلَه . فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ وأَمْسَكُوهُ . فاسْتَلَّ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ السَّيْفَ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ .

فَأَجَابَ يَسُوع وَقَالَ لَهُمْ كأَنَّه عَلَى لَصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي كلَّ يَوْمٍ كُنْتُ مَعَكُمْ فِي الْهَيْكَلِ أُعَلِّمُ وَلَمْ تُمْسِكُونِي . وَلٰكِنْ لِكَيْ تُكَمَّلَ الْكُتُبُ . فَتَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا .

(مرقس ١٤ : ٤٣ — ٥٠)

مع أن قصة مرقس قصة مختصرة لكنها هنا رواية متكاملة الأطراف نجد من شخصياتها :

١ – **يهوذا** : كان يهوذا يعرف أن الناس تعرف يسوع حالما تراه لأنها تعودت أن تراه ، لكن ظلام الليل والمشاعل بين الأشجار وظلال الأغصان الكثيفة ، هذه كلها تحتاج إلى شخص متأكد من المعرفة حتى يقبض عليه ، وكانت العلامة التى وضعها لهم هى القبلة . . وكانت القبلة شيئاً مألوفاً بين التلميذ ومعلمه ، فعندما كان التلميذ يجيء إلى معلمه كان يقبله وهكذا فعل يهوذا. لكن الأمر المحزن أن يهوذا لم يقبل يسوع قبلة التلميذ للمعلم بل قبلة المحب

لحبيبه . فقبلة التلميذ لمعلمه إسمها « فيلاين » أما قبلة المحب فاسمها « كاتافيلاين » Kataphilein . ومعنى ذالك أن يهوذا استخدم أقدس علامة فى خيانة يسوع .. إنها لم تكن قبلة عادية طبيعية بل قبلة المحب استخدمها فى الخيانة .

٢ — **الجموع:** جاء الجموع — كما يقول مرقس — من قبل الكهنة والكتبة والفريسيين أى أنهم جاءوا من قبل السنهدريم . ولقد كان للسنهدريم عساكره الخاصة حتى فى وجود الرومان والعساكر الرومان بينهم ، وفى سيرهم إنضم إليهم لفيف كبير من الشوارع . لقد جاءوا وهم يظنون أنهم سيقابلون بالقوة ولهذا استعدوا لسفك الدماء وإشاعة الرعب إنهم هم مصدر الرعب لا يسوع .

٣ — **هناك رجل يستل سيفه ويضرب :** يخبرنا يوحنا (يوحنا ١٨:١٠) إنه كان بطرس ويلوح أن مرقس حذف الإسم لأن ذكر اسمه لم يكن مأمون العواقب عند كتابة هذا الإنجيل . لكن يوحنا استطاع أن يذكر من هو الذى ضرب لأن كتابة الإنجيل كانت متأخرة . قد يكون من الخطأ أن يستل أحد سيفه ويضرب إنساناً من الخلف فيقطع أذنه . ولكننا نسر إذ نجد إنساناً يضرب ضربة واحدة من أجل يسوع .

٤ — **التلاميذ :** لقد تحطمت أعصابهم ولم يستطيعوا مواجهة الموقف . لقد خافوا أن يشاركو يسوع مصيره ويقتلوا مثله فهربوا .

٥ — **يسوع نفسه :** فى وسط هذا البحر من الاضطراب كان يسوع وحده يمثل الهدوء والثبات التام . فهو الذى كان يوجه الأمور كلها لا عساكر السنهدريم . لقد انتهى نضال وكفاح البستان وخرج ليتمم إرادة الله الأمينة .

شاب ما

وَتَبِعَهُ شَابٌّ لاَبِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ . فَتَرَكَ الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا .

(مرقس ١٤ : ٥١ و ٥٢)

هذان العددان يظهران كأنهما غريبان عن هذا الفصل ، فهما لا يضيفان جديداً إلى هذه القصة . وإلى جانب ذلك فإننا لا نجدهما فى متى ولوقا مع أن الإثنين يتبعان مرقس فى ترتيب قصته وحوادثه بأمانة تامة إلا أنهما يتركان هذه الحادثة بدون أن يشيرا إليها من بعيد أو قريب . وهنا نتساءل : لماذا يذكرها مرقس هنا ؟ السبب بسيط وهو أن هذا الشاب كان هو مرقس بعينه ، وكأنه يقول ، إذ يذكر هذه القصة ، « لقد كنت هناك » مع أنه لا يذكر إسمه .

وإذا ذكرنا أن سفر الأعمال يذكر أن بيت مريم أم مرقس كان هو المكان الذى اتخذته الكنيسة ليكون مقراً لاجتماعاتها (أعمال ١٢ : ١٢) نرجح أن هذه العلية التى قضى فيها المسيح تلك الليلة الأخيرة لم تكن سوى فى هذا البيت.. وعلى هذا الأساس استمرت الكنيسة فى اجتماعاتها فيه .. وهذا يظهر أمامنا إمكانيتان :

(ا) قد يمكن أن يكون مرقس حاضراً العشاء الأخير . لقد كان غلاما صغيراً لم تهتم بأمره أحد ولكنه أعجب بيسوع ، فعندما خرج مع تلاميذ تبعه فى الوقت الذى كان يجب أن يكون فى فراشه ، ولم يكن لابسا سوى إزار

من كتان : ربما كان مرقس هناك بين الأشجار يرى ويسمع ما يحدث حوله . وهذا يفسر لنا مشكلة واحده وهى : من الذى كان يعرف قصة صراع يسوع فى البستان ومن هو مصدرها إذا كان التلاميذ قد ناموا ساعتها ؟ لا بد أنه كان مرقس ذلك الصبى الذى وقف وراء الأشجار يرقب بطله العظيم وهو يناضل فى البستان .

(ب) وقد يمكن أن يكون ذهاب مرقس إلى البستان قد حدث بطريقة أخرى . من قصة يوحنا (يوحنا ١٣ : ٣٠) نعلم أن يهوذا خرج إلى رؤساء الكهنة قبل انتهاء العشاء وأحضر جند الهيكل وجاء إلى البيت ولكنه لم يجد يسوع أو تلاميذه فبدأ يسأل ويناقش وعرف أنه ذهب إلى البستان ، وفى أثناء ذلك استيقظ مرقس من النوم وسمع اللغط والضوضاء فما كان منه إلا أنه التف بالإزار وخرج وراء الجمع ورأى ذلك المنظر الذى حدث فى البستان .

ومهما كانت الظروف والطريقة التى جاء بها إلى هذا المكان لنذكر شيئاً واحدا وهو أن مرقس يذكر هذه القصة عن نفسه .. لم يستطع أن ينسى تلك الليلة ، وكان متواضعاً فلم يرد أن يذكر اسمه ولكنه وضع ختمه وإمضاءه وكأنه يقول « أنظروا لقد كنت أنا هناك عندما كنت ولداً صغيراً » نعم نقرأ هذا القول فيما بين السطور .

المحاكمة

فَمَضَوْا بِيَسُوعَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةِ .

وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً عَلَى يَسُوعَ لِيَقْتُلُوهُ فَلَمْ يَجِدُوا. لِأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ. ثُمَّ قَامَ قَوْمٌ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا قَائِلِينَ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ يَقُول إِنِّي أَنْقُضُ هٰذَا الْهَيْكَلَ الْمَصْنُوعَ بِالأَيَادِي وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِي آخَرَ غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِأَيَادٍ. وَلاَ بِهٰذَا كَانَتْ شَهَادَتُهُمْ تَتَّفِق. فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ قَائِلا أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ. مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هٰؤُلاَءِ عَلَيْكَ. أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ. فَقَالَ يَسُوعُ أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ. فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ. قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ مَا رَأْيُكُمْ. فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ. فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ وَيُغَطُّونَ وَجْهَه وَيَلْكُمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ تَنَبَّأْ وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ.

(مرقس ١٤ : ٥٣، ٥٥ — ٦٥)

كانت الأمور تتحرك بسرعة إلى قضائها المحتوم :

وفى تلك الأيام كانت سلطة السنهدريم محدودة وغير مطلقة نظراً لسيطرة السلطة الرومانية عليه ، وكان عليه أن يجزم فى الأمور الدينية فقط ، ولم يكن عمله سوى عمل للدعى العام الذى يوجه التهم ولكنه لايستطيع أن ينفذ الحكم، لأن سلطة التنفيذ كانت من اختصاص السلطات الرومانية .

وليس هناك شك فى أن السنهدريم - ليتخلص من يسوع - كسر كل قوانينه التى تشرحها المشنا واحدة فواحدة . ومع أن بعضاً من تلك القوانين والإجراءات لم تكن سوى مثل عليا لا تطبق لكن هناك قوانين أخرى كان يجب أن تطبق فى محاكمة يسوع لكنهم كسروها كلها .

كان السنهدريم ، محكمة اليهود العليا ، يتكون من واحد وسبعين عضوا من كهنة — صدوقيين — وكتبة وفريسيين وشيوخ . وإذا غاب بعضهم عن الاجتماع يجب أن يملأ مكانهم الشاغر فى تلك الجلسة . وكانت الجلسات تسير تحت إشراف وإدارة رئيس الكهنة وكان الأعضاء يجلسون فى نصف دائرة حتى يستطيع كل عضو أن يرى ما يجرى أمامه وفى مواجهتهم كان تلاميذ المعلمين اليهود يجلسون ، وقد يشتركون فى الدفاع عن المتهم لا فى إدانته ، أما مكان الاجتماع الرسمى فيجب أن يكون فى قاعة « الحجر المنحوت » ولا يمكن أن يصدر قرار يوافق عليه إلا فى هذه القاعة . أما وقت الاجتماعات فينبغى أن تكون نهاراً ، ولا يجوز أن يجتمع ليلا أو فى أيام الأعياد . وفى أثناء المحاكمة كان يجب أن يفحص الشهود كلا على حدة ويجب أن تكون الشهادة متطابقة تماماً حتى يؤخذ بها وبعد أن يصدر الحكم يجب أن تمضى ليلة كاملة قبل أن يعلنه المجتمع فيصبح نافذ المفعول لعل المحكمة تراجع نفسها .

هذه هى قواعد اجتماع السنهدريم كمحكمة وكيفية سير الدعوة ، فإذا تأملنا فى محاكمة يسوع نجدهم قد كسروا هذه القواعد ، فهم قد اجتمعوا ليلا وفى غير المكان الذى يجب أن يجتمعوا فيه ، ولم يعط كل واحد الأعضاء قراره بنفسه ، ولم تمض ليلة على إجراءات القضاء وتنفيذ الحكم . وهكذا .

أما بخصوص الشهود فلم تتفق كلمتهم، ولعل أحدهم سمع كلام يسوع فى الهيكل عن نقض الهيكل ، ثم سمعه وهو يكلم تلاميذه عن أحجار الهيكل التى ستنقض ولا يبقى منها حجر على حجر فجاء بالشهادة أمام المحكمة ولكن الشهود لم يتفقوا على شىء . وتقول قصة للابوكريفا إن مجموعة كبيرة من الشهود دخلوا ليقدموا شهادة لم يردها أعضاء المحكمة فقد شهد أحدهم أنه كان أعمى وقد شفاه يسوع وآخر قال إنه شفاه من برصة وآخر من عرجه ورابع من الفالج وغير ذلك .

ولما رأى رئيس الكهنة ذلك أمسك بالأمر بين يديه ووقف يسأل يسوع سؤالاً يحرمه القانون ، إنه سؤال أساسى يدع المتهم بوجه التهمة لنفسه وليس من المعقول أن يسأل إنسان أن يدين نفسه .. ولكن رئيس الكهنة لم يكن يهتم بالقانون قدر اهتمامه بقتل يسوع ، فوجه هذا السؤال إليه « هل أنت هو ابن الله المبارك » ولما رأى يسوع أن كل شىء قد انتهى أجاب بالايجاب . وقد كان هذا عين ما يطلبه السنهدريم فحكم على يسوع بالموت نتيجة التجديف. وهنا نرى مرة أخرى بعض صفات يسوع .

١ — كان شجاعاً : لقد عرف أنه سيموت ، ولكنه لم يتردد فنطق بالصدق ، ولو كان قد أنكر التهمة لعجزوا عن محاكمته .

٢ — كان شديد الثقة ومع أنه كان يرى الصليب أمام ناظريه لكنه كان يتكلم واثقاً من النصرة النهائية .

إنه من المآسي القاتلة أنهم ينكرون العدالة على من جاء ليهب الناس الحب ويحقرونه بطريقة خشنة فظة .

الشجاعة والجبن

وَكَانَ بُطْرُسُ قَدْ تَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَاخِلِ دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَكَانَ جَالِسًا بَيْنَ الْخُدَّامِ يَسْتَدْفِئُ عِنْدَ النَّارِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ بُطْرُسُ فِي الدَّارِ أَسْفَلَ جَاءَتْ إِحْدَى جَوَارِي رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ، فَلَمَّا رَأَتْ بُطْرُسَ يَسْتَدْفِئُ نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ . فَأَنْكَرَ قَائِلاً لَسْتُ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ . وَخَرَجَ خَارِجًا إِلَى الدِّهْلِيزِ . فَصَاحَ الدِّيكُ . فَرَأَتْهُ الْجَارِيَةُ أَيْضًا وَابْتَدَأَتْ تَقُولُ لِلْحَاضِرِينَ إِنَّ هٰذَا مِنْهُمْ . فَأَنْكَرَ أَيْضًا . وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا قَالَ الْحَاضِرُونَ لِبُطْرُسَ حَقًّا أَنْتَ مِنْهُمْ لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ أَيْضًا وَلُغَتُكَ تُشْبِهُ لُغَتَهُمْ . فَابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ إِنِّي لاَ أَعْرِفُ هٰذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ . وَصَاحَ الدِّيكُ ثَانِيَةً . فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . فَلَمَّا تَفَكَّرَ بِهِ بَكَى .

(مرقس ١٤ : ٥٤ ، ٦٦ — ٧٢)

كثيراً ما نظلم بطرس عندما نقرأ قصة إنكاره لأننا نؤكد بشدة مسألة الإنكار ولكن لو عرفنا كل الظروف لأشفقنا عليه كثيراً واتخذنا حذرنا نحن لئلا نسقط . لقد أظهر بطرس إلى تلك اللحظة شجاعة نادرة .. بل شجاعة مغامرة إذ يقف هو وحيداً وبيده سيفه ليضرب عبد رئيس الكهنة متحدياً كل هذا الجمهور الضخم المتعطش للدم ؟ وبعد ذلك ماذا يعمل ؟ يذهب إلى نفس البيت — بيت رئيس الكهنة — الذى يخدم فيه هذا الرجل ؟ لقد هرب الباقون أما هو فالتصق بيسوع .. وهناك فى وسط الجمع وقف يصطلى لأن الليلة كانت باردة ، ولا بد أنه كان ملتفا فى ردائه ، لكن أحدهم ألقى بقطعة من الخشب فى النار فارتفعت السنة النار وأضاء المكان وظهر بطرس وعرفوه أنه من تلاميذ يسوع . ولنتأمل هنا أمرين هامين : الأول هو أنه بدأ يحلف ويلعن نفسه ولكنه لم يلعن يسوع أبداً — إنه لم ينكره هو بل أنكر معرفته به ... الأمر الثانى أنه كان من السهل عليه أن يهرب، ولكن رغم كل المضايقات استمر باقيا مسمراً فى نفس المكان ليعرف ماذا يجرى ليسوع فى الداخل. وبينما هو ينكر علاقته بيسوع ويقسم ويشتم نفسه إذ بالديك يصيح وتتغير نوبة الحراسة عند الحرس الرومانى وكان بطرس فى آخر انكاره . وحالما تسمع أذناه الصوت يتذكر بطرس وينكسر قلبه . هنا يجب أن نكون على حذرنا لقد سقط بطرس سقطة الرجل الشجاع ، لقد انكسر كل الرجال ولكن قبل أن ينكسر هو لقد تقدم كثيراً عنهم حتى قارب أن يصل إلى النهاية وهناك سقط. إننا نعجب من شجاعة بطرس أكثر مما نصدم بسقطته .

* * *

ولكن هناك شىء آخر ! لنذكر أن هذه القصة لم تجىء إلا من بطرس نفسه وكما نذكر أن انجيل مرقس ما هو إلا ذكريات بطرس ، ولا بد أن هذا الشيخ

كان يذكر قصة إنكاره لسيده عدة مرات .. كأنه يقول « هذا كل ما عملت ولكن يسوع لم يكف عن أن يحبنى » عندما كان أحد الوعاظ العظام داخلاإلى مكان الاجتماع استلم خطابا وقرأه فوجد فيه قصة سقطة شريرة سقط فيها هو من مدة طويلة قبل أن يتجدد ، وكتب له هذا الرجل قائلا « إن كنت صادقا فى وعظك فاذكر على المنبر هـذه القصة . وأخذ هذا الواعظ هذا الخطاب وقرأه أمام الجمهور الغفير ثم قال لهم « أنظروا ماذا كنت وكيف كنت أتصرف ، ولكن يسوع أحبنى كثيراً .. كثيراً جداً حتى أنه افتدانى وخلصنى » هـذا ما كان يقوله بطرس .. انظروا كيف أنكرته وكيف استمر فى محبته لى .

إن قصة جبن بطرس وإنكاره تتحول إلى قصة شجاعة ومجد إذا قرأناها بلياقة .

الأَصْحَاحُ الْخَامِسُ عَشَرَ

صمت يسوع

وَلِلْوَقْتِ فِي الصَّبَاحِ تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ فَأَوْثَقُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ وَأَسْلَمُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ .

فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ ، فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ تَقُولُ . وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا . فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ أَيْضاً قَائِلاً أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ . أُنْظُرْ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَلَمْ يُجِبْ يَسُوعُ أَيْضًا بِشَيْءٍ حَتَّى تَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ .

(مرقس ١٥ : ١ — ٥)

عندما جاء الصباح اجتمع السنهدريم مرة أخرى لـكى يثبت ما حكم به على يسوع أثناء الليل . ولما لم تـكن لهم السلطة على تنفيذ الحـكم على يسوع فقد حملوه إلى بيلاطس . وهناك كما يخبرنا لوقا ظهرت كراهية اليهود على أشدها ضد

يسوع . فلم يكتفوا أن يوجهوا إليه التهم الدينية كمجدف على الله وكاسر للشريعة ومحطم لتقاليد الآباء لعلمهم أنها لا يهتم بها الوالى الرومانى بيلاطس . فما كان منهم إلا أن اتهموه تهما سياسية. اتهموه أنه يدعى الملك وأنه يفسد الشعب وأنه طلب ألا تعطى جزية لقيصر .. [لوقا ٢٣ : ١ و ٢] . إتهموه بذلك وكانوا يعلمون أنهم كذبة ، وكذلك عرف بيلاطس كذبهم . وسأل بيلاطس يسوع عما إذا كان ملك اليهود ، فرد عليه يسوع رداً غريبا « أنت تقول » وهو يعنى ذلك هكذا : «قد أكون قد صرحت أنى ملك اليهود ، ولكنى لست ملكا كما تفهمون ، ومملكتى ليست من هذا العالم ، أنا لست ثوريا سياسيا . . إننى ملك فى ملكوت المحبة » فاقتنع بيلاطس بذلك ، ولكن على قدر ما كان يقتنع على قدر ما كانت نفوس اليهود السوداء تظهر فيوجهون إليه الاتهام تلو الآخر .

وكان بيلاطس يسأل يسوع ولكنه لم يكن يجاوب بل ظل صامتا وفى أحايين كثيرة كان الصمت أبلغ من كل كلام :

١ — فهناك صمت القلب المندهش المعجب . وفى مرات كثيرة نصفق أو نهتف لمن يمثلون أو يخطبون إعجابا بهم ولكن متى زاد إعجابنا فإننا نصمت فى حضرتهم وقد يظهر إنسان بنظرة واحدة من عينيه شكراً أعمق وأعظم مما تقوله آلاف الكلمات المكتوبة فى قواميسنا .

٢ — وهناك صمت الاحتقار فقد تسمع كلام أحدهم أو سؤاله أو حجته ، وبدلا من أن ترد عليها كلمة بكلمة محتقرا إياها ما عليك إلا أن تدير ظهرك له وتتركه بدون جواب فيحس الاحتقار والخزى أضعاف المرات .

٣ — وهناك صمت الخوف ! فهناك من يحبس الخوف الكلام فى فمه .

إن جبنه الروحى أو النفسى يؤثر على لسانه فلايستطيع أن يتكلم فلا يعمل سوى أن يصمت صمت الخزى .

٤ — وهناك صمت القلب الحزين : وفى مرات كثيرة يجرح الإنسان فيحزن ولا يستطيع أن يجد كلاما يعبر به عن حزنه أو اعتراضه أوغضبه فيسكت. والحزن الأعمق هو الحزن الصامت الذى يفوق الغضب والتوبيخ وأى صنف من الكلام.

٥ — هناك صمت الكارثة أو المأساة وهذا صمت لأنه لا يوجد كلام وهذا بعينه كان صمت يسوع . لقد عرف أنه لا يوجد أى ارتباط أو تفاهم بينه وبين اليهود وعرف أن بيلاطس لا يمتلك الشخصية العميقة التى يكلمها هو ، عرف أن وسائل الاتصال وكيفيته قد انقطعت تماما . فقد اسدلت الكراهية ستارا حديديا بينهم وبينه ، وضعف بل جبن بيلاطس عن أن يعمل شيئا .

إنه لموقف مرير أن يجد الإنسان نفسه فيه غير مقتنع بالكلام لأن الكلام لا فائدة منه .. لينقذنا الله من هذه المواقف .

رغبة الجماهير

وَكَانَ يُطْلِقُ لَهُمْ فِي كُلِّ عِيدٍ أَسِيرًا وَاحِدًا مَنْ طَلَبُوهُ ، وَكَانَ الْمُسَمَّى بَارَابَاسَ مُوثَقًا مَعَ رُفَقَائِهِ فِي الْفِتْنَةِ الذِينَ فِي الْفِتْنَةِ فَعَلُوا قَتْلاً . فَصَرَخَ الْجَمْعُ وَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَفْعَلَ كَمَا كَانَ دَائِمًا يَفْعَلُ لَهُمْ . فَأَجَابَهُمْ بِيلاَطُسُ قَائِلاً أَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ.

لأَنَّهُ عَرَفَ أَنْ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا . فَهَيَّجَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْجَمْعَ لِكَيْ يُطْلِقَ لَهُمْ بِالْحَرِيِّ بَارَابَاسَ. فَأَجَابَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً وَقَالَ لَهُمْ فَمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ أَفْعَلَ بِالذى تَدْعُونَهُ مَلِكَ الْيَهُودِ . فَصَرَخُوا أَيْضاً اصْلِبْهُ . فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ . فَازْدَادُوا جِدًّا صُرَاخًا اصْلِبْهُ . فَبِيلاَطُسُ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ لِلْجَمْعِ مَا يُرْضِيهِمْ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ وَأَسْلَمَ يَسُوعَ بَعْدَ مَا جَلَدَهُ لِيُصْلَبَ .

(مرقس ١٥ : ٦ – ١٥)

لا نعرف شيئا كثيرا عن باراباس سوى ما تذكره الأناجيل عنه فقد كان قاتلا ولصا لم يكن نشالا ولم يكن لصا مكيرا بل كان قاطع طريق شريرا . ويلوح أنه كان واحدا من جماعة إسمها «سيكارى» أى «حاملو الخناجر» امتلأت بهم فلسطين ، وكانوا يحملون خناجرهم تحت أرديتهم . وهم مستعدون لاستعمالها فى كل وقت ولأجل أتفه الأسباب ، كانوا وطنيين متعصبين لذا كان باراباس محبوبا لدى الرعاع الذين جعلوه مثلا لهم .

* * *

ولكن ما هو السر الكامن وراء هذا الجمع الذى وقف خارجا يرفض يسوع ويطلب أن يصلبوه بدلا من باراباس ؟ هل هو نفس الجمع الذى سار أمام يسوع منذ أسبوع مضى يرحب به كملك . وابن داود ؟ أعتقد لا . إنه جمهور يختلف

كل الاختلاف . إن الجمع الذى رحب بيسوع قد أخذ على غرة ولم يعرف بخبر القبض عليه . نعم لقد هرب التلاميذ ولابد أنهم نشروا خبر القبض ، ولكن الناس لم تكن تتخيل أن السنهدريم سيكسر قوانينه ويحاكم يسوع ليلا فانقضى الليل والصباح ولم يتجمع أحد من محبى يسوع .

أما هذا الجمع فقد كانوا جماعة أخرى .. إن الشعب يعرف أن الوالى سيطلق لهم سجينا فى كل عيد ، ويلوح أن الإشاعة خرجت أن السجين المطلوب هو باراباس ولهذا خرج محبو باراباس إلى دار الولاية لكى يستقبلوا بطلهم ومثلهم الأعلى ، وبينما هم ينتظرون هناك لوح بيلاطس لليهود بعزمه على إطلاق يسوع لهم بدلا من باراباس ، فجن جنونهم وصرخوا طالبين هـذا اللص . . وعرف رئيس الكهنة أنها فرصة عظيمة فأشعل حماسهم وطلب من الرعاع أن يصرخوا طالبين صلب يسوع . هذا هو سر الجموع التى رحبت بيسوع والتى طلبت صلبه وفى طلبهم لباراباس ورفضهم ليسوع كانت الجماهير :

١ — تفضل كاسر الناموس على محب الناموس . إحدى الكلمات التى تترجم « خطية » فى العهدالجديد هى «أنوميه . anomia أى بلا ناموس . وفى قلب الإنسان ميل طبيعى إلى الفوضى وكسر الناموس والحياة التى بلا قيود أو نظام .. ويقول أحد أبطال رواية من روايات كبلنج :

أرسلنى إلى مكان شرقى السويس حيث يبدو الحسن هناك سيئا حيث لا توجد وصايا عشرة بل يفعل الإنسان مايريد .

نعم هناك أوقات فيها نتمنى أنه لو لم تكن هناك وصايا عشر . . هذا الجمع كان الممثل الواضح للانسانية بلا نظام .

٢ — كانوا يفضلون الحرب على السلام : طلبوا قاتل ورفضوا رئيس السلام. هذه هى البشرية التى لم تقض أكثر من ١٣٠ سنة فى سلام طيلة الثلاثة آلاف سنة الماضية . إن الناس كثيرا ما يحاولون فض المشكلات بالحرب وهى لا تفض إلا بالسلام والمحبة .. وكان هذا الجمع من هؤلاء القوم .

٣ — اختاروا الكراهية والقسوة بدلا من المحبة : لم يكن لباراباس غير قلب حقود وخنجر حاد ، ولم يكن ليسوع سوى القلب المحب الشفوق واختار الرعاع باراباس ورفضوا يسوع . إنها طريق الخطية والبغض .

* * *

هناك كلمة مؤلمة قاسية . وهى « ولما جلدوه » وكانوا يلوون جسد المذنب ليا فيظهر ظهره فيضربونه بآلة عبارة عن سيور من الجلد بها قطع مدببة من الرصاص والعظام فكانت تقطع ظهره ، وكانت أحيانا تقلع العين وكانت تميت الإنسان وكان بعضهم يجن تحت ضرباتهم . ولكن القليل من كان يتماسك ويشعر بعذابها وهكذا فعل يسوع .

استهزاء العساكر

فَمَضَى بِهِ الْعَسْكَرُ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا كُلَّ الْكَتِيبَةِ . وَأَلْبَسُوهُ أُرْجُوَاناً وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ . وكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ

ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ ، وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ نَزَعُوا عَنْهُ الأُرْجُوَانَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ .

(مرقس ١٥ : ١٦ ــ ٢٠)

انتهى الحاكم الرومانى من إجراءات محاكمته ونطق بالحكم قائلا « الحكم هو أن هذا الرجل يجب أن يصلب » ثم التفت إلى الحرس وقال لهم « جهزوا الصليب » ثم ذهب وأسلم يسوع ليد العساكر . ومكث يسوع فترة بين يدى عساكر الوالى ، الذين كانوا يعيشون فى دار الولاية يحرسونها ، إلى أن يجهزوا له صليبه وهناك بدأوا يستهزئون به .

وأعتقد أن هذا الجزء من إجراءات محاكمة المسيح وصلبه كان أقل الأجزاء ايلاما على نفسه فهو لم يكن بدافع الكراهية والحقد الشديد كما كان يبدو تصرف اليهود إزاءه ، ولا بدافع الجبن والخوف من تحمل المسئولية كما كان يتصرف الوالى . إنما كان يسوع بالنسبة للعساكر أحد الرجال الذين يقادون إلى الصليب فأضحى مثار استهزائهم وضحكهم، فأحضروا له رداءا ملكيا وبدأوا يسجدون له .

وكان هذا العمل هو بدء السخرية بالمسيحية كلها ولقد كانت المسيحية وجهة استهزاء الكثيرين ، ولقد وجد كثير من الكتابات والرسومات على حوائط بومباى تثير الضحك على المسيحيين ، ومنها أن أحدهم رسم حماراً ورسم مسيحيا يركع أمامه ثم كتب تحتها : هذا الرجل يعبد إلهه . فعندما يسخر الناس بالمسيحيين وعندما يستهزئون من عباداتهم وعقائدهم وتصرفاتهم فليذكر كل

مسيحى أنهم إنما قد فعلوا لسيدهم من قبل .. بل وكانوا يزدادون سخرية وهياجا عليه كلما أوغل هو فى الهدوء والثبات .

الصليب

فَسَخَّرُوا رَجُلاً مُجْتَازًا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ سِمْعَانُ الْقَيْرَوَانِىُّ أَبُو الْكَسَنْدَرُسَ وروفُسَ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ . وَجَاءُوا بِهِ إِلَى مَوْضِعِ جُلْجُثَةَ الَّذِى تَفْسِيرُهُ مَوْضِعُ جُمْجُمَةٍ . وَأَعْطَوْهُ خَمْرًا مَمْزُوجَةً بِمُرٍّ لِيَشْرَبَ فَلَمْ يَقْبَلْ . وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا مَاذَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ . وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ فَصَلَبُوهُ وَكَانَ عُنْوَانُ عِلَّتِهِ مَكْتُوبًا مَلِكُ الْيَهُودِ . وَصَلَبُوا مَعَهُ لِصَّيْنِ وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ . فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ وَأُحْصِىَ مَعَ أَثَمَةٍ .

(مرقس ١٥ : ٢١ — ٢٨)

وإجراءات الصليب عند الرومان دائماً واحدة لا تتغير ، فعندما يعدون الصليب يحمله المحكوم عليه إلى مكان التنفيذ، وفى سيره يحيط به أربعة عساكر على شكل مربع وأمامهم يسير جندى حاملا لوحة كبيرة مكتوب عليها الجناية التى بسببها حكم عليه بالصلب ثم يسير الموكب فى أطول طريق حتى يستطيع أكبر عدد من الناس أن يشاهدوه فيكون لهم بمثابة تحذير وإنذار . وحالما يصلون

إلى مكان التنفيذ يلقون بالصليب على الأرض ثم يلقون بالمصلوب عليه ويسمرون يديه ويربطون رجليه بغير مسامير ويضعون بين ساقيه قطعة من الخشب تتحمل ثقله عندما يرفعون الصليب إلى أعلى فلا تنقطع يداه ثم يثبت الصليب هناء وهو ليس مرتفعاً ، ثم يترك المصلوب هناك عدة أيام إلى أن يموت من الجوع والعطش والعذاب . وقد يستمر المصلوب أسبوعا وقد يصاب بالجنون من شدة العذاب .



ذلك اليوم كان يوما قاتماً بالنسبة لسمعان القيرواني الذى سخره الرومان ليحمل صليب يسوع الذى لم يقو على حمله . وكان للرومان السلطة على تسخير أى إنسان فى فلسطين ليعمل أى عمل يريد مادام شعار السلطة على كتفه ؛ وكان سمعان القيروانى من أفريقيا ، ولابد أن جاء إلى أورشليم ليأكل الفصح ولو مرة واحدة فى حياته فى رحاب الهيكل ، ولابد أنه مكث نصف عمره يوفر تكاليف الحج إلى الهيكل . ولابد أن سمعان كره هذا العمل وأبغضه وحاول أن يتخلص منه ، ومن الممكن أن يكون قد ألقى بالصليب على الأرض واستعد لترك ذلك المكان حالما وصلوا إلى مكان التنفيذ ، ولكن شيئاً أمسك به وأوقفه . . شيئا ما فى يسوع نفسه ، ولابد أن صلة وثيقة توطدت بينه وبين يسوع المصلوب والمقام فأضحى من ضمن أتباعه الذين حملوا صليبه مكرهين أولا ثم محبين مضحين بعد ذلك . ونقرأ عنه أنه أبو روفس واسكندر اللذين وجدا فى كنيسة رومية ، ولابد أن مرقص يذكر ذلك لأن الناس فى رومية ، التى كتب فيها الإنجيل ، يعرفونه . وبهذه الكيفية يرسل بولس الرسول تحياته

إلى « روفس المختار فى الرب وأمه أمى » ولا بد أن هـــذه الصلة بنيت على أساس متين . هذا الأساس مذكور فى أعمال ١٣ : ١ عندما نقرأ أن من بين الذين شيعوا بولس فى خدمته وإرساليته من أنطاكية سيمون النيجيرى وهو سمعان الأفريقى .

أيمكن أن نقول إن كل هذا قد حدث وأن سمعان القيروانى قد أضحى واحداً من ضمن قادة الكنيسة فى أنطاكية الذين ساعدوا فى الإرسالية الأولى للأمم ؟ وهل يمكن أن نقول إن المسيحى يوما ما كان يقاسى مرارة التسخير لأجل يسوع ولكنه عندما وصل إلى الجلجثة تحول إلى عابد ومضحى لأجل المسيح .

* * *

وحاول أحد الجنود أن يسقى يسوع الخل الممزوج بالمرار حتى يقوبه على تحمل الآلام . . وكانت بعض النسوة الرحيمات القلب من أورشليم يحضرن هذا الشراب لكى يعملن على تخفيف آلام هؤلاء المساكين . ولكن يسوع رفض أن يشربه ، لقد آثر أن يشرب الكأس إلى الثمالة . قيل عن أحد رجال الله المشهورين أنه سأل الطبيب إن كان هناك أمل فى شفائه ، فأجاب الطبيب بالنفى ، فقال رجل الله « إذن إمنع عنى الأدوية والمخدرات أريد أن أذهب إلى إلهى فى كامل وعى » .

* * *

وكان من عادة الأربعة العساكر الذين يحيطون بالمصلوب أن يقتسموا

ثيابه وكانت ثياب اليهودى خمسة قطع : الرداء الخارجى والداخلى والحذاء والمنطقة وغطاء الرأس ، وكانوا يقتسمون الأربعة أما الخامس وهو الرداء فكانوا يلقون قرعة عليه لأنهم لا يجدون فائدة من تقسيمه . وهكذا فعل مع يسوع اقتسموا ثيابه وعلى لباسه ألقوا قرعة .

* * *

لقد صلب يسوع بين لصين ، ولقد كان هذا العمل رمز لحياته كلها ، فإنه فى كل خدمته كان يخالط العشارين والخطاة لكى يربحهم إلى ملكوت السموات .

المحبة اللانهائية

وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ آهِ يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ . خَلِّصْ نَفْسَكَ وَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ . وَكَذٰلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكَتَبَةِ قَالُوا خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا . لِيَنْزِلِ الآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ . واللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ كَانَا يُعَيِّرَانِهِ .

(مرقس ١٥ : ٢٩ — ٣٢)

لقد وضع اليهود آخر تحديات أمام يسوع : « إنزل من على الصليب ونحن

نؤمن بك » لقد كان طلبا خاطئا يناقض تماما ما جاء يسوع لأجله . لقد وعدوا أنهم يؤمنون به لو نزل من على الصليب ، ولكننا نحن نؤمن به لأنه لم ينزل من على صليبه . إن يسوع قدجاء ليظهر حب الله للبشر، وكان هو المحبة المتجسدة. فلو رفض يسوع الصليب لما كانت هناك محبة إلهية غير محدودة . فالصليب هو العلامة التي ترى أن محبة الله ليست محدودة . . إنه لا يوجد هناك خط لاتتعداه هذه المحبة . . إنه لا يوجد شيء لاتستطيع تلك المحبة أن تفعله . ولكن يسوع سار كل الطريق إلى الصليب . . يسوع أظهر أنه تألم من أجل البشر وشرب كأس الموت والعذاب إلى آخره . إنه يعلن أن الله قد أحب البشر هذه المحبة اللامحدودة حتى أنه قاسى فى سبيلهم كل شيء .

لو جاء يسوع من على الصليب لما كان هناك رجاء فيه ولكننا فى الصليب نحن نريح أنفسنا على عطف الله اللا نهائى .

المأساة والانتصار

وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ . وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً أَلُوِى أَلُوِى لَمَا شَبَقْتَنِي . الَّذِي تَفْسِيرُهُ إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي . فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ لَمَّا سَمِعُوا هُوَذَا يُنَادِي إِيلِيَّا . فَرَكَضَ وَاحِدٌ وَمَلَأَ إِسْفِنْجَةً خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ قَائِلاً اتْرُكُوا . لِنَرَ هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا لِيُنْزِلَهُ .

فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ . وانْشَقَّ حِجَاب الْهَيْـكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ . وَلَمَّـا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هٰـكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ قَالَ حَقًّا كَانَ هٰـذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ . وَكَانَتْ أَيْضاً نِسَاءٌ يَنْظُـرْنَ مِنْ بَعِيدٍ بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ ويُوسِى وسالُومَةُ . اللَّوَاتِي أَيْضًا تَبِعْنَـهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ . وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ .

(مرقس ١٥ : ٣٣ — ٤١)

نأتى الآن إلى آخر منظر من مناظر المأساة القاسية، وكأنمـا الطبيعة خجلت من أن ترى بشاعة ما فعل البشر نخفت أنوارها وزلزل زلزالها . دعنا ننظر إلى الناس الذين كانت لهم صلة بهذا الموقف المروع .

١ — يسوع نفسه : قال يسوع شيئين :

(١) إلهى إلهى لماذا تركتنى . هناك سر فى هذه الصرخة لانستطيع أن نتطلع إليه ولـكننا قد نستطيع أن نقول شيئاً . لقد جاء يسوع إلينا ، اتخذ طبيعتنا البشرية وجاز فى كل ضيقاتنا ، عمل عملنا وواجه تجاربنا . . عرف فشل الأصدقاء وعداوة الأعداء وجبن المستهترين . . عرف الجوع والعطش . . عرف كل شىء ما عدا شيئا واحداً لم يعرفه وهو الخطية ومرارة نتائج الخطية . والذى تعمله الخطية هى أن تفصل الإنسان عن الله ، ولهذا فلم يـكن يسوع إلى الآن

قد جاز فى تلك النيران الملتهبة نيران الانفصال عن الله . ولكن يسوع الآن يحمل خطايا ويتحمل نتائجها . . ولهذا فهو يخبر تلك المرارة مرارة حجب الله وجهه عنه لأنه حمل كل الخطايا . . إنه لم يعمل خطية ولكنه جاز فى اختبار نتائج الخطية فعرف كيف يكون الانسان عندما ينفصل عن إلهه. وكانت خبرة قاسية محطمة لنفس لم تعرف البعد عن الله . ولكنه جاز فيها وانتصر . ولهذا فاننا لا نخشى أن نجيء إليه ونحن فى كررة بعيدة منفصلين عن الله لكى يردنا إليه .. نأتى إليه لأنه يعرف حالتنا وجاز فى اختبار ، إنه تجرب فى كل شيء مثلنا

(ب) هناك الصرخة العالية المذكورة فى (لوقا ٢٣ : ٤٦ ، متى ٢٧ : ٥٠) مع أن يوحنا لم يذكرها بل قال إن يسوع مات بعد أن قال « قد أكمل » (يوحنا ١٩ : ٣٠) . وفى النص الأصلى « أكمل » هى كلمة واحدة . وربما صرخ يسوع بهذه الكلمة صرخة النصرة والرجاء . لقد تم عمله ولقد كسب معركته ، وبعد أن جاز فى الظلام المروع جاء النور وذهب إلى إلهه فى نصرة .

٢ — هناك الواقفون الذين أرادوا أن يروا ايليا آتياً اليه . . إنه رأى فى الصليب شيئا تجب معرفته ولكن الصليب بكل ما فيه وما يحيط به لم يبعث فى نفسه الشعور بالخشوع والرهبة أو حتى الشفقة . . إنه أراد أن يتفرج على موت يسوع .

٣ — وهناك قائد المئة وهو جندى رومانى جبار حارب فى معارك كثيرة ورأى كثيرين يموتون ولكن لم ير إنسانا يموت مثل هذا الإنسان ، وعرف انه ابن الله . لو عاش يسوع وعلم وشفى لجذب الكثيرين إليه . ولكن الصليب وجده هو الذى يصالح الناس مع الله .

٤ — النساء الواقفات من بعيد . كن مختارات مكسورات القلوب محطمات من الحزن ولكنهن كن هناك . لقد أحببن فلم يستطعن أن يتركنه ، إن المحبة تلتصق بالمسيح حتى وإن لم يستطع العقل أن يعرف السبب . إن المحبة وحدها هى التى تعلمنا المسيح وتجعلنا نراه فى وسط التجارب القاصمة .

* * *

هناك شىء آخر يجب أن نلاحظه : انشقاق حجاب الهيكل الذى يفصل قدس الأقداس يخبرنا بأمرين رمزيين :

(ا) انفتح الطريق إلى الله . لم يكن قدس الأقداس مفتوحاً لإنسان سوى رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة ، ولكن الآن انشق الحجاب وانفتح الطريق إلى الله .

(ب) فى قدس الأقداس كان يسكن الله بنفسه ولكن فى انشقاق الحجاب استطاع الناس أن يروا الله وجها لوجه . . لم يعد الله محتجباً لا حاجة للناس بأن يفتشوا ويخمنوا ويفلسفوا . فمن يرد أن يرى الله فلينظر إلى يسوع « من رآنى فقد رأى الآب » .

الرجل الذى وهب يسوع قبره

وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ إِذْ كَانَ الاِسْتِعْدَادُ . أَىْ مَا قَبْلَ السَّبْتِ . جَاءَ يُوسُفُ الَّذِى مِنَ الرَّامَةِ مُشِيرٌ شَرِيفٌ وَكَانَ هُوَ أَيْضاً مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ .

فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعاً فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ . وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ . فاشْتَرَى كَتَّانًا فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ ووضَعَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتًا فِي صَخْرَةٍ وَدَحْرَجَ حَجَرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ . وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسِي تَنْظُرَانِ أَيْنَ وُضِعَ .

(مرقس ١٥ : ٤٢ — ٤٧)

أسلم يسوع الروح حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر يوم الجمعة قبل السبت . وكان وقت الاستعداد للسبت . فلم يكن هناك وقت للتلكؤ ، لأن السبت الذى فيه يمنع كل عمل كان على الأبواب . ولهذا فقد تصرف يوسف الرامى بسرعة لكى يدفن جسد يسوع .

لم تكن العادة أن تدفن أجساد المجرمين المصلوبين بل كانوا يتركونهم حتى يموتوا ثم يلقون بجثثهم فى العراء لتأكلها الكلاب والطيور المتوحشة ولقد قيل إن اسم الجلجثة ومعناه الجمجمة ، جاء من كثرة الجماجم الموجودة فوقه ولكن جسد يسوع لم يترك هكذا بل لقد ذهب يوسف الرامى إلى بيلاطس لكى يطلبه فاندهش الوالى لموت يسوع هكذا مبكراً ، ولما علم يقينا بموته سمح ليوسف بأن يأخذه .

يوسف الرامى هذا بطل دراسة غريبة

١ — إن يوسف هو المصدر الحقيقي لقصة المحاكمة أمام السنهدريم ، لقد هرب التلاميذ ولم يكن واحد منهم حاضراً ، فلابد أن تأتى هذه المعلومات من واحد كان يراقب فى هذه الجلسة . ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الشخص هو يوسف الرامى . وإن صح ذلك فيكون ليوسف ضلع كبير فى كتابة الأناجيل .

٢ — هناك مأساة حقيقية فى حياة يوسف تذكرنا بحياة الكثيرين : لقد كان عضواً فى السنهدريم ولكننا لم نسمع كلمة واحدة منه أو عنه دفاعا عن يسوع ، ولم يتضح أنه تدخل فى المحاكمة من أجله . ولكنه أعطى يسوع قبره . لقد قدم خدمة له عندما مات ولكنه لم يفعل شيئاً له وهو حى . هذه مأساة الكثيرين الذين يحتفظون بالزهور والزينات لقبور الذين ماتوا بينما لم يقولوا لهم كلمة واحدة حسنة فى حياتهم . ولكم تتغير الدنيا لو أظهرنا شعورنا الحقيقى للناس فى حياتهم وليس فقط بعد موتهم .

٣ — ولكننا ينبغى ألا نغالى فى إيلام يوسف الرامى ، فإن صليب يسوع قد فعل فى حياته أكثر جداً مما فعلت حياته فعندما رآه يعلم ويحيى ويشفى انجذب اليه ولكنه لم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة إيجابية نحوه ، ولكنه عندما رآه فى صليبه — ولابد أنه كان حاضراً عملية الصلب . انصهرت حياته فيه بالمحبة.. لقد سبقه قائد المئة وسار هو فى نفس الطريق .

لقد تحققت فيهما كلمات السيد : « وأنا إن ارتفعت أجذب إلىّ الجميع » (يوحنا ١٢ : ٣٢) .

الأَصْحَاحُ السَّادِسُ عَشَرَ

قوّاوا لبطرس

وَبَعْدَ ما مَضَى السَّبْتُ اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُم يَعْقُوبَ وسَالُومَةُ حَنُوطاً لِيأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ . وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبوعِ أَتَيْنَ إِلى الْقبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ . وَكُنَّ يَقُلنَ فِيماَ بَيْنَهُنَّ مَنْ يُدَحْرِجُ لنَا الْحجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ . فَتَطَلَّعْنَ ورَأَيْنَ أَنَّ الْحجرَ قَدْ دُحْرِجَ . لِأَنَّهُ كانَ عَظِيماً جِدًّا . وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بيْضَاء فَانْدَهَشَ . فَقَالَ لَهُنَّ لاَ تَنْدَهِشْنَ . أَنْتُن تَطلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ . قَدْ قَامَ . لَيْسَ هُوَ هٰهُنَا . هُوَذَا الْموْضِعُ الَّذِي وضَعُوهُ فِيهِ . لـكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ ولِبُطْرُسَ إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ . هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ . فَخَرَجْنَ سَرِيعاً وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ لِأَنَّ الرِّعْدَةَ والْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ وَلَمْ يَقُلْنَ لِأَحَدٍ شَيْئاً لِأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ .

(مرقس ١٦ : ١ ـ ٨)

لم يكن هناك وقت لتحنيط جسد يسوع لأن السبت كان قد أزف ، ولكن عندما مضى السبت قام النساء باكرا جداً وذهبن إلى القبر ليقمن بتلك الخدمة الأخيرة لمن أحببناه وأحببهن ، ولكنهن كن محتارات فيما بينهن من يرفع لهن الحجر . فالقبور لم يكن لها أبواب لكى تفتح ، وأمام فتحة القبر كان يوجد أخدود وفيه يوضع حجر ضخم دائرى أكبر كثيراً من طاقة النسوة لكى يرفعنه. ولكن عندما وصلن إلى القبر وجدن الحجر قد دحرج ووجدن داخله رسولا ذكر لهن أعظم خبر يمكن أن يتخيله إنسان .. لقد قام من بين الأموات .

* * * *

هناك شيء واحد مؤكد وهو أنه لو لم يكن قد قام المسيح لما كنا قد سمعنا عنه . فالنساء اللواتى جئن إلى القبر جئن وقصدهن تحنيط جسد ميت عزيز ، والتلاميذ اعتقدوا أن كل شيء قد انتهى ، فما الذى يدفع هؤلاء أجمعين للقيام بهذه الحركة الكبرى ؟ الجواب البسيط هو أن شيئا ما قد حدث .. هذا الشيء ليس أقل من قيامة يسوع نفسه ، فالبرهان البسيط القاطع على قيامة المسيح هو وجود الكنيسة المسيحية . فالقيامة هى التى وهبت القوة لنسوة خائفات والفرح لتلاميذ حزانى ، والحياة للايمان المسيحى . ومن القيامة نعلم :

١ — إن يسوع ليس شخصا موجوداً فى الكتب ولكنه هو حاضر . الذكرى مهما كانت عزيزة ستنمحى والزمن كفيل بأن يزيل كل شيء. ولكن يسوع بقى لا كذكرى بل كحضور كامل موجود . . إنه ليس شخصا ندرسه ولكنه شخص نقابله .

٢ — إن الحياة المسيحية ليست « معرفة عن يسوع » ولكنها « معرفة يسوع » وهناك فرق ضخم بين الاثنين . قد أعرف الكثير جدا عن العظماء ولكنى لا أعرفهم شخصيا . . وهكذا بخصوص يسوع فقد يعرف أبسط إنسان يسوع أكثر ألف مرة من أعظم عالم لاهوتى درس مئات الكتب عن يسوع.

٣ — إن الإيمان المسيحى إيمان حى . إنه لا يقف لأن موضوعه يسوع الحى ، ولهذا فهناك حقائق وإعلانات جديدة يكشفها لنا يسوع فى حياتنا .

ولكن أثمن كلمة فى هذا الفصل هى : قولوا لإخوتى — **ولبطرس** . ولكم أثلجت هذه الكلمات قلب بطرس، لا بد وأنه قد تعذب بذكريات انكاره إياه . وفجأة تأتيه رسالة منه ؟ له هو دون أى تلميذ بمفرده ؟ إن من امتيازات يسوع أنه لا يفكر فى بطرس الذى أنكره بل فى العذاب الذى ذاقه هذا المسكين فيسوع شفوق جداً بأن يواسى الخاطىء التائب أكثر من شغفه بمعاقبة خطيته. لقد قال أحدهم « إن أعظم ما يعمله يسوع هو أنه يثق فينا حتى فى وقت هزيمتنا » .

إرسالية الكنيسة

وَبَعْدَ مَاقَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلاً لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ الَّتِي كَانَ قَد أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ . فَذَهَبَتْ هٰذِهِ وَأَخْبَرَتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَهُمْ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ . فَلَمَّا سَمِعَ أُولئِكَ أَنَّهُ حَيٌّ وَقَدْ نَظَرَتْهُ لَمْ يُصَدِّقُوا .

وَبَعْدَ ذٰلِكَ ظَهَرَ بِهَيْئَةٍ أُخْرَى لِاثْنَيْنِ مِنْهُمْ وَهُمَا يَمْشِيَانِ مُنْطَلِقَيْنِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ . وَذَهَبَ هٰذَانِ وَأَخْبَرَا الْبَاقِينَ فَلَمْ يُصَدِّقُوا وَلاَ هٰذَيْنِ .

أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ . وَقَالَ لَهُمُ اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا . مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ . وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ . وَهٰذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ . يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ . يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لاَ يَضُرُّهُمْ وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ .

ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ . وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلاَمَ بِالآيَاتِ التَّابِعَةِ . آمِينَ .

(مرقس ١٦ : ٩ — ٢٠)

كما سبق وعرفنا فى المقدمة أن انجيل مرقس ينتهى إلى عدد ٨ من هذا الأصحاح أما عدد ٩ — ٢٠ فلم نجده فى المخطوطات القديمة الموثوق بها ، ويلوح

أن أحدهم قد لخص عمل الكنيسة وحياتها ووضع هذا الملخص ليكون بديلا عن تلك النهاية المبتورة .·. وكاتبها كان يعلم أن للكنيسة عملا مهما يجب أن تقوم به :

١ — للكنيسة عمل وعظى : إن الوعظ هو واجب الكنيسة وواجب كل مسيحى حتى يمكن للعالم كله أن يعرف ويسمع الأخبار السارة عن يسوع وخلاص يسوع .

٢ — للكنيسة رسالة شفائية : إن الكنيسة ينبغى أن تهتم بأجساد الناس مثلما تهتم بأرواحهم . فيسوع جاء لكى يشفى الروح والجسد معا .

٣ — الكنيسة هى مجتمع القوة : ولا أقصد أن أقول إن المسيحى يمكن أن يشرب السم أو يدوس على الحيات فلا يحدث له شىء ما ، لأن وراء هذه الصورة جوهر آخر هو جوهر المسيحى الذى يستطيع أن يتعامل مع الحياة بقوة لا يستطيعها غيره من الناس . . إنه شجاع .

٤ — الكنيسة لا تعمل هذا العمل لوحدها . فالمسيح فى وسطها يعمل فيها وبواسطتها وهو لن يتركها .

وهكذا ينهى الإنجيل بالإعلان أن :

« الحياة المسيحية هى الحياة التى تقضى فى حضرة وبقوة ذاك الذى صلب وقام »